ظاهرة الانتظار في العرض المسرحي العراقي (نماذج مختارة)

اطروحة دكتوراه

تقدم بها

محمد حسين محمد حبيب مجيد

الى مجلس كلية التربية الفنية – جامعة بابل
وهي جزء من متطلبات نيل شهادة دكتوراه فلسفة في
(الفنون المسرحية–اخراج)

بإشراف الأستاذ الدكتور

ضياء شمسي حسون

١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م

بابل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾
قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلا هُمْ
يُنْظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ
مُنْتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾

صدق الله العلي العظيم
السجدة / ٢٨-٣٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اقرار المشرف

اشهد بان اعداد هذه الاطروحة الموسومة (ظاهرة الانتظار في العرض المسرحي العراقي – نماذج مختارة) لطالب الدكتوراه (محمد حسين محمد حبيب مجيد) قد جرى تحت اشرافي في كلية التربية الفنية – جامعة بابل ، وهي جزء من متطلبات نيل درجة دكتوراه فلسفة في (الفنون المسرحية – اخراج)

المشرف
الاستاذ الدكتور
ضياء شمسي حسون
التاريخ : / /٢٠٠٣م

توصية رئيس القسم

بناء على التوصية المتوافرة ارشح هذه الاطروحة للمناقشة .

الاستاذ المساعد الدكتور
عقيل جعفر مسلم
رئيس قسم التربية المسرحية
التاريخ : / /٢٠٠٣ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قرار لجنة المناقشة

نشهد نحن اعضاء لجنة المناقشة اننا اطلعنا على هذه الاطروحة الموسومة (ظاهرة الانتظار في العرض المسرحي العراقي – نماذج مختارة) وناقشنا طالب الدكتوراه (محمد حسين محمد حبيب مجيد) في محتوياتها وفيما له علاقة بها . ونرى انها جديرة بالقبول بدرجة ( ) لنيل درجة دكتوراه فلسفة في (الفنون المسرحية - اخراج) .

الامضاء :	الامضاء :	الامضاء :
الاسم :	الاسم :	الاسم :
التاريخ :	التاريخ :	التاريخ :
عضواً	عضواً	عضواً

الامضاء :	الامضاء :	الامضاء :
الاسم :	الاسم :	الاسم :
التاريخ :	التاريخ :	التاريخ :
عضواً (المشرف)	عضواً	(رئيس اللجنة)

مصادقة مجلس الكلية

صادق مجلس كلية التربية الفنية في جامعة بابل على هذه الاطروحة

الامضاء :
الاسم :
التاريخ :
(عميد الكلية)

الإهـــداء

- إلى جميعِ المُستَضْعَفين في الأرض .
- إلى كلِّ مكتبةٍ عراقيةٍ أُحْرِقَتْ أو نُهِبَتْ في زمنٍ لم تكن تَنتَظِرُهُ .

محمد حسين

شكر وتقدير

بعد حمد الله سبحانه وتعالى ، وشكره على نعمائه :
يقدم الباحث شكره وتقديره الى :
الاستاذ المساعد الدكتور **ضياء شمسي حسون** المشرف على هذه الاطروحة ، والذي تعلم منه الباحث ، كيفية اعادة قراءة ما كتب بعيون اخرى جديدة في كل مرة .

كما يقدم الباحث شكره وتقديره الى السادة :
- الاستاذ الفنان الكبير **سامي عبد الحميد** .
- الناقد الدكتور **محمد ابو خضير** .
- الناقد الدكتور **قيس حمزة الخفاجي** .
- القاص الباحث **ناجح المعموري .**
- الصديق الخطيب **حمزة حسن الموسوي** .

الذين منحوا الباحث حبهم للكلمة .

كما يقدم الباحث ايضاً ، شكره وتقديره الى :
- **امه وابيه** .. اللذان منحاه دعاءهما ورضاهما .
- **زوجته واولاده** .. اللذين صبروا عليه كثيراً ، وانتظروا من اجل ان يرى هذا الجهد المتواضع النور .

- **مكتب الوئام للحاسبات / حلة – شارع ٤٠ .**

الباحث

الفصل الأول

الإطار المنهجي للبحث

- مشكلة البحث
- أهمية البحث والحاجة اليه
- هدفا البحث
- حدود البحث
- تحديد مصطلحات البحث

الفصل الثاني

الاطار النـظري والدراسات السابـقة

- المبحث الاول : الانتظار دينياً
- المبحث الثاني : الانتظار فلسفياً
- المبحث الثالث : الانتظار نفسياً
- المبحث الرابع : الانتظار ادبياً
- الدراسات السابقة ومناقشتها
- ما اسفر عنه الاطار النظري والدراسات السابقة من مؤشرات

الفصل الثالث

الإطار الإجرائي للبحث

- اولاً : اجراءات البحث
- ثانياً : تحليل عينات البحث

الفصل الرابع

- النتائج
- الاستنتاجات

- التوصيات
- المقترحات
- قائمة المصادر والمراجع
- الملاحق

ملخص البحث

هذا البحث هو محاولة لدراسة ظاهرة الانتظار في المسرح العراقي ، ولما كان لهذه الظاهرة اسباب لنشوءها – كما لها اهداف – فقد عاد بنا الامر الى تقصي مرجعيتها الاساس التي شكلت للانتظار قاعدته الاولية ، وعملت على تغلغله بين ثنايا الصراع المسرحي ، وكذا الحال مع اجناس ادبية وحقول معرفية اخرى دينية وفلسفية ونفسية .

في الفصل الاول (الاطار المنهجي للبحث) تعرض البحث الى ايضاح مشكلة البحث التي تكمن في عدم وضوح مرجعيات تعامل الكتاب والمخرجين المسرحيين العراقيين مع الابعاد الفكرية لظاهرة الانتظار ودلالاتها في نتاجاتهم ، كما تكمن المشكلة في محاولة البحث في الاجابة عن السؤال الاتي : لماذا لجأ الكتاب والمخرجون المسرحيون العراقيون الى تناول ظاهرة الانتظار في نتاجاتهم الابداعية ؟ بينما تجلت اهمية البحث بوصفه ينطلق في دراسته لظاهرة انسانية مطلقة ، لها ارتباطها المباشر بمصير الانسان ومستقبله المنتظَر ، اذ لا يمكن تصور حياة انسان بدون مستقبل .. وانتظار هذا المستقبل . وتم اشتقاق هدفا البحث : ١- تعرف كيفية تعامل الكاتب والمخرج المسرحي العراقي مع دلالات ظاهرة الانتظار وابعادها الفكرية على خشبة المسرح . ٢- تعرف اسباب تناول ظاهرة الانتظار في النصوص والعروض المسرحية العراقية . اما حدود البحث فقد اقتصرت على المسرحيات المقدمة على مسارح بغداد ، للمدة المحصورة بين سنتي ١٩٨٠-٢٠٠٠ م .

من هنا ، تتبع البحث (الانتظار دينياً) في مبحثه الاول من الفصل الثاني ، متوقفاً اولاً عند (الانتظار في العصور القديمة) مقرناً نشأة الدين بموقف الانسان القديم منه ومن غيبياته ، بوصف ان الدين له علاقة مباشرة بالانتظار ، تتمثل هذه العلاقة بايمان الانسان ومعتقداته بازاء المفاهيم الدينية في وعودها الانقاذية عبر ازمان قادمة ، من المفروض ان تتجسد فيها الحياة الاسمى والاعدل .

وبسبب كثرة الديانات وتعددها ، فقد لجأ الباحث الى تقسيمها ما بين (ديانات سماوية) و (ديانات وضعية) . تتمثل الديانات السماوية بـ : (الديانة اليهودية) و (الديانة المسيحية) و (الديانة الاسلامية) ، وقد تناول الباحث في هذه الديانات الثلاث ، الجذور التاريخية لكل ديانة ومنشأها ، الى جانب ملاحقة الاثار المترتبة الناجمة عن كل ديانة منها سابقة على الديانة اللاحقة ، فضلاً عن ذلك التعرف الى موقف كل من هذه الديانات الثلاث تجاه منقذها المُنتظَر ، بوصفه الوعد الالهي القائم الذي ينتظره معتنقو هذه الديانات ، وايمانهم جميعاً باصل الانتظار والاعتقاد القاطع به ، لكن باختلاف اسم المنقذ المنتظر قدومه يوماً ما .

والحال نفسها عمد اليها الباحث ، حين اختار ثلاثاً من الديانات الوضعية لكثرتها اولاً ، ولاهمية هذه الديانات المختارة ، وهي : (الديانة الزرادشتية) و (الديانة الهندوسية) و (الديانة البوذية) .

وبالنظر للشمولية المعرفية التي تتمتع بها ظاهرة الانتظار في علاقاتها بحقول معرفية متعددة ، فقد تعرضت لعامل (الفرضية) مثلما تعرضت لعامل (الادعاء) .

فقد ارتأى الباحث الكشف عن واحدة من هذه الفرضيات التي اقترحها (ناجي النجار) والموسومة بـ(فرضية الجزيرة الخضراء) مهتماً بـ(مثلث برمودا) بوصفه لغزاً مستعصياً ، وبوصفه الفرضية ، والمدينة التي يسكنها الامام المهدي المنتظر هو واصحابه (عليهم السلام) .

كذلك حرص الباحث على الكشف عن عدد ممن ادعوا بانهم ذلك المنقذ المنتظر وفي مراحل تاريخية متباعدة وعند جنسيات مختلفة ، وحاول الباحث الجمع بين الفرضية والادعاء وعبر مبحث خاص تحت عنوان (الانتظار بين الفرضية والادعاء) .

اما المبحث الثاني من الفصل الثاني ، فقد تناول فيه البحث (الانتظار فلسفياً) ، تتبع فيه الباحث علاقة الفلسفة بالانتظار منذ عصورها الاولى وعبر التقسيمات الاتية : (الانتظار في الفلسفة القديمة) و (الانتظار في الفلسفة الحديثة) و (الانتظار في الفلسفة المعاصرة) واخيراً (الانتظار في الفلسفة الاسلامية) ، ولقد استعرض الباحث خلال هذه التقسيمات آراء عدد من الفلاسفة من خلال طروحاتهم الجوهرية ونظرياتهم الفلسفية ، فيما له علاقة بالانتظار بصورة مباشرة مرة وبصورة غير مباشرة مرة اخرى . وتحت هذه الاخيرة تنحصر مثلاً علاقة (الزمن) بالانتظار وعلاقة (الايمان القاطع) لدى الفيلسوف نفسه بالله سبحانه وتعالى بوصفه الروح المطلق واجب الوجود وطاعته واجبة .

زيادة على ذلك ، الكشف عن موقف الفيلسوف نفسه بازاء بعض المفاهيم الدينية ، او بازاء بعض التصورات الفلسفية لدى عدد غير قليل من الفلاسفة الغربيين والعرب على حد سواء ، حينما ارسوا قواعد ومواصفات المدينة المثالية النموذجية الخالصة ، التي تطمح اليها البشرية باختلاف دياناتها واعراقها واجناسها .

وفي المبحث الثالث من الفصل الثاني نفسه ، تناول البحث (الانتظار نفسياً) وحاول فيه الباحث الكشف عن الاثر النفسي الذي يُوقعه الانتظار في الانسان ، الى جانب اثر العامل الزمني وتحولات الشعور به ، ذلك ان للزمن مع وجود الانتظار ، معاييره الفيزيائية ، مثلما له معاييره النفسية ، او ما يمكن تسميته بـ(الزمن النفسي) .

اما المبحث الرابع من هذا الفصل نفسه ، والموسوم (الانتظار ادبياً) فقد حاول فيه الباحث ابراز هيمنة الانتظار على اكثر من جنس ادبي ، كالشعر والقصة والرواية والملحمة ، مثلما هو مهيمن – أي الانتظار – على النص المسرحي الاجنبي والعربي ، بوصف هذا الاخير جنساً من الاجناس الادبية الاخرى ، فقد استعرض الباحث نماذج من النصوص المسرحية الاجنبية والعربية من تلك التي تلمس فيها الباحث الانتظار المتغلغل بين ثنايا احداثها بصورة مباشرة مرة ، وبصورة غير مباشرة مرة اخرى .

وفي الفصل الثالث عمد الباحث الى الكشف عن اجراءات بحثه ، لينتقل بعد ذلك الى تحليل عينات البحث المتمثلة بعروض مسرحية عراقية مختارة ، وهي : ١- مسرحية (في انتظار غودو) ٢- مسرحية (ترنيمة الكرسي الهزاز) ٣- مسرحية (مرحباً ايتها الطمأنينة)٤- مسرحية (في انتظار عودة الابناء الذين لن يعودو الى الوطن ثانية)٥- مسرحية (في انتظار كوزان) ٦- مسرحية (الجنة تفتح ابوابها

متـأخرة) دارسـاً فيهـا ظـاهرة الانتظـار بوصـفها الركيـزة المحوريـة لهـا فـي تسلسل احداثها وفي خط الصراع فيها ، محللاً ابعادها الفكرية وتفاعلاتها مع المفاهيم الدينية والفلسفية والنفسية ، مستلهماً منها (هدفي البحث) وصولاً الى (نتائج) و (استنتاجات) جاءت في الفصل الرابع ، من شأنها ان تجيب عن تساؤلات البحث التي انطلق منها منذ البداية . واهم هذه الاستنتاجات :

١- يعد الانتظار سمة مشتركة بين البشر جميعهم .
٢- يشكل الانتظار ضرورة كونية وحتمية تاريخية مرتبطة بوعد الهي ، من شأنه النهوض بالحياة نحو التكامل الاعلى في الوجود .
٣- الانتظار حاجة انسانية دائمة تحت أي ظرف يمر به الانسان .

المحتويـات

الموضـــــوع	رقم الصفحة
ملخص البحث	أ- د
الفصل الاول : الاطار المنهجي للبحث	١
مشكلة البحث	٢
اهمية البحث والحاجة اليه	٢-٤
هدفا البحث	٤
حدود البحث	٤
مصطلحات البحث	٥-١٠
الفصل الثاني : الاطار النظري والدراسات السابقة	١١
المبحث الاول : الانتظار دينياً	١٢
١- الانتظار في العصور القديمة	١٢-٢٤

٢- الانتظار في الديانات السماوية والوضعية :	٢٥
٢-١ الديانات السماوية	٢٥
٢-١-١ الديانة اليهودية	٢٥-٢٨
٢-١-٢ الديانة المسيحية	٢٨-٣٢
٢-١-٣ الديانة الاسلامية	٣٢-٤٥
٢-٢ الديانات الوضعية	٤٦
٢-٢-١ الديانة الزرادشتية	٤٦-٤٧
٢-٢-٢ الديانة الهندوسية	٤٧-٤٨
٢-٢-٣ الديانة البوذية	٤٩-٥٠
٣- الانتظار بين الفرضية والادعاء	٥٠-٥٩
المبحث الثاني : الانتظار فلسفياً	٦٠
١- الانتظار في الفلسفة القديمة	٦٢-٦٨
٢- الانتظار في الفلسفة الحديثة	٦٨-٧٣
٣- الانتظار في الفلسفة المعاصرة	٧٣-٧٦
الموضـــــوع	رقم الصفحة
٤- الانتظار في الفلسفة الاسلامية	٧٦-٨٤
المبحث الثالث : الانتظار نفسياً	٨٥-٩١
المبحث الرابع : الانتظار ادبياً	٩٢-١١٢
الدراسات السابقة ومناقشتها	١١٣-١١٩
ما اسفر عنه الاطار النظري والدراسات السابقة	١٢٠-١٢١
الفصل الثالث : الاطار الاجرائي للبحث	١٢٢
اولاً: اجراءات البحث	١٢٣
أ. مجتمع البحث	١٢٣
ب. اداة البحث	١٢٤
ج. منهج البحث	١٢٥
ثانياً: تحليل العينات	١٢٦
١- مسرحية (في انتظار غودو)	١٢٦-١٤٥
٢- مسرحية (ترنيمة الكرسي الهزاز)	١٤٦-١٥٦
٣- مسرحية (مرحباً ايتها الطمأنينة)	١٥٧-١٦٢
٤- مسرحية (في انتظار عودة الابناء الذين لن يعودوا الى الوطن ثانية)	١٦٣-١٦٩
٥- مسرحية (في انتظار كوزان)	١٧٠-١٧٥
٦- مسرحية (الجنة تفتح ابوابها متأخرة)	١٧٦-١٨٢
الفصل الرابع :	١٨٣
النتائج	١٨٤-١٨٧
الاستنتاجات	١٨٨-١٨٩
التوصيات	١٨٩
المقترحات	١٨٩
المصادر والمراجع	١٩٠-٢٠٣

قائمــة الملاحــق

١- ملحق رقم (١) : استبيان لجنة الخبراء

٢- ملحق رقم (٢) : استبيان لجنة الخبراء

٣- ملحق رقم (٣) : (وثيقة) شهادة من الاستاذ الفنان سامي عبد الحميد حول عرض مسرحية في انتظار الموت في العراق

مشكلة البحث :

تعد ظاهرة الانتظار من الظواهر الانسانية التي عمّقت حضورها في المجالات المعرفية ، واخذت دورها وموقعها الطبيعي ، بوصفها ظاهرة ترتبط بمصير الانسانية ، الى جانب تنوع ابعادها الفكرية في الدين والفلسفة والنفس والابداع الادبي والفني .

ولقد حاول العديد من الكتّاب والمخرجين المسرحيين ، التعامل مع الابعاد الفكرية للظاهرة ودلالاتها في نتاجاتهم ، لذا ، فان مشكلة البحث تكمن في عدم وضوح مرجعيات هذا التعامل ومسوغاته لدى الكثير من العاملين في الحقل المسرحي ، كما تكمن المشكلة في محاولة البحث في الاجابة عن السؤال الاتي :

لماذا لجأ الكتّاب والمخرجون المسرحيون العراقيون الى تناول هذه الظاهرة في نتاجاتهم الابداعية ؟

أهمية البحث والحاجة اليه :

ينطلق البحث في دراسته لظاهرة الانتظار ، بوصفها ظاهرة انسانية لها جذرها التاريخي الضارب في القدم ، والمرتبط بالمعتقدات الانسانية كافة ، الى جانب ارتباط الظاهرة نفسها بالدراسات التي تبحث في مصير الانسانية ومستقبلها المنتظَر ، ويرتبط هذا المستقبل ايضاً بالدراسات الزمنية وتحديداً المهتمة بكل ما هو آت ومستقبلي ينتظره الكثيرون .

ان الحديث عن القادم والمجهول والمنتظر ، من الموضوعات المحببة لدى الانسان ، لان مثل هذا الحديث يكون دائماً محفوفاً بالغرابة والتساؤلات الكثيرة ، وفي احيان كثيرة يصحبه القلق والخوف ، الى جانب التودد لهذا المجهول والتعجل في معرفته والوصول اليه ، مما حدا الى ظهور العديد من الدراسات المعنية في مستقبل الانسان الذي هو جزء من مستقبل البشرية جمعاء ، زيادة على ان الحديث عن المستقبل المنتظَر حديث يشمل الانسان في كل زمان ومكان وليس فرداً او مجتمعاً بعينه .

واذا ما اردنا ان نتوسع قليلاً ، في الاشارة الى بعض من هذه الدراسات التي اهتمت بمستقبل الانسان المنتظر لا نجد كتباً بعينها فقط ، وانما نجد سلسلة من دراسات وابحاث متصلة ۞ مستمرة – لا زالت الى الان – تبحث في هذا المجال .

۞ - تجدر الاشارة الى سلسلة (اليوم والغد) لعدد من المؤلفين ، كل في مجال اختصاصه يتنبأون عن المستقبل ، صدرت عن دور نشر بريطانية وامريكية ، فحملت عنوانات مثل : علم المستقبل ، ومستقبل العلم ، ومستقبل المسرح ، وبجماليون او طبيب المستقبل ... وللمزيد ينظر : تمهيد لمحور عالم الغد ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، العدد الاول ، ١٩٧٣ م ، ص ص : ٤ ، ٥ . كما يشير الباحث الى الكتب الاتية : (العالم بعد مائتي عام – الثورة العلمية والتكنولوجية خلال القرنين القادمين) هيرمان كان ، تر : شوق جلال وآخرين. و (التنبوء العلمي ومستقبل الانسان) عبد المحسن صالح . و (هل للانسان مستقبل) برتراند رسل.

هذا الى جانب اغراءات (الالفية) المحببة لدى الانسان ، فما الذي يمكن ان يحدث بعد نهاية هذا القرن وبداية قرن جديد او بداية (الفية) جديدة .. والجميع يتذكر البرنامج التلفازي الذي بثه تلفاز العراق نهاية الثمانينات الموسوم (العالم سنة الالفين) الذي عده وقدمه الدكتور قدامة الملاح ، ومدى اهتمام الناس حينها بهذا البرنامج – الباحث .

ان الانتظار ظاهرة لها مديات معرفية تشمل وتشترك مع معرفيات دينية وفلسفية ونفسية وادبية فنية وغيرها ، لا يمكن لها ان تتوقف معرفياً ، طالما بقي الانتظار قائماً ، فهو يعطيها مسوغات استمراريتها في البحث والتنقيب بفاعلية واستمرار .

وتجدر الاشارة الى ان هذا البحث والتقيب من لدن الباحث المتخصص الذي يبحث في انتظار هذا المستقبل ، الى جانب بحثه " عن التغيرات التي يُنتظَر ان تطرأ على الانسان وحياته وتركيبه ووضائفه .. او على المجتمع ونظمه وعلاقات الافراد الذين يعيشون فيه ويؤلفونه ، يحتاج الى كثير من الشعور بالمسؤولية وحسن التقدير والاتزان حتى لا يحلق به الخيال الى آفاق بعيدة تجعل دراسته اقرب الى الرويات الخيالية " [1] بعيدة عن الموضوعية وعن مرجعيات معرفية راسخة .

في ضوء ما تقدم ، يسأل الباحث : هل يمكن تصور حياة انسان بدون مستقبل .. وانتظار هذا المستقبل ؟

لهذه الاسباب وغيرها ، تأسست اهمية هذا البحث في مرحلة اولى لتنتقل الى مرحلة ثانية تتجسد في هيمنة ظاهرة الانتظار على الكثير من الدراسات الدينية والفلسفية والنفسية الى جانب الكثير من النتاجات الادبية والفنية .

والمسرح بصفيتيه الادبية (النص) والفنية (العرض) واحد من المجالات التي تناولت هذه الظاهرة في نتاجاته ، ليس هذا فحسب ، بل تناول ضمناً ابعادها الفكرية الاخرى كالدينية والفلسفية والنفسية .

وتزداد هذه الظاهرة اهمية كلما اتسعت المساحة الزمنية المستقبلية التي تحول دون الوصول لنهاية خلاص محددة ، مما يفسح المجال اكثر امام العوائق لكي تتوالد وتزداد نمواً ، وبالتالي تشكل مادة (مسرحية) ينجذب الكاتب او المخرج المسرحي لها ، بهدف وضع رؤاه الخاصة تجاهها .

وخلاصة القول ، تكمن اهمية البحث في انه يقدم معلومات وافية عن المرجعيات المعرفية المتعددة التي ترتبط بظاهرة الانتظار ارتباطاً فكرياً وموضوعياً ، الى العاملين في الحقل المسرحي حين يتناولون نصاً مسرحياً تكون هذه الظاهرة فكرته الرئيسة بغية ابراز ابعادها الفكرية ودلالاتها المختلفة من خلال العرض المسرحي .

هدفا البحث :

١- تعرف كيفية تعامل الكاتب والمخرج المسرحي العراقي مع دلالات ظاهرة الانتظار وابعادها الفكرية على خشبة المسرح .
٢- تعرف اسباب تناول ظاهرة الانتظار في النصوص والعروض المسرحية العراقية .

حدود البحث :

يتحدد البحث بالمسرحيات التي تناولت ظاهرة الانتظار ، والتي قُدمت على مسارح بغداد ، للمدة المحصورة بين سنتي ١٩٨٠ – ٢٠٠٠ م .

---

(١) - تمهيد لمحور الغد ، المصدر السابق نفسه ، ص ٣ .

مصطلحات البحث:

١- الانتظار Waiting :-

أ – **لغويا** :- " والنظر الانتظار يقال نظرتُفلاناً وانتظرتُه بمعنى واحد فاذا قلت انتظرت فلم يجاوزك فعلك فمعناه وقفت وتمهلت .. تقول العرب انظرني أي انتظرني قليلاً .. ونظرتُفلاناً أي انتظرتُه .. وانتظرهُ وتنظَّرهُ تأنّى عليه ." (١)

ب - **مفهوماً** :-

-" أن ينتظر الانسان أمراً ما يتمنى حدوثه في المستقبل القريب أو البعيد، هذا الأمر قد يحدث أو لا يحدث حسب الظروف المحيطة ، وحسب ما يستجد من أحداث في هذا المستقبل . " (٢)

-" في مفهوم الانتظار : ان المفهوم الاسلامي الواعي الصحيح للانتظار هو التوقع الدائم لتنفيذ الغرض الالهي الكبير ، وحصول اليوم الموعود الذي تعيش فيه البشرية العدل الكامل بقيادة واشراف الامام المهدي عليه السلام . " (٣)

أما التعريف الاجرائي للانتظار فهو :

ظاهرة حياتية قائمة مع قيام البشرية ومتأصلة فيها ، لا يكتمل معناها الا بتوافر عناصرها الدينية والنفسية والسلوكية ، وبهذا تحقق الظاهرة تاثيراتها في الافراد بمعتقداتهم ، وجنسياتهم ، وانتماءاتهم الفكرية كافة . وينقسم الانتظار الى عدة أقسام هي:-

- الانتظار الفردي المرتبط بتحقيق رغبات ذاتية مؤقتة منها ودائمية .
- الانتظار الجماعي المرتبط بتحقيق رغبات المجموع التي تتصف بطابع عام .
- الانتظار الميتافيزيقي الذي لا يتحقق الا باكتمال شروطه واستدلالاته الغيبية منها والمادية ، المصحوبة بعامل زمني غير معياري (مجرد) .
- الانتظار الفوري المرتبط بالتوقع المستمر لتحقيق رغبة ما في مقاييس زمنية فيزيائية (مقيدة) . وهو انتظار يومي بسيط يتكرر دائماً .

٢- الديـن Religion :-

لقد مر الباحث على تعريفات ومفاهيم عديدة جداً ، لدرجة الاقرار بصعوبة وضع تعريف جامع مانع للدين ، مع الاخذ بالحسبان ان هذه التعددية في كثرة التعريفات والمفاهيم قد جاءت من التعددية الدينية نفسها واختلافاتها في المعنى والمفهوم كلاً بحسب معتقده ومذهبه ومستوى ايمانه . فضلاً عن ذلك فقد وجد الباحث

---

(١) - ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٧ ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ب ت ، فصل النون ، حرف الراء ، ص ص : ٧٣ ، ٧٤ .

(٢) - محمد عبد الله حسين ، ظاهرة الانتظار في المسرح النثري في مصر حتى عام ١٩٧٣ ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٨ ، ص٧ .

(٣) - محمد الصدر ، موسوعة الامام المهدي ، الكتاب الثاني ، تاريخ الغيبة الكبرى ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت – لبنان ، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م ، ص٢١٩ .

ارتباط (الدين) كلمة ومفهوماً بكلمات ومفاهيم أخرى منها : (الايمان ، والمعتقد ، والشعور، والعبادة) بوصفها تشكل القواعد الاساس لمفهوم الدين .

أ – لغوياً : -

" دين : الدّين من اسماء الله عز وجل معناه الحكم القاضي .. والجمع اديان يقال دان بكذا ديانة وتَ دَّن به فهو دّينٌ ومتدّن .. والدين العادة والشأن .. والدين ما يتدين به الرجل والدين السلطان والدين الورع والدين القهر والدين المعصية والدين الطاعة ." (١)

ب - معجمياً :-

- " أن الدين : **أ-** مؤسسة اجتماعية متميزة بوجود عدد من الأفراد المتحدين :

١- بأداء بعض العبادات المنتظمة وباعتماد بعض الصيغ .

٢- الاعتقاد بقيمة مطلقة ، لا يمكن وضع شيء آخر في كفة ميزانها ، وهو اعتقاد تهدف الجماعة الى حفظه .

٣- بتنسيب الفرد الى قوة روحية أرفع من الانسان ، وهذه ينظر اليها أما بوصفها قوة منتشرة ، أو كثيرة ، أو وحيدة ، هي الله .

ب- نسق فردي لمشاعر واعتقادات وأفعال مألوفة ، موضوعها الله ، والدين هو تحديداً ، المطالبة بوجهة نظر الشعور والايمان ، الى جانب وجهة نظر العلم " (٢).

- أما كلمة (الدين) وحدها فـ" قد تكون من أكثر المفردات ثراءً بالمعاني بحيث ان هذه المعاني قد غطت أو شملت أكثر جوانب الحياة .." (٣)

ج – مفهوماً :- الدين هو:

-" الايمان بذات الهية جديرة بالطاعة والعبادة ." (٤)

-" ظاهرة روحية نقية وخالصة على نحو ما نجدها في حياة قلة ضئيلة من الناس كالقديسين والمتصوفين وبعض الفلاسفة ." (٥)

- " مجموعة متساندة من الاعتقادات والأعمال المتعلقة بالأشياء المقدسة – أي المعزولة المحرمة – اعتقادات وأعمال تضم أتباعها في وحدة معنوية تسمى الملة ۞ " (٦)

---

(١) – ابن منظور ، مصدر سابق ، ج ١٧ ، فصل الدال ، حرف النون .

(٢) - اندريه لالاند ، موسوعة لالاند الفلسفية ، م٣ ، تعريب : خليل أحمد خليل ، منشورات عويدات ، بيروت- باريس ، ط١ ، ١٩٩٦ ، ص١٢٠٤ .

(٣) - James Hastings : " Encyclopedia of Religion and Ethics " , Vol. X , New york , ١٩١٩ . pp. ٦٦٢-٦٦٣.

(٤) - محمد عبد الله دراز ، الدين- بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان ، دار القلم ، الكويت ، ط٢ ، ١٩٧٠ ، ص٥٢ .

(٥) - صادق جلال العظم ، نقد الفكر الديني ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٧٠ ، ص١٧ .

۞ - الملة : " جماعة الناس الساكنة في بلدة واحدة تتكلم بلسان واحد وأخلاقها واحدة وعوائدها متحدة ومنقادة غالباً لأحكام واحدة ودولة واحدة " . محمود فهمي حجازي ، أصول الفكر العربي الحديث ، مجلة عالم الفكر، الكويت ، العدد١ ، ١٩٧٣ ، ص٢٥٦ .

(٦) - Emile Durkheim : " Forme elementaires de la vie religieuse “ , paris , Alcan , ١٩٣٧ , p. ٦٥ .

- " الأيمان بكائنات روحية " [١]

- " ممارسات ومعتقدات شعبية تساعد المؤمن على فهم الكون والتعامل معه ، والحياة والموت وما بعده . وهو في كل ذلك متنوع الى أقصى الحدود نتيجة لتنوع الأوضاع والأحوال والعلاقات والأنظمة والبيئات وأنماط المعيشة." [٢]

أما التعريف الأجرائي للدين فهو :-

نظام الهي موحّد يشمل مفردات الحياة جميعها ويحفظها من الزلل ، ويُقوّم هذا النظام : السلوك الانساني العبادي والأخلاقي الى جانب الأيمان بالغيبيات الألهية والأعتقاد القاطع على الدوام بأنتظار اليوم الموعود ، يوم تحقيق العدالة الالهية المرتقبة على يد منقذ البشرية المنتظر .

٣- الأيمان Faith :- وهو

- "أدراك شيء ما على أنه صادق دون برهان . وهناك من الفلاسفة المثاليين مَن حاول التوفيق بين الأيمان والمعرفة على فرض أن الأيمان جزء من هذه المعرفة " [٣]

- اعتقاد راسخ لا يقل في قوته عن اليقين ولكن لا يمكن نقله عن طريق البرهان ، يعتمد اساساً على الثقة وطمأنينة القلب اكثر مما يعتمد على الحجج العقلية ." [٤]

- " لغة الثقة واظهار الخضوع وقبول الشريعة .. " [٥]

- " عقد بالقلب .. فهو من شأن القلب وحده لا شأن الآخر أياً كان " [٦]

أما التعريف الأجرائي للأيمان فهو :

الادراك الصادق للأشياء المرتبطة بالغيب الالهي ، والتعاقد معها بالقلب ، بعد الوثوق بها والأطمئنان لمُسوّغات وجودها.

٤- الزمان الكيفي Unlimited Time :

" هو الزمان الذي لا يقبل الكم أو العدد ، أنه (مناسبة) و(ظرف) وليس عدداً معيناً بالسنين. والمناسبات والظروف لا تقيس الزمان بل هي تنتسب الى تاريخ تحقق الحياة ، وهذا أمر لا يقبل التحدد الموضوعي " [٧]

---

(١) - Tylor : " civilisation prmitive " , Londres , paris , ١٨٧١ . Chapilre . xl , p. ٢٩٢ .

(٢) - حليم بركات ، المجتمع العربي في القرن العشرين ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٠ ، ص٤٣٣ .

(٣) – م. روزنتال ..،الموسوعة الفلسفية، تر: سمير كرم ، دار الطليعة ، بيروت ، ط٤ ، ١٩٨١ ، ص٧٠ .

(٤) - ابراهيم مدكور، المعجم الفلسفي ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية ، القاهرة ، ١٩٧٤ ، ص٢٩.

(٥) - القاموس المحيط ، ج٤ ، ص١٩٧ .

(٦) -علي أحمد سعيد ، الثابت والمتحول ، ج١ ، الأصول ، دار العودة ،بيروت ، ط٤ ، ١٩٨٣ ، ص١٩٣. ، عن (فان فلوتن) ، السيادة العربية ، ص٦١ .

(٧) - عبد الرحمن بدوي ، الزمن في المذهب الوجودي عند مارتن هيدجر ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، العدد٢، ١٩٧٧ ، ص١٨٩ . ويورد بدوي تعليقاً على عبارة القديس بولس " ان يوم الرب سيأتي كاللص في الليل" ص١٨٨ . يقول هيدجر أو يلاحَظ على هذه العبارة " ان القديس بولس لا يحدد فيها زماناً معيناً

٥- الزمن النفسي Psychological Time : هو :

- " الزمن الذي لا يرتبط بالزمن المعدود (أيام أو شهور .. الخ) ، بل يرتبط بالوجود الذهني الذي يعبر عن الذات الشاعرة الأصلية التي تخوض غمار الصراع المستمر والمعبرة عن الواقع المُنهار .." [١]
- " عكس الزمن الخارجي الذي يعتمد في قياساته على معايير ثابتة " [٢]
-" الزمن الداخلي " [٣]
-" احساسنا الذاتي والخاص بمرور الوقت " [٤]
- " أهم أنماط الزمن ارتباطاً بالحالات الشعورية " [٥]

فالتعريف الاجرائي للزمن النفسي هو :

زمن انساني ذاتي داخلي ، يرتبط بالحالة الشعورية واللاشعورية التي تمر على الانسان ، بمعنى أنه زمن ثنائي . كما يرتبط بحركة الوجود أو رتابته . ولا يمكن قياسه على وفق المعايير الفيزيائية العينية ، بل هو زمن (مجرد) حسب .

٦- التوقف الزمني Stopping Time :

" ونعني به شعور الذات ...أو احدى الشخصيات بتوقف الزمن ، نتيجة وقوع حدث مفاجئ له تأثيره المباشر على الشخصية ، فتشعر الذات أو الشخصية أن الزمن قد توقف تتابعه عند هذا الحدث ، وكأن الزمن جميعه قد تجسد في هذه اللحظة ، أو كأن ماضي الذات وحاضرها ومستقبلها قد تضخم زمنياً ووقف عند هذا الحدث. " [٦]

لعودة المسيح بل يرفض تحديده صراحة فهو يقول بانه سيأتي فجأة وخفية كاللص المتسلل في جنح الليل . فهنا زمان كيفي ، لا كمي عددي ." ص١٨٩ ، المصدر نفسه .

(١) - محمد سويرتي ، النقد البنيوي والنص الروائي ، مطبعة أفريقيا الشرق ، ١٩٩١ ، ص١٠ .

(٢) - أ.أ.مندلاو ، الزمن والرواية ، تر : بكر عباس ، دار صادر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧ ، ص١١.

(٣) - فاطمة بدر حسين ، الزمن وسط الحياة ، مجلة الرافد ، الشارقة ، العدد٥٥ ، ٢٠٠٢ ، ص٥٨ .

(٤) - صادق جلال العظم ، مصدر سابق ، ص٢٠٨ .

(٥) - مراد عبد الرحمن مبروك ، بناء الزمن في الرواية المعاصرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٨ ، ص١٥ .

(٦) - مراد عبد الرحمن مبروك ، المصدر السابق نفسه ، ص٩٢ .

المبحث الأول
الانتظار دينيــاً

الانتظار في العصور القديمة :

يمتلك الدين ومنذ العصور الأولى لتأريخ البشرية تأثيره الباطني في الانسان ، بل ان المسار الحياتي لهذا الانسان بتعددية اتجاهاته الفكرية والاخلاقية الى جانب علاقاته الاجتماعية ، يقف وراءه الدين بمحرماته ومسموحاته كافة ، حرامه وحلاله ، فضلاً عن ذلك له قابلية الغور عميقاً بهدف الكشف عن محددات طبيعة حياتية معينة ورسم مقتضياتها البيئية وخلفياتها الثقافية ، بل يصل الامر بالدين ان يسهم في تحديد التوجهات السياسية للانسان ورسم ابعاد حياته الحاضرة والمستقبلية الخاصة منها والعامة .

على الرغم من ان الدين بدأ عبارة عن طقوس كان الانسان القديم يمارسها ، الا ان هذه الطقوس الدينية كانت مرتبطة بفكرة التعبد ، هذه الفكرة التي تعد صفة فطرية خُلق الانسان عليها ، ولقد اشار القرآن الكريم في آيات عديدة الى فطرة التعبد مثل قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِ ِيّنِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَ ْيهَا لا تَ ْبِيلَ لِ َخْلقِ اللَّهِ ذَلِكَ اِيّنُ الْقَ ِيّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُ ونَ﴾[1].

ان المتتبع للاطوار الاولى التي مرت بها المجتمعات القديمة يعرف ان " فكرة التعبد من الغرائز البشرية التي فطر عليها الانسان منذ نشأته الاولى .." [2] ومن الصعوبة بمكان دراسة تاريخ مجتمع ما دون التوقف اولاً عند عباداته الدينية وطقوسها ، لاننا " قد نرى في السابق ، او الحاضر ، مجتمعات انسانية لاحظ لها من علم او فن او فلسفة ولكنا لا نعرف مجتمعاً لا دين له" [3] .

ولم يتوقف الامر على دين واحد تتفق عليه البشرية منذ نشأتها ، بل تعددت الديانات بين الشعوب ، واصبحت هذه التعددية الدينية من العلامات البارزة لتأريخ المجتمعات كافة ، ومن ظواهرها المؤثرة في طبيعة حياة هذه الشعوب المختلفة من حيث العادات والسلوك والمعتقدات ، بل نجد الاختلاف حتى في مستويات الايمان وتقبل هذه العبادة او تلك . فضلاً عن ذلك ، يتلمس المتتبع التساؤلات الاولى التي قادت الى محاولات الكشف والتمحيص المرافقة للكثير من التأملات الكونية والوجودية على اختلاف اتجاهاتها المتناقضة ، والتي اسهم الفكر الانساني بعد ذلك في ابرازها عبر مراحل وعصور تأريخية متعاقبة بدأت من عصور السلالات القديمة حتى وقتنا الحاضر .

وفي هذا الصدد يرى فراس السواح ۞ : " ان الدين والفكر الديني ليس مرحلة منقضية من تاريخ الفكر الانساني ، بل هو سمة متأصلة في هذا الفكر ، واذا كانت هذه السمة قد اعلنت عن نفسها زمنياً قبل غيرها ، فكان الدين مصدراً بدئياً للثقافة الانسانية ،

---

(١) - القرآن الكريم ، سورة الروم ، آية ٣٠ .

(٢) - Denis Saurt : "Histoire des religions" , Paris, Denoel, ١٩٣٣, P.٦٦ .

(٣) - هنري برجسون ، منبعا الاخلاق والدين ، ترجمة سامي الدروبي وعبد الله الدايم ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧١ ، ص١١٣ .

۞ - باحث وكاتب لبناني ، متخصص في دراسة الاديان والاساطير القديمة ، وله العديد من المؤلفات المشهورة في هذا الجانب ، وسيمر الباحث على الأغلب منها بالاقتباس والاشارة

فأن كل المؤشرات تدل على انه مازال حياً ومؤثراً بطريقة لا يمكن تجاهلها " [١] وسيبقى كذلك طالما انه اكتسب هذه السلطة والهيمنة الروحية على عقل وذات الانسان وعلى البنى التحتية والفوقية لحياته قاطبة .

وطالما ان البداية " تعني النقطة الزمنية التي تؤشر على منحى المسار المادي لكينونة الفعل المتحقق سلوكياً ، والمنتج للشيء او الموضوع او الحدث" [٢] فأن البحث يبدأ من تلك (النقطة الزمنية) التي أشّرت ذلك المسار المادي للحياة الانسانية منذ عصورها الاولى (العصور البدائية) كما يطلق عليها في العادة ✿✿ فكلمة (بدائي) مثلاً يشير لها (برتشارد) : " للدلالة على شعوب تعيش في مجتمع مصغر وثقافة مادية بسيطة جداً تفتقد الكتابة " [٣] فالمرحلة البدائية وعلى وفق هذا المضمون ، هي مرحلة ما قبل اكتشاف الكتابة ، في حين ان آخرين من الأناسيين ✿ يشيرون الى (الوعي) قبل الكتابة ، مثل (ليفي شتراوس) الذي يصف (البدائية) بمرحلة (ما قبل الوعي) او (المجتمعات البرية) [٤] .

لقد مر (الدين) بمرحلته الطقوسية الاولى تلك التي سبقت مرحلة الاديان السماوية ، كان الانسان قد مارس خلالها عبادة ما حوله في الطبيعة ، مكوناتها وقواها ، فمثلاً ميل الانسان الى عبادة الظواهر الطبيعية المحيطة كالبرق والرعد والصواعق وما صاحب هذه العبادة من عامل الخوف منها بلا شك ، الامر الذي قاده بالتالي الى اتكوين فكرة الدين بصورتها التعبدية الاولى . كذلك كان لتعاقب الليل والنهار ، وما اسهمت هذه التعاقبية في تحريك الانتظار اليومي لدى الانسان القديم " فنراه جعل لّليل الهاً ولّلنهار الهاً .. إله النهار هو المنقذ له من إله الليل بوصف الاخير ، الشر العظيم .." [٥] .

ومما ساعد في تعزيز هذا النوع من العبادات هو احتكاك الانسان المباشر بما حوله بمثل هذه الظواهر واعتقاده انها هي التي تتحكم به وبمتطلبات معيشته ، مما جعل هذا (الاعتقاد believe) البسيط يسهم في تحقيق غاية دينية مفادها تكريس الحياة وتنشيط

---

(١) - فراس السواح ، دين الانسان – بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني ، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة ، ط٣ ، ١٩٩٨ ، ص٢٢ .

(٢) - ريكان ابراهيم ، علم النفس والتاريخ ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٨ ، ص٩ .

✿✿ -وجد الباحث تسميات عديدة تخص هذه المرحلة (البدائية Primitive) منها ما ذكرها مونتاغيو من اصطلاحات بدائل لكلمة (بدائية) مثل : اولية ، وهامشية ، وشعوب الارض اللاكتابية والانسان البدائي أي انسان ما قبل التاريخ وغيرها .. للمزيد ينظر : اشلي مونتاغيو ، البدائية ، تر : محمد عصفور ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، العدد ٥٣ ، ١٩٨٢ ، الصفحات : ٦١،٦٠،٥٩،١٥،١٣،٩،٨ . الى جانب تسميات اخرى ولباحثين آخرين يجدها القارئ في متن هذا البحث – الباحث

(٣) - ايفنز – برتشارد ، الأناسة والمجتمعية – ديانة البدائيين في نظريات الأنّاسين تر : حسن قبيسي ، دار الحداثة ، لبنان – بيروت ، ط١ ، ١٩٨٦ ، ص١٧٢ .

✿ - نسبة الى مصطلح (الأناسة Antropologie) ويعني كاستخدام امثل لها :" الاسلوب العام لحياة جماعة او مجتمع معين في مكان وزمان محددين ..." او ان الانتروبولوجيا هي علم دراسة الانسان طبيعياً واجتماعياً وحضارياً .. للمزيد ينظر : حسين فهيم قصة الانثروبولوجيا ، فصول في تأريخ علم الانسان ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، العدد ٩٨ ، ١٩٨٦ ، ص١٨ وص٢٠ . ولقد اشار شتراوس الى انه في عام ١٨٥٨ " كان قد ولد رجلان ، فرانز بواس واميل دركهايم شهدت لهما الاجيال فيما بعد بانهما كانا – الاول في امريكا والثاني في فرنسا – المنشئين ، ان لم يكن المؤسسين للأناسة كما نعرفها اليوم" ص٦٢ من كتاب شتراوس (مقالات في الاناسة) تر : حسن قبيسي ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت لبنان ، ط١ ، ١٩٨٣ . اما برتشارد فذكر انه في عام ١٩٠٨ خُصص اول كرسي جامعي حمل اسم الاناسة المجتمعية في ليفر بول وقد شغله (السيرجيمس فريزر) . للمزيد ينظر برتشارد ، مصدر سابق ، ص٩ .

(٤) – ليفي شتراوس ، الفكر البري ، مصدر سابق .

(٥) - فالح مهدي ، البحث عن منقذ ، دار ابن رشد للطباعة والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨١ ، ص ص : ١١،١٠ .

ارادة العيش والعمل فيها ، انطلاقاً من ان الدين من شأنه توفير الراحة والطمأنينة والثقة ، الى جانب اسهامه في تلاحم المجتمع واستمراريته ، وهنا تكمن قيمته .

وعلى الرغم من الدور البارز الذي يمكن ان يؤديه الدين في النمو الحضاري والثقافي لدى شعوب العالم قاطبة ، الا ان هناك من كان يقف ضده ، معلناً موقفه المعارض للدين ولفعله الحضاري والثقافي ، بل منهم ممن يعنون بدراسة الانسان والمجتمعات القديمة مثلاً - من هؤلاء الانثروبولوجيين نذكر : تيلور ، وفريزر ، ودركهايهم ، وليفي برويل ، وفرويد ، وسبنسر- قصدوا في اغلب الظن الى السخرية والتصغير من قيمة الديانات والمعتقدات القديمة ".. كانوا لا ادرّين أو ملحدين . فلم يكن للديانة البدائية { القديمة } في نظرهم قيمة مختلفة عن قيمة المعتقدات الدينية الاخرى كانت وهماً من الأوهام ... كانوا يرون ان كل معتقد ديني امر سخيف .." [١] بينما نجد لدى غيرهم رأيا آخر ، فمثلاً يقول (مونتسكيو) : " انه حتى لو سلمنا بان الدين مبنيّ على اكذوبة ، فمن الممكن ان تكون له وظيفة مجتمعية مفيدة كل الفائدة ." [٢] هذا الى جانب ما أشاعه عدد من الأناسيين عن عدم أهمية الدين ، وما الدين الا من اختراع البشر انفسهم ، وان العلم والدين متضادان ، وزوال الدين قريب ولكن مسألة وقت .. [٣] .

يقول ماكس مولر ۞ (١٨٢٢ – ١٩٠٠) في كتابه (نشأة الدين ونموّه) : " الدين هو محاولة تصور ما لا يمكن تصوره ، والتعبير عما لا يمكن التعبير عنه ، هو التطلع الى اللانهائي هو حب الله ." [٤] عبر هذا المفهوم ، تكون جل التصورات القديمة على وفق المفهوم الغيبي ، المرتبط بالقوى الغيبية المحيطة بالمجتمعات القديمة ، تلك القوى الخفية التي يلتجئ اليها الانسان دوماً في تفسيره لبعض الحوادث التي تصادفه .

كما يمكن الاشارة ايضاً ، الى ان هذه التصورات كانت جماعية الطابع ، ولا اختلاف عليها .

ان الايمان الغيبي يحيط بالانسان القديم من كل جانب ، فكان يُرجع سبب الموت مثلاً ، الى فعل قوة غيبية ، ما عدا موت المقاتل ، او انه – أي الموت – يحدث بسبب افعال شيطانية مسحورة ، كذلك ان الحادث العارض لديهم يكون نتيجة سحر شديد او تأثير فوق طبيعي . زيادة على ان سبب المرض الذي يصيب احدهم ، انما يرجع الى بلّورة سحرية دخلت جسم المريض ويجب اخراجها عن طريق المص [٥] .

ان هذه القوى الغيبية لا تمارس سلطتها على الواقع اليومي للانسان القديم فحسب ، وانما تتدخل في رسم الاحداث القابلة لهذا الانسان ، وتجعله يعيش انتظاراً محفوفاً بالترقب واللهفة ، فيؤكد (بريل) ان " هناك مظاهر اخرى اكثر مباشرة واكثر اطراداً ، وبوساطتها تخبر هذه القوى بما سيقع للاحياء ، وكأنها تتخذها وسيلة لانذار الفرد او

---

(١) - إ . ايفنز – برتشارد ، مصدر سابق ، ص ص : ١٦٧ ، ١٦٩ .

(٢) - إ . ايفنز – برتشارد ، المصدر السابق نفسه ، ص٢١٠ .

(٣) - برتشارد ، المصدر السابق نفسه ، ص ص٢٧٢ ، ٢٧٣ . وللمزيد ينظر : رمسيس عوض ، الألحاد في الغرب ، سينا للنشر – القاهرة ، الانتشار العربي – بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧ . وعبد الرحمن بدوي ، تاريخ الألحاد .

۞ - ماكس مولر : فيلسوف ومؤرخ اديان الماني ، له مؤلفات عديدة في هذا المجال .

(٤) - Max Maller : "Origine et developpement de la religion", Londres, Prais, ١٨٧٣ . Lecon I, Chapitre . IV, P. ٢٥٢ .

(٥) - للمزيد ينظر : ليفي بريل ، العقلية البدائية ، تر : محمد القصاص ، مراجعة : د. حسن الساعاتي ، مكتبة مصر ، ب ت ، من ص٢٤ – ص٣٠ .

المجموعة بما سيحدث ، ومن هذه الظواهر الاحلام والفؤول سواءً اكانت ميمونة ام مشئومة " [١]

فالانتظار ارتبط والحال هذه ، بالاحلام والفؤول ، لان الانسان القديم كان يعتقد ان الاحلام هي الوسيلة التي تضعه في علاقة مباشرة مع القوى الغيبية ، وهنا يكون فعل الانتظار الجماعي بمعناه العام والأولي ، قد بدأ يضع اولى خطواته في الفكر الانساني القديم ، ويتعمق هذا المعنى اذا عرفنا ان من طبائع هذه القوى انها لا تُرى ولا تُدرك بالحواس ، بل يخضع لها الانسان منتظراً ما ستؤول اليه حياته نتيجة تحكم هذه القوى به وبمستقبله.

وتزداد اهمية هذا الانتظار الجماعي اذا عرفنا انه يرتبط دائماً بمنفعة حياتيه قابلة للتحقق ، فانتظار زمن سعيد قادم مثلاً ، حيث الامطار الوفيرة والزراعة الدائمة وقلة الحوادث العارضة او عدمها ، الى جانب طرد الارواح الشريرة وعدمها هي الاخرى ، أي كل ما يمت بصلة بأسباب الحياة السعيدة ، الاسباب المادية ، لان الزمن عند الانسان القديم وحسب بريل ، غير ذي اهمية ، فلا ماضي ولا حاضر ولا مستقبل ، فقط هناك زمن سعيد وزمن منحوس وفي كلا الزمنين علاقة بالقوى الخفية[٢] .

اما اذا لم يتحقق ما كان منتظَراً ، فيكون السحر هو السبب ولا شيء غيره ، أي وجود قوى غير مرئية كالارواح الشريرة مثلاً ، كذلك كان للفؤول اثرها في الاعلان عما سيحدث مستقبلاً .

في ضوء ما تقدم ، يرى الباحث ، ان الانتظار لدى انسان العصور القديمة يميل الى الصفة الجماعية في الانتظار ، على وفق الحاجة الحياتية الجماعية هي الاخرى ، بهدف مسيرة الحياة على الوجه المطلوب ، وبتوفير مستويات افضل واحسن لطبيعة الحياة. زيادة على ان هذا الانتظار الجماعي لديهم قائم على الفؤول والسحر والاعتقاد بالقوى الخفية المتحكمة بأمورهم الحياتية .

لقد اتسمت العقلية القديمة بطابع الاتفاق الجماعي حول جل التصورات والمعتقدات العبادية الدينية الاولى ، تلك المعتقدات المرتبطة بالمرحلة الفطرية او الغريزية التي مر بها المجتمع البشري ، حيث الانقياد التام للحاجات الغريزية الحيوانية في كل ما يمت بصلة لمتطلبات المعيشة ومسيرتها . ولم تحدث حينها اية تأملات عقلية لما يدور وسط البيئة وتقلباتها ، بكلام آخر ، وجود العلة بلا معلول ، ولم يحن الوقت للبحث عن الاسباب ، لان الانسان القديم كان في " عصره الفطري فاقداً للاختلاف في المصالح والاختلاف في العقيدة .. لعدم وجود المستوى الذهني الكافي لفهم ذلك .. او اذا كان عندهم عقيدة بسيطة فليس لهم المستوى الكافي لفلسفتها ومناقشتها ، فهم جميعاً يتسالمون على صحتها ... وبمجرد ان وجد المستوى الكافي للتفكير ، وجد النزاع بينهم بطبيعة الحال ، .. أي ان الاختلاف وجد بعد انتهاء عصر القصور الذهني " [٣] .

ومع وجود هذا الاختلاف ، بدأت التعددية في المعتقدات ، التي ادت بالتالي الى تعددية الديانات .

---

(١) - ليفي بريل ، المصدر السابق نفسه ، ص٩٧ .

(٢) - للمزيد ينظر : ليفي بريل ، المصدر السابق نفسه ، ص٩٢ .

(٣) - محمد الصدر ، اليوم الموعود بين الفكر المادي والديني ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت – لبنان ، ١٩٩٢ ، ص٤٢٦ .

ان الانسان بامتلاكه الخصائص التي تميزه عن الحيوان ، استطاع الانتقال من المرحلة القديمة الى مرحلة اخرى من الوعي . ويمكن حصر هذه الخصائص في قوة الذاكرة ، وتنوع اصواته الناطقة ، ولا وجود للتحديد الغرائزي (كالسبات في الفصول) او الاستطاعة الجنسية ، وقوة العاطفة ، والحركات الجسمية ، وقابلية الافادة من التجارب السابقة [١] .

كل هذه الخصائص ، أهّلت الكائن البشري للانتقال من مرحلة الى اخرى بهدف تكوين المجتمعات الواعية المفكرة . وقد اثرت التجربة الانسانية في هذا الانتقال حيث الافادة من الماضي والحالي وصولاً لتكوين العصر القادم عبر تعاقبات تاريخية مختلفة الى جانب المعتقدات والاديان المختلفة هي الاخرى .

لقد بدأت تظهر لنا شيئاً فشيئاً المكونات الاساس للدين وهي :

المعتقد ، والطقس ، والاسطورة [٢] وبفرز المعتقد بوصفه شأناً جمعياً بالضرورة تبنته اجيال متعاقبة ومتلاحقة منذ العصور القديمة الى ما بعدها ، وفي هذا يرى (برتشارد) ان اكثر الشعوب البدائية تؤمن بان للمخلوقات والاشياء نفساً كنفسهم .وان فكرة الاله موجودة عند أغلظ البدائيين الذين يتعاطون القنص واللقاط .. وان الديانة البدائية كانت مسألة عقلانية وانها نجمت عن معاينات حسية ، وانها تشكل بداية لفلسفة الطبيعة. [٣]

وكثير من الباحثين الذين يدرسون نشأة الاديان وعلومها يرون ان التوحيد هو منشأ الاديان ، وما حدث من انحرافات دينية عن هذا المبدأ طارىء على جوهر الدين " ولا عجب اذا في ان تنتشر بعد ذلك مذاهب بعيدة عن التوحيد ، وان تكون العودة اليه هي دائماً عودة الى الفطرة الاولى " [٤] او عودة الى مرحلة الغريزة التي اعتقدت بالغيبيات لكن بطريقة بسيطة وليست محتكمة الى العقل والتفسير بل اكتفت بما هو معلن ومتفق عليه .

اما ما يتعلق بالمكونين الآخرين للدين : الطقس والاسطورة ، فهما ليسا نتاجاً لملكة خرافية " بل ان قيمتيهما الرئيسية هي حفظهما حتى عصرنا هذا وعبر أشكال مترسبة على انماط من التفكير والمعاينة كانت ولم تزل صالحة لنوع معين من الاكتشافات التي سمحت بها الطبيعة انطلاقاً من تنظيم العالم المحسوس واستثماره التفكيري بصيغ المحسوس نفسه ." [٥] وبهذا يمكن – وعبر هذه الطقوس والاساطير – الامساك باكتشافات المعتقدات الدينية وانماط تفكيرها بهدف الامساك بمكونات الدين الاساس .

تجدر الاشارة الى ان غالبية من درسوا الديانات القديمة وقارنوا فيما بينها وجدوا ما سمي بـ(ديانات الخلاص) ، حيث كان الانسان القديم يبحث عن (خلاصه) دائماً ، وفي واحدة من هذه المحطات المهمة نُشير الى (الموت) بوصفه محطة خلاص اخيرة ،ومرجعه الدائم الى فعل قوة غيبية سار الجميع على الاعتقاد بها .

---

(١) - للمزيد ينظر : محمد الصدر ، المصدر السابق نفسه ، ص ص : ٤٤٤ ، ٤٤٥ .

(٢) - ينظر: فراس السواح ، دين الانسان ، مصدر سابق ، من ص٤٧-٧٠ .

(٣) - للمزيد ينظر : برتشارد ، مصدر سابق ص ص : ١٨٢ ، ١٨٣

(٤) - محمود كحيل ، المثال أو النموذج بين الانساني والالهي في الفكر الحضاري القديم ، مجلة عالم الفكر ،الكويت ، العدد ١ ، المجلد ٣١ ،٢٠٠٢ ، ص١٢٧ .

(٥) - كلود ليفي ستراوس ، الفكر البري ، نقله الى العربية وعلق عليه : نظير جاهل ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٤ ، ص ٣٧ .

فالانسان النياندرتالي مثلاً – قبل ظهور الانسان العاقل – " كان يدفن موتاه وفق طقوس خاصة ويضع في قبورهم بعض الطعام والشراب ، مما يدل على اعتقاده بان الموت ليس الا معبر من حالة الى حالة ومن عالَم الى عالَم . كما تُقدم لنا حفريات العصور القديمة بينات كثيرة على طقس واعتقاد مماثل .." [١] الى جانب فكرة خلود الروح التي كان الانسان مأخوذاً بها ، حيث الخلاص من عالم المادة الى عالم ذي طبيعة مغايرة .

مما تقدم ، نفهم ان الانسان القديم كان يعيش حالة انتظار دائمة للموت ، للخلاص ،لحياة ثانية جديدة ، وحالة الانتظار هذه لا يتحكم بها أحد سوى مرجعية الموت الغيبية ، والتي تسمى في العادة ، القدر ، الامر الذي يقودنا لتسمية هذه الحالة بـ(الانتظار القدري) ،الذي يميل هنا الى صفة فردية الطابع ، على عكس (الانتظار الجماعي) ، لان الموت ينتظره الأفراد كلٌ حسب ظروفه وقدره ، بينما لا يحدث الموت جماعياً الا في حالات نادرة وأستثنائية كالحروب والكوارث الطبيعية والامراض المعدية وما شاكل ذلك .

وبنظرة سريعة الى مختلف العصور التاريخية نجد الظاهرة الانتظارية قابعة وراء معتقد الخلاص كثيراً ، بوصف هذا المعتقد هو السائد في مثل هذه الفترات التاريخية . فنجد لدى البابليين مثلا ، سيادة هذا المعتقد بين ثنايا الانتظار القدري لفكرة الموت في "ديانات الخصب التي تقوم أساساً على فكرة موت الطبيعة وبعثها المتكرر ، الذي هو انعكاس لموت الاله وانبعاثه من جديد " [٢] كالذي يحدث في اسطورة هبوط عشتار الى العالم السفلي ، وبعثها _أي عشتار _ ديموزي من جديد ليجدد الحياة سنويا .

كذلك رأى البابليون في انبثاق القمر وتجدده الشهري في حالة جديدة دائمة انه يهب الانسان القديم املاً غامضاً في السير على منواله والبعث بعد الهبوط الى باطن الارض .

وعلى الرغم من انه في " التصورات السومرية والبابلية كانت غامضة لديهم فكرة الخلود والعالم الاخر حتى ظهور المسيح الذي حرر الموتى وفتح امام البشرية بوابة السماء " [٣] الا ان معتقد الخلاص كان مرسّخاً ومركّزاً لطقس ديانات عديدة ، مثل (ديانات الاسرار) التي شاعت في الشرق القديم والعالم اليوناني والروماني في القرون القليلة السابقة لميلاد المسيح ، وكما يسميها السواح (معتقدات الخلاص والنشور الى عالم آخر) .

فالجميع كان يسكنهم الانتظار على وفق منظومة حياتية قدرية ووفق طقوس خاصة ومتعددة ، ففي الوقت الذي كان يحتفل فيه اتباع ديانات الخصب ببعث روح الخصوبة لتدفع عنهم جوع عام آخر ، كان اتباع ديانات الخلاص يحتفلون ببعث المخلص الذي يفتح لهم بوّابة الابدية .

اما في الشرق الادنى القديم ، فنجد الديانة الاوزيرية المصرية بوصفها اوضح مثال على معتقدات الخلاص الشرقية ، فأوزوريس يعده المصريون الأله المُخلّص الذي يحكم العالم الاسفل ، الى جانب كونهم يعيشون حالة انتظار دائمة بحكم ارتباطهم معيشياً

---

(١) - فراس السواح ، لغز عشتار –الالوهة المؤنثة واصل الدين والاسطورة ، سومر للدراسات والنشر والتوزيع ، قبرص ، نيقوسيا ، ط٢ ، ١٩٨٦

(٢) - ريتا عوض ، اسطورة الموت والانبعاث في الشعر العربي الحديث ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ، ط١ ، ١٩٧٨ ، ص ٢٥

(٣) - فراس السواح ، لغز عشتار ... ، مصدر سابق ، ص٣٨١ .

بنهر النيل الذي يعود دائماً بعد امحال ليؤوب ومعه الخيرات والبركات بعد جوع وعطش شديدين .

فضلاً عن ذلك ، هناك التقلبات المناخية التي ألزمت الفلاح المصري في ان يكون في حالة انتظار مستمرة " فنظرة واحدة الى انتظار الفلاح المصري لفيضانات النيل وتوقعه وترقبه لاخطار الفيضان الجامح او الضعيف نعرف من خلالها كيف آمن هذا العقل بالانتظار ، فهو يعيش تحت رحمة النيل ونزواته " [١] ولذا لابد ان يكون دائم التوقع والترقب ، فحياته وحياة من حوله مرهونة بالقادم خيراً كان او شراً .

آمن المصري القديم بالبعث والخلود ، وان الفكر المصري القديم وجد " ان في مقدور الانسان ايضاً ان يعود الى الحياة بعد موته ، وكان بقاء اجسام الموتى بصورة تسترعي النظر في ارض مصر الجافة مما ساعد على تثبيت هذه العقيدة التي ظلت مسيطرة الى ان انتقلت منهم الى الدين المسيحي " [٢]

وقد هيمنت فكرة الخلاص ايضاً على العقل المصري القديم ، لان ايمان العقل المصري بالآخرة جعله يؤمن كل الايمان بانتظار هذه الحياة التي سوف يحياها بعد محاسبته ، لقد كان همه في حياته الدنيوية هو الاستعداد لحياته الخالدة التي سوف يحياها في الآخرة . وهذا يؤكد لنا معرفة المصري القديم بالبعث والثواب والعقاب في الآخرة ، انه ينتظر الآخرة ، " ولعل المصريين هم اول من اعتقد بحياة اخرى فيها الثواب والعقاب بعد الموت " [٣] .

واذا انتقلنا الى اليونانيين والرومانيين فسنجد ان ديانات الخلاص كانت شائعة لديهم ايضاً ، فما بين عامي ٢٠٠ق.م – ٢٠٠م وجد عدد من هذه الديانات ، نذكر منها [٤] :

١. ديانة ميتر المخلص الشمسي الذي غزا الامبراطور الروماني قادماً من فارس
٢. الديانة الاورفية التي نشأت في قلب ديانة الخصب الديونيسية ثم استقلت عنها وحولت إلهها ديونيسوس إله الخصب والكرامة والخمر الى إله مُخلّص .
٣. ديانة الإلهة سيبيل وابنها آتيس ، ثالث اكبر ديانات الخصب في العالم اليوناني والروماني . وفي هذه الديانة ايضاً نشأت حلقات سرية لمعتقد الخلاص ... ويذكر ان إله الخصب (آتيس) قد تحول في معتقدهم الى إله مُخلّص ...

زيادة على الى وجود معتقد ديني هو (الهرمسية Hermetisme) نسبة الى"هرمس Hermes وهو إله إغريقي متعدد الوظائف والمجال والاختصاصات ويرمز الى المعرفة الكلية والتأويل الشامل ، ورسول الحكمة الى الناس ، انه ايضاً رمز الكلمة التي تنفذ الى اعماق الوعي " [٥] .

---

(١) - محمد عبد الله حسين ، مصدر سابق ، ص ١٥.
(٢) - ول ديورانت ، قصة الحضارة ، تر : محمد بدران ، مجلد رقم ٢ ، ج١ ، ط٢ ، القاهرة ، ص٩٢ .
(٣) - تقي الدباغ ، الفكر الديني القديم ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط١ ، ١٩٩٤ ، ص١٤ .
(٤) - للمزيد ينظر : فراس السواح ، لغز عشتار ... ، مصدر سابق ، من ص٣٨٦-٣٨٨ مع وجود نظرية خاصة توضح مرجعيات ديونيسيوس الاسطورية والمراحل الثلاثة التي مر بها ديونيسيوس منذ العماء البدئي ... ص٣٨٧ .
(٥) - امبرتو ايكو ، التأويل بين السيمائيات والتفكيكية ، ترجمة وتقديم سعيد بنكراد ، المركز الثقافي العربي ، ط١ ، ٢٠٠٢ ، ص١٣٨ . (وبالاضافة الى ذلك فهو إله الفصاحة ورمز التعدد والتأويلي والمعرفة الآتية من كل اصقاع الكون) ص١٣٨ .. المصدر نفسه . وفي هذا الصدد يشير الباحث الى ما ذكره (محمد عابد الجابري) في كتابة (بنية العقل العربي) من ص٢٦١-٢٦٣ ، على ان الولاية الاسلامية مثلاً لها مرجعية هرمسية ، وما

ولدى العرب القدماء ، الكثير من المفاهيم الدينية المنطلقة من فكرة (التوحيد) نفسها ، ذات المنشأ الواحد للاديان كافة ، على الرغم من التعددية المتعاقبة للاديان ومرورها بأطوار من التأثر المتواصل ، لذا كان من البديهي أخذُ العرب القدماء مثلاً " عن الشعوب السامية المجاورة وغير المجاورة من اليونانيين وتسرب انماط من التفكير الديني الوثني ، والتصورات الاسطورية التي تنحو نحو نمذجة الاشخاص من البشر ، او تأليههم ، او انسنة الآلهة السماوية المقدسة " [١] وما ذاك الا استمرارية تأثرية متواصلة كان لها حضورها – فيما بعد على تفعيل بعض المفاهيم والظواهر الدينية ، كالانتظار مثلاً ، بوصفها واحدة من هذه الظواهر الدينية ذات الحضور الدائم في العصور والحقب التاريخية المختلفة كافة.

يرى جواد علي : " ان اثر الديانة اليهودية لم يكن ليتعدى طبقة المثقفين من أهل الجاهلية العرب ، الذي كان لهم رأي وبصر وتفكر في شؤون الحياة ، وان هذا الاثر ... قد انتقل الى العرب الجاهليين عبر بعض الشعراء اليهود ، وكان من ابرزهم (السموأل بن عاديا) صاحب حصن الابلق في تيماء ، و (اوس بن دنن) و(سارة) القرظيين ، وكعب بن الاشرف وغيرهم " [٢] وان العرب في شبه الجزيرة لم يكونوا في عزلة تامة لدرجة انعدام التلاقح الفكري في العقائد والمفاهيم الدينية والاسطورية التي نشأت بعيداً عن العرب " فوجود اليهود والنصرانية واتباع كل منهما ... يؤكد الصلة بين العرب والشعوب المتاخمة لهم مثل سكان العراق وفلسطين والشام ومن ثم التأثر بهم وبمعتقداتهم كما ان هناك نفر من العرب القدماء كانوا لا يميلون الى عبادة الاصنام او الاعتقاد بالالهة المتعددة ، مثلما كان يفعل سائر العرب القدامى وانما اخذوا يفكرون ويبحثون عن الحقيقة وكان منهم من يعتقد بالاله الواحد ، وهم اتباع الحنيفية ۞ ، وقد سموا بالحنفاء ، امثال الاديب والخطيب العربي ، والواعظ (قس بن ساعده) .

مما تقدم ، يرى الباحث ، ارتباط ظاهرة الانتظار بالمفهوم الديني لان الدين كان وحده المفتاح الاساس لفهم واقع المجتمعات القديمة بكل مجالاتها وارتباط تلك المجالات بالمعتقدات والعادات الحياتية والسلوك الانساني المقترن بلون من الوان الشعور الديني المتوارث عبر تأثيرات السابق على اللاحق .

رؤيا (هرمس) الا دليل على ما ذهب اليه الجابري . وما استنتاجه هذا الا الدليل الواضح على سلسلة المفاهيم الدينية وتراتبها التاريخي والاثر الذي يتركه السابق على اللاحق في تسرب انماط من التفكير الديني المتقارب في الاغلب .

(١) - محود كحيل ، مصدر سابق ، ص١٤٢ .

(٢) - جواد علي ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٥٦ ، ج٦،ص٩٣

۞ - الحنيفية : هم جماعة من العرب اعتقدوا وجود أله واحد ، وكانوا على دين ابراهيم (ع)

٢- الانتظار في الديانات السماوية والوضعية :

١-٢- الديانات السماوية :

١-١-٢ الديانة اليهودية :

يعد الدين اليهودي اول دين سماوي هابط من السماء ، ولقد ذكرت الكثير من الدراسات المختصة ان لهذا الدين جذوره واصوله التاريخية المتأثرة جداً بالديانة (الآتونية)✿ التي شاعت ابان فترة حكم الملك (اخناتون) الرابع ، الذي خلف اباه حوالي ١٣٧٥ ق.م .

توجه الناس الى عبادة (آتون) إله الشمس ، نتيجة للثورة الدينية التي قام بها (اخناتون) في العام السادس من حكمه ، امراً الناس الى توحيد جميع الآلهه المعبودة انذاك وحصرها في (آتون) ، لاسباب عبادية واقتصادية كادت تؤثر في عائلة (اخناتون) الحاكمة [١] .

وكان لمسألة حصر العبادة وتوحيدها في إله واحد ، اثرها المباشر في تقريب الناس اكثر من فكرة التوحيد ، تلك الفكرة الاساس التي جعلت منها الاديان كافة – وخاصة السماوية – قاعدتها الرصينة .

كذلك تأثرت الديانة اليهودية " بالفكر الديني المنتشر في بابل قبل ان يهاجر ابراهيم الخليل من العراق .. ثم تأثرت بالفكر الديني الكنعاني المنتشر في فلسطين عقب استقرار اليهود فيها زمناً ، وكذلك بالفكر الديني الهندي والمصري والزرادشي"[٢] .

ويعد (يهوه)✿✿ المخلّص الاول لبني اسرائيل ، لان انبياء بني اسرائيل كانوا يتحدثون عن (يهوه) في حماس واعجاب شديدين ، وينتظرون اليوم الذي يتجلى فيه بقوته الحقيقية ، عندما يأتي في العاصفة مطلقاً الرعب واللهب ، محطماً قوى الوجود ويخر له البشر سجوداً لا راد لقضائه . وان هذا اليوم سيكون يوماً مشهوداً لا مثيل له اذ فيه يتدخل (يهوه) في مجرى التاريخ البشري وينتصر على الوثنية ، فيعظّم شعبه ويبدأ عصر جديد من الرخاء والتقوى والسلام [٣] .

وتجدر الاشارة ، الى ان هناك من المخلّصين ، ممن لمعوا في سيرة الديانة اليهودية وأدوا دوراً رئيساً في تعزيز فكرة التوحيد الالهية وترسيخها ، وكان الناس حينها ينتظرون منهم الشيء الكثير وخاصة فيما يتعلق بفكرة الخلاص ورسم المستقبل المشرق بكل تنّؤاته ، وهم : النبي نوح (ع) ، والنبي موسى (ع) ، وكورش الفارسي.

مع الاخذ بالحسبان ، ان مفهوم الخلاص مع هؤلاء المخلّصين لم يأخذ مداه الموضوعي ضمن الاطر المفاهيمية لظاهرة الانتظار ، بمعنى ان هؤلاء لم يكونوا مُنتظَرين من قِبل الناس ، بل انهم قاموا بفعل التخليص والانقاذ اثناء مدة وجودهم زمنياً

✿ - الآتونية : نسبة الى إله الشمس (آتون) ، اسمه يدل على كائن مادي ، فقد استعمل للتعبير عن معنى تجريدي ، وقد رمز اليه باشعة الشمس التي تتدلى من قرص الشمس حيث تنتهي بأيد تقدم رمز الحياة الى العابدين ، وكانت المعابد الآتونية مفتوحة للسماء لتيسر عبادة الآلهة في صراحة واضحة بمنأى عن الغموض .

(١) - للمزيد ينظر : فالح مهدي ، البحث عن منقذ ، مصدر سابق ، من ص١٩-٢٢ .

(٢) - فالح مهدي ، المصدر السابق نفسه ، ص٨٥ .

✿✿ - يذهب ول ديورانت الى ان الاسم (يهوه) هو احد الالهة الكنعانيين ، ويؤيد ذلك وجود قطع من الخزف من بقايا العصر البرونزي (٣٠٠٠ سنة ق.م) عليها اسم إله كنعاني يسمى (ياه) او (ياهوا) .

(٣) - للمزيد ينظر : فالح مهدي ، مصدر سابق ،ص ص :٩١ ، ٩٢ .

، باستثناء (النبي موسى ع) الذي تعرضت حياته لحالة غياب مؤقت ، والعودة ثانية الى الحياة ، حينما رُمي في الماء خوفاً من فرعون ، ليعود بعد ذلك بطريقة اعجازية .

وينوه الباحث ، عن وجود تشابه قائمٍ بين عدد من المخلّصين ، كلٌ حسب تاريخه وهو التشابه في ظروف الولادة وتعزيز فكرة الغياب والعودة المؤقتة ، لكل من (النبي موسى ع ، وسرجون الاكدي ، وكرشنا) فبالرغم من التباعد الزمني بينهم واختلاف دياناتهم الا ان ظروفهم متشابهة فكل منهم وضع في سلة ورُمي في الماء .. غياب عن الحياة ثم العودة اليها في ظروف صالحة ، وهذا ما حصل لكل منهم [١] .

اما ما يتعلق بمسألة المستقبل والاهتمام بالتنبؤ ، وهذه ميزة في الديانة اليهودية ، فان المستقبل لديهم (نموذجي مطلق) [٢] ، ولقد كشفت (التوراة) المتداولة نبوءات بالمستقبل المشرق " جاءت على لسان داود عليه السلام ، ووقع مثلها في كلام سليمان عليه السلام ... وفي العصر المتأخر عن السبي البابلي ، تنّبأ أشعيا ودانيال وغيرها بوجود دولة الحق واعطيا مقداراً من اوصافها . وفي العصر اللاحق جاء يوحنا اللاهوتي ليتنبأ بمولد القائد الاعظم عليه السلام ، من رؤياه المشهوره المسطورة في التوراة " [٣] .

وليس هذا فقط ، بل ان العهد القديم بوصفه كتاباً مقدساً ، اشار بوضوح الى المنتظِرين لعدالة الله التي ستتحقق على يد الصالحين من الناس ، فنقرأ في العهد القديم : "لا تقلق لوجود الاشرار والظالمين فسوف تنقطع سلالة الظالمين ، والمنتظِرون لعدل الله يرثون الارض والذين لُعنوا يتفرقون ، والصالحون من الناس هم الذين يرثون الارض ويعيشون فيها الى نهاية العالم "[٤].

ويشير السواح الى ان اليهود كانوا ينتظرون مسيحهم السياسي ليعيد اليهم مملكة داود الضائعة ، المسيح السياسي الذي يعيد مجد اسرائيل ويخضع جميع الامم تحت قدميها ثم يسلم الحكم الى (يهوه) بوصفه مخلّصهم الاول ، وان فكرة نهاية التأريخ ، المحصورة بفكرة ظهور المخلّص قد تسربت الى الايديولوجية التوراتية من الزرادشتية خلال فترة السبي والاحتكاك بالفرس) [٥] .

في ضوء ما تقدم ، يرى الباحث ، التفات الذهنية الانسانية للتمسك اكثر بالانتظار بوصفة ظاهرة آلت على ترسيخها المفاهيم الدينية وعَمّقتها لما فيها من عوامل تحفيزية منّهة تجعل الكائن البشري مشدوداً وبفاعلية لمصيره . وتجعله في حالة توقع وترقب مستمرين . وكان للدين اليهودي أثره الفاعل في تعزيز الظاهرة الانتظارية ، حينما جعل

---

(١) - للمزيد ينظر : علي زيعور ، محاولة تحليلنفسية للبطل العربي في التصوف والانثروبولوجيا ، مجلة الباحث ، باريس ، العدد ٣ ، ١٩٧٨ . وينظر داود سلمان الشويلي ، رسالة الولادة المرفوضة ، دراسة تناص بين ميلاد موسى (ع) وسرجون الاكدي ، مجلة الموقف الثقافي ، العدد ١٩ ، ١٩٩٩ .

(٢) - حسام الدين الآلوسي ، الزمن في الفكر الديني والفلسفي القديم ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، العدد ٢ ، مج ٨ ، ١٩٧٧ ، ص١٣٤ .

(٣) - محمد الصدر ، مصدر سابق ، ص٤٦٤ .

(٤) - الكتاب المقدس ، سفر مزامير داود ، مزمور ٣٧ .. ويحيل الباحث هذا النص بوصفه تناصاً واضحاً مع الآية ١٠٥ من سورة الانبياء المشار اليها في ص ٣٣ من هذا البحث .

(٥) - للمزيد ينظر : فراس السواح ، الرحمن والشيطان – الثنوية الكونية ولاهوت التاريخ في الديانات المشرقية ، منشورات دار دار علاء الدين ، دمشق ، ط١ ، ٢٠٠٠ ، ص١٤٦ وص٢٦٣ .

ملاحظة : يقسم الكوراني خلاصة تاريخ اليهود في عشرة عهود تبدأ من عهد موسى ويوشع ١٢٧٠ ق.م / ١١٣٠ ق.م الى العهد العاشر : عهد السيطرة الاسلامية ٦٣٨-١٩٢٥م .. وللمزيد ينظر : علي الكوراني ، عصر الظهور ، من ص٧١-٨٥ .

لها من يمثلها على ايدي عدد من المخلّصين والمُنقذين ، ممن استكملت في زمنهم انتقالات حياتية : اجتماعية وسياسية واقتصادية ، تحول الناس خلالها من حال الى آخر ، فضلاً عن الوعود الاخرى لحيوات قادمة ظل الجميع بانتظارها الى حين .

٢-١-٢ الديانة المسيحية :

هي ثاني الديانات السماوية بعد الديانة اليهودية ، وتعد المسيحية امتداداً للديانة اليهودية ، بل ان توراة اليهود نفسها ذكرت (المسيح)۞ المنتظر في بعض اسفارها فتقول: "يولد لنا ولد ، ونعطى ابنا ، وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيباً ويكون الهاً قديراً وأباً وأبدياً رئيس السلام ، لنمو رياسته يجلس على كرسي داود وعلى مملكته ليثبّتها ويعضّدها بالحق والبر من الآن والى الأبد ، غيرة رب الجنود تفعل هذا). (١)

ان تعاليم الدين المسيحي تحدثت في كتبها المقدسة بشكل واضح عن عودة السيد المسيح الى الارض ثانية بعد صلبه ، بوصفه مخلّصاً ومنقذاً للبشرية ، بعد ان يحل فيها الدمار ويسود الظلم والجور ، مثلما تحدثت عن انتظار الجميع لليوم الموعود ، يوم تحقيق العدل الإلهي ، فلقد جاء في الانجيل ماَنصّه :

" لكن يوم الرب سيجيء مثلما يجيء السارق ، فتزول السماوات في ذلك اليوم بدويّ صاعق وتنحل العناصر بالنار وتُحاكم الارض والاعمال التي فيها . فاذا كانت هذه الاشياء كلها ستنحل ، فكيف يجب عليكم ان تكونوا ؟ اما يجب ان تسلكوا طريق القداسة والتقوى ، تنتظرون وتستعجلون مجيء يوم الله ؟ حين تلتهب السماوات وتنحل وتذوب العناصر بالنار ، ولكننا ننتظر ، كما وعد الله ، سماوات جديدة وارضاً جديدة يسكن فيها العدل . فابذلوا جهدكم ايها الاحباء ، وانتم تنتظرون هذا اليوم ، ان يجدكم الله بسلام ، لا عيب فيكم ولا لوم عليكم . " (٢)

ولابد من الاشارة ، الى ان معتقد الانتظار يتراوح بين الاعتقاد البسيط والاعتقاد القاطع ، ففي الحالة الاعتيادية العامة يكون بمعناه الاول ، اما في حالات العوز والحاجة الحياتية وانتشار القحط يتحول الاعتقاد الى معناه الثاني .

بكلام آخر ، ان هذا المعتقد الخلاصي يزداد ويستفحل لدى الناس اكثر كلما شعروا بالحاجة اليه فعلاً على وفق الواقع الفعلي وحيثياته بمعنى ان ظاهرة انتظار المنقذ المخلّص " تبرز الى حيز الوجود كلما ساد الظلم والخوف والبؤس .. " (٣)

يمكن القول اذاً ، ان لظاهرة الانتظار ارتباطها المباشر بالواقع الاجتماعي وتحولاته الاقتصادية واستقراره الكلي ، فحين لا يقدر المجتمع على صد الظلم او البؤس

۞ - (المعنى الحرفي للفظة المسيح هو الممسوح بالزيت ، وقد استعملت هذه الكلمة لاول مرة في العهد القديم في صموئيل الاول ..) للمزيد ينظر : فالح مهدي ، مصدر سابق ، ص١١٩ .

(١) - احمد سوسة ، ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط٢ ، ٢٠٠١ ، ص١٩٩.

(٢) - ٢ بطرس ٣ : ١٠-١٤ من الكتاب المقدس .

(٣) - فالح مهدي ، مصدر سابق ، ص١٢٠ .

او الشقاء الذي يحل عليه يتجه مباشرة الى غائبه ، الذي له من الصفات البطولية الاعجازية ما تؤهله الى القدرة على تغيير الواقع من حال الى حال افضل مغاير .

ان اول من دوّن معتقد الخلاص في الديانة المسيحية شخص يدعى يوحنا ، عاش في جزيرة باتموس ، عام ٩٤-٩٥م " خلال القرن الثاني ، عندما كانت المسيحية فتية ، نبت على جذعها فرع خاص تجسد في انتظار ملكوت الهي الفي هو مرحلة انتقال بين الزمن والابدية ، سينشأ بعد عودة المسيح ليزول بعد الف عام تاركاً مكانه لملكوت الرب الابدي " [١] .

هذا التصور الذي دونه يوحنا ، لم يستطع كتبة الأنجيل تجاهله بوصفه رؤيوية۞ قيامية سميت بـ(رؤيا يوحنا) دخلت كتاب الانجيل بسبب مماهاة الرأي مع تلميذ ليسوع حمل الاسم نفسه ، حظي نصها بسلطة هائلة اعتقد كتبة الانجيل بخطأ تجاهلها .

المسيحيون خافوا كثيراً عندما مات يسوع على الصليب وتبعثر تلامذته اشد انصاره المخلصين اخلاصاً . لكنهم درسوا العهد القديم ، ووجدوا ان يسوع يبقى المخلّص وان مات ..

تعمق ايمان المسيحيين شيئاً فشيئاً ، بعودة نبيهم ، فهو " عندما سيعود الى الارض ، سيلتحق المسيحيون الاحياء به ، وسينهض الموتى من القبور . لكن احداً لا يستطيع اخبارنا بوقت حدوث هذا ، لان يوم الرب سيأتي كلص في الليل ... " [٢]

لم يكتف المسيحيين بهذا الاعتقاد القاطع لانتظارهم الابدي ، بل راحوا يضعون العلامات الممهدة لعصر ظهوره وذلك ما نجده في انجيل متي : " يسأل الحواريون المسيح عن منتهى الدهر وعلامات مجيء المسيح فيقول لهم ان علامة مجيئه مجاعات وزلزال وتضيق الأمم على أمته ، ضيق ليس مثله منذ اول العالم الى الآن ولن يكون . وستزول السماوات والارض وتظلم الشمس والقمر لا يعطي ضوءه وتتساقط الكواكب ، ولكن اليوم او الساعة لا يعلمها الا الله ، الأب وحده " [٣] .

بعد حادثة صلب المسيح بوصفها الفيصل الحاسم الذي فرق بين من آمن بالمسيح ومن كذبوه وشككوا به ، اعتقاداً منهم " ان المسيح قد خيب آمال الكثيرين في ذلك الوقت عندما ترك نفسه للصلب والموت ، فان من بقوا على ايمانهم ، رأوا ان المسيح قد غادرهم لان الناس ليسوا بعد على مرحلة تؤهلهم للدخول في ملكوت الرب وان عليهم ان يتطهروا قبل ان يعود المسيح اليهم مرة ثانية ". [٤] من هنا بدأت مرحلة الاستعداد لبدء الانتظار وتحمله وتهيئة الظروف والمناخات الملائمة كلها لزمن العودة ، زمن الخلاص .

---

(١) - ديتر تسمر لينغ ، النهايات – الهوس القيامي الألفي ، تر : ميشيل كيلو ، قَدمُس للنشر والتوزيع ، سورية – دمشق ، ط١ ، ١٩٩٩ ، ص٧٦ .

۞ - (الرؤيوية هي قطعة ادبية مكتوبة ، كتاب ، تحتوي اساساً على مقولات رؤيوية ، مقولات حول (الاشياء الاخيرة) التي تمس المصير الاخير والنهائي للانسان الفرد وللعالم باسره (في الاغريقية ، الرؤيوية هي علم الاشياء الاخيرة) – تسمر لينغ ، المصدر السابق نفسه ، ص٣٦

(٢) - تسمر لينغ ، المصدر السابق نفسه ، ص٧٠ . وفي ذلك تناص واضح مع المفاهيم الاسلامية وفي آيات قرآنية منها (الساعة آتية لا ريب فيها)الحج٧ (حتى تأتيهم الساعة بغتة)الحج٥٥ (ان الساعة آتية أكاد أخفيها)طه١٥ - الباحث .

(٣) - انجيل متي ٢٤ ، ٣٠-٣٥ ومثله مكرر في انجيل مرقص ١٣ : ٣-٣٣ وانجيل لوقا ٢١ : ٥-٣١ .

(٤) - فراس السواح ، مغامرة العقل الاولى – دراسة في الاسطورة سوريا وبلاد الرافدين ، دار الكلمة ، بيروت – لبنان ، ط٤ ، ١٩٨٥ ، ص٢٩٠ .

لكن ، على الرغم من كل ما تقدم ، ومنذ اللحظة التي بدأ فيها الشك يحط اوزاره حول المسيح وعودته ودينه ، ولجة البحث عن طهارة النفس واستعداداتها الروحية لاحتضان معتقد الخلاص ، ظهر نفر غير قليل ممن شككوا بالمسيح وبعودته وبدينه ، فبعد ان وعد الانجيل نفسه برجعة (ابن الانسان) واصفاً مجيئه باوصاف الهّيه كبيرة ، نجد ان المسيحية حوربت كثيراً بعد صلب المسيح مثلما حورب طلاب المسيح الخمسة الذين كتبوا اناجيلهم المعروفة بما فيهم (برنابا)۞ وخاصة في عهد نيرون عام ٦٤م الى عام ٣١٢م حين دخل قسطنطين امبراطور روما مثلما دخل غيره في الدين المسيحي وجعله ديناً رسمياً للبلاد [١] .

يشدد الباحث على قضية ان الانتظار بوصفه ظاهرة دينية اولاً يرتبط بقضية اساس وهي(الايمان) ، والانتماء له روحياً وعقلياً واعتقاداً قاطعاً ، وبالتالي يكون الطريق سالكاً امام المؤمن بهذه الظاهرة الانتظارية المحاطة بعلامات إلهية غيبية اعجازية ، الى جانب استدلالاتها العقلية التي عملت على ترسيخ هذا الايمان ونبذ كل ما يخالفه .

من هنا اكدت الظاهرة الانتظارية بثبوتها الديني لدى المسيحيين المؤمنين بيوم القيامة (يوم الرب) ممن اعتقدوا بعودة نبيهم ومخلّصهم ، بوصف هذه العودة تعد من المعاجز الالهية ، خاصة اذا عرفنا ان المسيحيين لمسوا وعاشوا مثل هذه المعاجز على يد المسيح نفسه مثل شفائه للابرص والاكمة واحيائه الموتى ونزول مائدة من السماء وغيرها.

٣-١-٢ الديانة الاسلامية :

مهدت الديانتان السابقتان – وكما مر بنا – الى فتح طريق آخر للوعي الانساني ، ذلك الوعي المتمثل في استقبال ديانة جديدة وهي الديانة الاسلامية ، بكل مفاهيمها وطروحاتها ونظرتها للحياة ، وتحديد المقتضيات الواجبة لشكل الحياة وانظمتها المتضمن انساقها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية والاخلاقية والمعرفية وغيرها من تلك التي حواها النص القرآني بوصفه الدستور الاساس للديانة الاسلامية .

جاء الاسلام ليضع القاعدة الفكرية المتينة لفهم الحياة ولمعناها ، هذا الفهم المبني على معرفة متراكمة ومستقاة من الديانات السابقة ، تلك المعرفة المستندة الى فكرة التوحيد ، ذات العمق التاريخي الكبير ، زيادة على توقف المفاهيم القرآنية عند ابسط جزيئات الحياة ومكوناتها الى اعقد العلاقات التي تربط الكائنات البشرية فيما بينها وبين المخلوقات كلها كلٌ حسب موقعه ووظيفته في الحياة .

بعد كل هذه المعرفة المتراكمة لديانات سماوية و(وضعية)۞ ، جاء الدين الاسلامي ليكون آخر الاديان ، وان يكون الرسول الكريم محمد (ص) هو خاتم الانبياء

۞ - برنابا هو خامس الاناجيل المسيحية المعروفة : (متي ، يوحنا ، لوقا ، مرقص) وهو الانجيل الوحيد الذي فيه اشارة تنبؤية عن رسالة النبي محمد (ص) الاسلامية ، " وان هذا الانجيل هو المرفوض من قبل كافة الكنائس المسيحية لان فيه ذكر للنبي احمد " وفيه يتنبأ بوجود دولة الحق وقائدها وبعودة المسيح في تلك الدولة . توجد نسخة من انجيل برنابا ، ترجمة : د. خليل سعادة – الباحث .

(١) - محمد الصدر ، مصدر سابق ، ص٤٨٩ .

۞ - الديانة الوضعية : هي الديانة التي لا ترتبط بكتاب سماوي ، وانما اسهم البشر في وضعها وتحديد مفاهيمها التي هي ليست بعيدة عن مفاهيم الديانة السماوية . نذكر منها : الزرادشتية ، والهندوسية ،

والمرسلين ، وان يقوم بدوره بنشر الدين الاسلامي بكل تعاليمه السماوية وطروحاته التي من بينها بشارته النبوية بمنقذ البشرية وتأكيد فكرة الخلاص الانسانية ، وانه لابد من نهاية لهذا العالم الدنيوي الذي يكمّله عالمٌ اخرويٌّ ازليٌّ ، الا ان هذه النهاية الدنيوية مرتبطة بظهور (مَهديّ) هذه الامة الاسلامية بوصفه المنقذ المنتظر ، ليملأ الدنيا عدلاً بعدما مُلئت ظلماً وجورا .

ولقد وردت الكثير من الآيات القرآنية التي اشارت بطريقة مباشرة مرة وغير مباشرة مرة اخرى ، الى المهدي المنتظر بصورة خاصة والى الانتظار بصورة عامة :

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ ﴾ (١)

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأرضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ (٢)

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأرضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً ﴾ (٣) .

هذا الى جانب الآيات القرآنية التي تحدثت عن مستقبل العالم ونهايته في الساعة المرتقبة والآتية لا ريب فيها ، ولكنها غير محددة زمنياً لانها تأتي (بغتة) بحسب اشارة القرآن ، او هي محددة لكن الله (يكاد يخفيها) لحكمه لا يعلمها الا هو سبحانه وتعالى .

اما الذين يتوافون من الرجال لحظة ظهور المَهدي ، فهم (٣١٣) رجلاً وهم نفس عدة معركة بدر (٤) وقد اشار القرآن الى ما نصّه :﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٥) .

اما في الأحاديث النبوية الشريفة – وهي كثيرة – فهناك اشارة مباشرة وواضحة الى المهدي وظهوره في آخر الزمان ، من هذه الأحاديث ، نذكر :

" لا تذهب الدنيا حتى يقوم رجل من ولد الحسين يملاءها عدلاً كما مُلئت جورا " (٦).

" لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد، لطوّل الله ذلك اليوم حتى يلي رجل من عترتي اسمه اسمي يملئ الارض عدلاً وقسطا كما ملئت ظلماً وجورا " (٧).

والبوذية ، والمانوية ، والجينية ، ومثيرا ، والتاوته . وللمزيد ينظر : سليمان مظهر ، قصة الديانات ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٩٨ . وسنتوقف عند عدد منها لاحقاً – الباحث .

(١) - القرآن الكريم ، سورة السجدة ، آية ٢٨-٣٠ .
(٢) - القرآن الكريم ، سورة الانبياء ، آية ١٠٥ .
(٣) - القرآن الكريم ، سورة النور ، آية ٥٥ .
(٤) - للمزيد ينظر : السيد مصطفى آل السيد حيدر الكاظمي ، بشارة الاسلام في ظهور صاحب الزمان ، منشورات المطبعة الحيدرية ، النجف الاشرف ، ط٥ ، ١٩٦٣ ، ص ص : ٢٠٤ ، ٢٠٥ وان هؤلاء الـ(٣١٣) رجلاً مذكورون باسمائهم ومناطقهم وهو حديث عن الامام الصادق (ع) الى ابي بصير... ينظر المصدر نفسه ، من ص٢١٤-٢١٩ .
(٥) - القرآن الكريم ، وللمزيد ينظر الآيات القرآنية : اية ٢٠ من سورة يونس ، اية ١٥٨ من سورة الانعام ، اية ٢٤ من سورة التوبة ، اية ٧١ من سورة الاعراف ، اية ٩٣ من سورة هود .
(٦) - المجلسي ، بحار الانوار م-١٣ج- ٥١ص٦٦ .
(٧) - التبريزي ، مشكاة المصابيح تحقيق محمد ناصر الألباني ، ج٣ ، ص٢٤ .

" يتنعم امتي في زمانه نعيماً لم يتنعموا مثله قط البر والفاجر . ترسل السماء عليهم مدراراً ولا تدخر الارض شيئاً من نباتها " [١] .

" من اطاعه اطاعني ومن عصاه عصاني ومن انكره في غيبته فقد انكرني ومن كذّبه فقد كذّبني " [٢]

" افضل أعمال أمتي الانتظار "[٣]

وعن علامات ظهوره يقول الرسول محمد (ص) : " عشرة قبل قيام الساعة لا بد منها السفياني والدجال والدخان والدابة وخروج القائم وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى (ع)وخسف بالمشرق وخسف بجزيرة العرب ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس الى المحشر " [٤]

كما يذكر(احمد امين) الازهري في كتابه (المهدي والمهدوية) وجود خمسين حديثاً عن ظهور المنقذ المنتظر وعدّظهوره من اشراط قيام الساعة ، استناداً لتلك الاحاديث النبوية.

يشير السواح الى ان " آخر المخلِّصين هو يسوع الذي مازال وعده قائماً على الارض) [٥] ونسي السواح – او تناسى – ان المهدي المنتظر هو آخر المخلّصين ، لارتباطه بالديانة الاسلامية التي هي اخر الديانات ، وما مر بنا من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية العديدة ، اكد هذا الوعد الالهي في انتظار الظهور الحتمي لمنقذ البشرية ، فبذلك يكون (المَهديّ) هو الذي مازال وعده قائماً على الارض ، لا المسيح ، كما ذهب السواح الى ذلك ، وهذا لا يعني عدم ظهوره بل ان ظهور المسيح مرتبط مباشرة بالمَهديّ.

-فمن هو المَهديّ ؟

قبل التعريف به وبرسالته القائمة بوصفها وعداً الهياً ينتظرها العالم ، لابد من التساؤل اولاً : لماذا كان المَهدي هو آخر المخلّصين ؟ ولماذا التشديد على اهمية انتظاره وحتمية تحقق هذا الوعد الألهي ؟ بل يقودنا هذا التساؤل الى آخر : لماذا كان الاسلام آخر الاديان ؟ ولماذا الرسول محمد (ص) هو خاتم الانبياء والمرسلين ؟

ان ما مرت به البشرية وعبر عصورها ونبوّاتها المتعاقبة [٦] ذات العمق التأريخي الذي يبدأ من العصور القديمة ، مروراً بمرحلة اكتشاف الكتابة ، الى تكوّن الحضارات والاكتشافات ، وصولاً لمرحلة كافية تأهلت فيها البشرية وبرشادها العقلي لاستقبال فهم جديد للعدالة الألهية الكاملة التي جاء بها الاسلام ومحمد (ص) ، هذه العدالة

---

(١) - المجلسي ، المصدر السابق نفسه ، ص٧٨.

(٢) - المجلسي ، المصدر نفسه ، ص٧٢.

(٣) - يشير الباحث لوجود معجم خاص عنوانه(معجم احاديث الامام المهدي) تأليف الهيئة العلمية في مؤسسة المعارف الاسلامية ، اشراف الشيخ علي الكوراني ، مؤسسة المعارف الاسلامية ، ط١ ، ١٤١١هـ ، قم ، مطبعة بهمن .

(٤) - السيد مصطفى آل السيد حيدر الكاظمي ، مصدر سابق ، ص١٤ وينوه الباحث الى العلامات التي يوردها المسيحيون ويسمونها (علامات المجيء الثاني) للسيد المسيح هي : مجاعات ، وكساد ، وحروب ، وانتشار الاوبئة مثل سرطان الآيدز ، وامراض غريبة ، والزلزال في اماكن لم تعرف الهزات يوماً ، وظَلال ديني ، وانهيار خلقي ، وانتشار المخدرات ، والعلاقات الشاذة .

(٥) - فراس السواح ، لغز عشتار ... ، مصدر سابق ، ص٣٩٣ .

(٦) - هناك تراكم معرفي من عصر لآخر على وفق النبوات المتعاقبة، حيث تتحدث بعض المصادر عن وجود ١٢٠.٠٠٠ ألف نبي على وجه الكرة الارضية .

التي يصفها بعض المفسرين بوصفها (الاطروحة) الجديدة الكاملة التي يمكن لها ان تُطبّق في دول العدل العالمية المهدوية المنتظرة ، دولة المَهدي المرتقبة ۞ .

لقد اشارت أغلب المصادر المختصة الى ان الحياة في الاسلام دار ممر والآخرة دار ثبات ومقر ، على حد قول الامام الغزالي : " الدنيا مزرعة الآخرة .. ولا يتم الدين الا بالدنيا .. والمُلك والدين توأمان .. فالدين أصل والسلطان حارس ، وما لا أصل له فمهدوم وما لا حارس له فضائع " [١] وهذا يعني ان الانسان في ظل الاسلام يعيش حياتين ، حياة يعيشها وحياة ينتظرها ، أليس في هذه الديمومة تجسيد كامل لظاهرة الانتظار في الفكر والوجدان لدى الانسان بوجه عام والمسلم بوجه خاص نظراً لموروثاته السابقة حضارياً وعقائدياً وطبيعياً ؟ .

تحولت ظاهرة الانتظار هنا ، من أخبار متراتبة تناقلتها الديانتان السابقتان (اليهودية والمسيحية) بوصفها فكرة قائمة ، تحولت الى وعد الهي " والوعد والحال هذه اكثر فاعلية وحركية من مجرد الخبر ، لانه يتّخذ درجة الالزام للوعد وخاصة على مستوى الحكيم المطلق .. الذي لا يخلف الميعاد " [٢]

وتجدر الاشارة الى ان معتقد (الغيبة)۞ قبل وصوله لمستوى الوعد الألهي ، كان عقيدة توارثها العرب قبل الاسلام ، وكانت من الاسباب الممهدة لتقبل واعتناق فكرة العودة ، متمثلة بظهور الغائب حتى لو كان ميتاً ، فلقد " اعتقد قوم من العرب في الجاهلية بالرجعة ، أي الرجوع الى الدنيا بعد الموت . فيقولون ان الميت يرجع الىالدنيا كرة اخرى ويكون فيها حيا كما كان . ولعل هذه العقيدة هي التي حملت بعض الجاهليين على دفن الطعام وما يحتاج الانسان في حياته اليه مع الميت في قبره ، ظناً منهم ، انه سيرجع ثانية الى هذه الدنيا فيستفيد منها ، فلا يكون معدماً فقيراً "[٣] وهذه العقيدة نفسها كان الفراعنة من السباقين الى اعتناقها وتعميق مدياتها الدينية .

ويشير المستشرق (هزي كوربان) الى " ان معنى رجعة الامام المنتظر هو معنى كشف انثروبولوجي تام ، يفتح باطن الانسان الذي يعيش في العقل ، ويعني هذا اخيراً كشف السر الألهي الذي حمله الانسان ، أي الامانة التي تحكي عنها الآية القرآنية ٧١ من سورة الاحزاب : انا عرضنا الامانة على السماوات والارض والجبال فأبين ان يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان .. " [٤] .

۞ - يحيلنا هذا المفهوم ، الى دولة افلاطون المثالية ، المدينة الفاضلة ، التي وضع لها افلاطون نظامها الخاص ، الى جانب عدد من الفلاسفة الآخرين ممن وضعوا تأملاتهم لمدينة نموذجية خالصة ، ينظر المبحث الفلسفي من هذا البحث ـالباحث .

(١) - الغزالي ، احياء علوم الدين ، طبعة دار الشعب ،ج١، ب ت،ص٣٠ .

(٢) - محمد الصدر ، مصدر سابق ، ص٥٢٦ .

۞ - معتقد الغيبة وهو " انعكاس لواقع مؤلم أو لمرحلة مرارة في كفاح المجتمع او الطائفة او الجماعة او الفرقة القائلة بالاحتجاب المؤقت للبطل ... لا تفهم الغيبة اذن الا كاعداد للرجعة بقوة ، او كناية عن يأس مؤقت يهئ للامل .." علي زيعور ، مصدر سابق، ص ص : ١٥٤ ، ١٥٥ .. ويعطي علي زيعور امثلة على الغياب المؤقت لبعض الاشخاص مثل البطل الصوفي (الحلاج)الذي لم يظهر له خبر لمدة سنة كاملة حينما طار هو والمنديل في الهواء ،وغيبة (الزير سالم)داخل تابوت القي في البحر ، وابان تلك الغيبة لاقى اشياعه الظلم والقهر ... وللمزيد ينظر على زيعور ، المصدر نفسه ص١٥٤ ، ١٥٥ .

(٣) - جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، دار العلم للملايين ،ج٦ ،ط١ ،١٩٧٠ ،ص١٤٢

(٤) - هنري كوربان ، تاريخ الفلسفة الاسلامية منذ الينابيع حتى وفاة ابن رشد ١١٩٨ ، منشورات عويدات ، بيروت بيروت ـلبنان ،ب ت ، ص١٣١

يرى الباحث ، ان عقيدة انتظار المنقذ المنتظر ظاهرة انثروبولوجية تناقلتها كافة الاديان والمعتقدات لتصل الى الدين الاسلامي الذي وسع مدياتها الفكرية والفلسفية ، بوصفها وعداً الهياً وبشارة نبوية الا انها على الرغم من ذلك اخذت طابعاً عقائدياً سياسياً بين اصحاب العقائد المتصارعة " وهذا ما نلاحظه بين الشيعة الاثني عشرية ۞ الذين تَمثل منقذهم في الامام الثاني عشر (المَهدي المنتظر) وبين الامويين الذين تَمثل منقذهم بـ(السفياني) " [١] فضلاً عن عقائد اخرى لاقوام وجماعات مختلفة ، فـ" الزرادشتيون مثلاً ينتظرون عودة (بهرام شاه) ، ومسيحيو الاحباش يترقبون عودة ملكهم (تيودور) كمهديٍّ في آخر الزمان ، والهنود ينتظرون عودة (فيشنو) والمجوس يعتقدون بدوام حياة (اوشيدر) ، كذلك نجد ان البوذيين ينتظرون (بوذا) ، والاسبان ينتظرون ملكهم (روذريق) ، اما المغول فمازالوا يتطلعون الى عودة قائدهم (جنكيزخان) " [٢]

وعلى الرغم من الاختلافات الواضحة فيما يتعلق بالاسماء والظروف المحيطة والتباعدات الزمنية والتناقض الحاصل في العادات والتقاليد والاعراف ، الا ان الجميع في حالة انتظار دائمة ، بما فيهم المسلمون " فلا فرق { اذا } بين جميع المسلمين وبين غيرهم من اهل الاديان والشعوب الاخرى من حيث الايمان بأصل الفكرة وان اختلفوا في مصداقها ، مع اتفاق المسلمين { كافة } على اسمه (محمد) كاسم النبي (ص) ولقبَه عندهم هو (المَهدي) " [٣] .

من هو المَهدي ؟

-هو محمد القائم بن الحسن العسكري ۞ المولود سنة ٢٥٦ هـ وهو الامام الثاني عشر ومنه جاءت تسمية (الأمامية الأثنا عشريّة)..

- أما أمه فهي (نرجس خاتون) بنت يسوع قيصر الروم .

- سمي بـ(المَهدي) لأنه يَهدي لأمر قد خفي [٤]

۞ - الشيعة الاثنا عشرية نسبة الى الاثني عشر اماماً من نسل علي بن ابي طالب (ع)وتسمى (الامامية) وقد " نشأت من القول بامامة علي ولذلك يقترن مفهومها بمفهوم التشيع . فالايمان بأفضلية علي بعد النبي (ص) وبانه الامام والخليفة بعده ، وباستمرار الامامة في ذريته من فاطمة ، هو الاساس العقائدي لمفهوم الامامة ولمفهوم التشيع معاً .." وللمزيد ينظر : علي احمد سعيد ، الثابت والمتحول ، بحث في الاتباع والابداع عند العرب ، ج١ الاصول ، دار العودة ، بيروت ، ط١٩٨٣،٤ ، ص١٩٧ . " وامامة علي وصية النبي بارادة من الله ، وانكارها كفر كأنكار النبوة فالامامة اصل ديني او هي فرض الهي .. ارث خاص بابناء علي الى يوم القيامة " ص ١٩٧ ، المصدر نفسه . وهناك حديث رائج بكثرة في المؤلفات الشيعية يقول : (من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية)وان " الامامة في مفهوم الشيعة الامامية وعقيدتهم رئاسة دينية وزمنية ، يتولاها رجل عالم يصلح الناس في شؤون دينهم ودنياهم ، ويعمل على ذلك دون ان يستأثر بشيء ، ولا يخطئ في علمه ولا عمله .. ، وان المصدر الاول لفكرة الامامية هي القرآن الكريم والسنة النبوية " الآيات القرآنية : ٢٤ البقرة ، ٢٤ الفرقان ، ٧٣ الانبياء ، ٥ القصص . اما حديث الرسول (ص) "الائمة من قريش " وللمزيد ينظر : محمد جواد مغنية ، المهدي المنتظر والعقل ، دار العلم للملايين، ب ت،ص٢٠.

(١) - فالح مهدي ، مصدر سابق ، ص١٩٥ .

(٢) - محمد باقر الصدر ، المهدي المنتظر في الفكر الاسلامي ، مركز الرسالة ، ١٤١٧هـ ، ص ص :٨ ، ٩.

(٣) - محمد باقر الصدر ، المصدر السابق نفسه ، ص١١ .

۞ - العسكري هو الامام الحادي عشر من سلسلة الائمة الاثني عشر ، ولد الحسن العسكري في شهر ربيع الاخر سنة ٢٣٢ هـ وقد عاصر ثلاثة من سلاطين بني العباس وهم المعتز ، ت ٢٥٠ هـ والمهتدي ، ت ٢٥٦ هـ والمعتمد ، ت٢٧٩ هـ وهذا الأخير هو الاقرب الى الزمن الذي ولد فيه المهدي وغاب- الباحث.

(٤) - .. وروي عن الامام الباقر انه قال (سمي المَهدي لانه يهدي لامر قد خفي ، يستخرج التوراة وسائر كتب الله ..فيحكم بين اهل التوراة بالتوراة ، وبين اهل الانجيل بالانجيل ، وبين اهل الزبور بالزبور ، وبين اهل الفرقان بالفرقان ..) وللمزيد ينظر : الشيخ الصدوق ،علل الشرائع ، ط النجف ، ١٣٨٣ هـ ، ص١٦١ .. ولفظة

- للمَهدي غيبتان : صغرى وكبرى .

الغيبة الصغرى ابتدأت عام ٨٦٣ م / ٢٦٠ هـ ، ولقد غاب وعمره خمس سنوات أو اكثر قليلاً ، استمرت هذه الغيبة ٧٠ أو ٧١ عاماً كان خلالها يتصل بسفرائه او نُوّابه الأربعة ۞ ثم ظهر لطائفة خاصة من المسلمين (شيعته) ليغيب بعد ذلك ، الغيبة الكبرى التي بدأت حوالي ٩٤٠ م/ ٣٢٩ هـ وكانت رسالته الاخيرة الى رابع سفرائه (علي السُمّري) : " ان اجمع امرك ولا توصي الى احد يقوم مقامك بعد وفاتك فقد وقعت الغيبة الثانية) فكانت كلمات نائبه الاخيرة (لله شأن هو بالغه) ومن حينها ابتدأ التاريخ المستور ۞۞ . للامام الثاني عشر ابتدأت الغيبة الكبرى التي سيعود بعدها في آخر الزمان ليملأ الدنيا عدلاً فهو (المهدي المنتظر) ، وهذه الغيبة لازالت قائمة الى الآن ولا زالت مهيمنة على الوجدان الاسلامي والوجدان الاثني عشري خاصة [١] ، مثلما هيمنت على ديانات ومعتقدات سابقة لكن باختلاف اسم المنتظر وتفاصيل اخرى سنحاول التوقف عندها في متون هذا البحث .

وهناك نبوءات اقتربت من الانتظار حيث تحقق النبوءة في الزمن القادم ، وجدت في قصص العرب ورسخت مفهوم الانتظار نذكر منها : " ان سيف الدين بن ذي يزن نفسه قد بشر عبد المطلب برسول الله ﷺ حينما حضر وفد من قريش لتهنئة سيف بن ذي يزن لما ظفر بالحبشة ... بانه ولد بتهامة غلام بين كتفيه شامة كانت له الامامة ولكم به الزعامة الى يوم القيامة " [٢] .

المَهدي تقرأ كصفة بالفتح وهي اسم مفعول ، بمعنى انه لا يحتاج الى هداية من أحد فهو مَهدي من قبل الله ، فهداه ذاتي ، اذا فهو فوق الناس جميعاً .. ولقد عرّف الجميع بالمهدي ، باسمه واسم آبائه◄ ◄بدأً من النبي محمد (ص) والامام علي (ع) والائمة الاحد عشر جميعهم (ع) . ويذكر ابو طالب التجليل التبريزي في كتابه (من هو المهدي) جميع هذه التعريفات الى جانب ذكره: فيمن تشرف بفيض حضور المهدي في حياة ابيه ، وفيمن فاز برؤيته في الغيبة الصغرى ، ونبذة من توقيعاته في الغيبة الصغرى ، وفيمن فاز برؤيته في الغيبة الكبرى ، وفي وكلائه في الغيبة الصغرى .. وللمزيد ينظر المصدر نفسه ، ط٣ ، ١٤١٧هـ ، الصفحات : من ٢٤٢ – ٥٢٩ .

۞ - وهم : عثمان بن سعيد ٢٦٠ هـ ٢٨٠ هـ ، ومحمد بن عثمان الخلاني ٢٨٠ هـ –٣٠٥ هـ ،والحسين بن روح ٣٠٥ هـ –٣٢٦ هـ وعلي بن محمد السمري ٣٢٦ هـ٣٢٩ هـ .

۞۞ - يرى هنري كوربان عن بداية التاريخ المستور للامام الثاني عشر " هو تاريخ لا يوحى باي شيء مما نسميه بتأريخ الوقائع المادية ، ولكنه لا يزال برغم هذا ، يحكم الوجدان الشيعي منذ اكثر من عشرة قرون ... " ص١٢٧ هنري كوربان ، مصدر سابق . من هذا التاريخ يمكن القول ان التاريخ الغيبي قد بدأ ،تاريخ المعاجز الالهية – الباحث .

(١) - هذه المعلومات استقاها الباحث من عدد من المصادر الاسلامية التي تحدثت عن (المهدي المنتظر) وتكاد هذه المصادر جميعها تتفق على هذه المعلومات التاريخية ومن هذه المصادر نذكر :-

١- الفتن والملاحم ، للحافظ نعيم بن حماد المروزي
٢- كتاب الغيبة او كتاب القائم ، الفضل بن شاذان الازدي النيسابوري .
٣- المنار المنيف في الصحاح والضعيف ، ابن القيم الجوزية .
٤- حياة الامام المهدي ، الشيخ باقر شريف القريشي .
٥- الملاحم والفتن في ظهور الغائب المنتظر ، ابن طاووس .
٦- الزام الناصب في اثبات الحجة الغائب ، علي اليزدي الحائري .
٧- الامامة الالهية ، محمد سند .◄
٨- ◄ شرح نهج البلاغة ، ابن ابي الحديد .
٩- علائم الظهور في المستقبل المنظور ، حسن النجفي .

(٢) - صفوت كمال ، مفهوم الزمن بين الاساطير والموروثات الشعبية ، مجلة عالم الفكر – الكويت ، العدد ٢ ، ١٩٧٧ .

ان ما مر بنا من الآيات الشريفة المفسرة بظهور الامام المهدي (ع) والاحاديث الشريفة المبشرة به تدل "على ان مهمته ربانية ضخمة ، متعددة الجوانب ، جليلة الاهداف ، فهي عملية تغيير شاملة للحياة الانسانية على وجه الارض واقامة فصل جديد منها بكل معنى الكلمة " [١] .

الى جانب ذلك نجد الكثير من التصورات والاعتقادات عن شكل المهدي ووضعه ، يتصوره الناس رجلاً من نمط قدماء المشايخ والصوفية فلا يسمع به الناس الا وقد ظهر من مهد قديم أو خرج من زاوية اعتكاف يصرف السبحة بيده ويتلو الاوراد بلسانه ويعلن على الخلق انا المَهدي [٢] ولكن اتفاق المصادر واستنباطها التصوري الذي يكاد يكون أقرب الى التصور العام هو " ان الامام المنتظر سيكون زعيماً من الطراز الأحدث في زمانه بصيراً بالعلوم الجديدة بصر المجتهد المستطلع ويكون جيد الفهم لمسائل الحياة ويبرهن للعالمين رجاحة عقله وفكره وبراعة تفكيره السياسي وكمال حذقه لفنون الحرب ويبز كل ابناء زمانه في تقدمه وارتقائه " [٣]

وبرزت كثير من الاقلام التي اعلنت في كتاباتها عن استهجانها هذه العقيدة المهدوية بل الدين برمته ، على اساس ان هذا الدين الجديد –الاسلامي- على الرغم من انه كان دفعة ضخمة في اتجاه العقلانية وثورة حقيقية لكن " من سوء الحظ طغى عليه (الثابت الغيبي) والصوفي واشكال لا حصر لها من التفكير اللا عقلاني وما يزال يطغى .." [٤] وكما هو واضح أن (الثابت الغيبي) هذا هو ما يحيط بالعقيدة المهدوية من الداخل والخارج بوصفها عملية غيبية تحيط بها المعاجز الإلهية منذ بدايتها الى ترقب لحظة نهايتها بساعة آتية لا ريب فيها ، كما يشير الى ذلك (القرآن الكريم) مع حتمية وقوعها بتحكم الهي غيبي .

وما يعزز هذا الثابت الغيبي ويقويه ،ان مفهوم الزمن لدى المسلم المؤمن هو زمن روحي باطني يقوم على الارتباط بحتمية وجود الامام وأنه لا يمكن للمسلم المؤمن ان يحيى حياته الباطنية الروحية بدون حضور الامام في قلبه [٥] .

هناك مبدأ تقوم عليه فرقة الامامية (الاثنى عشرية) وهو ايمانهم (ان الارض لا يجوز ان تخلو من امام) " فهو اذا لم يكن حاضراً يتولى القيادة الروحية والمادية معاً فهو (غائب) مادياً وجسمانياً ولكنه (حاضرٌ) روحياً في قلوب اتباعه واشياعه ، وغيبته المادية غيبة مؤقتة طال الزمن او قصر .ذلك انه لابد ان يعود ليجعل حداً ونهاية للجور والظلم والطغيان . انه في هذه الحالة (المهدي المنتظر) صاحب الزمان ... [٦])

لقد عّبر الجابري في عدد من طروحاته عن شجبه لهذ ه العقيدة من منطلق ان الفكر الاسلامي يرجع الاشياء الى رؤية سحرية ، انانيه ، مُلغية للعقول " رؤية سحرية

---

(١) - علي الكوراني ، عصر الظهور ... ، ص٣١٥

(٢) - للمزيد ينظر : حمزة الفقير ، ثلاثة ينتظرهم العالم المهدي المنتظر- المسيح الدجال-المسيح (ع)، عمان، دار الاسراء للنشر والتوزيع ،ط١ ، ١٩٩٥ ،ص٧٤

(٣) - حمزة الفقير ،المصدر السابق نفسه ، ص٧٤ ... ينوه الباحث عن وجود مصدر بالعنوان نفسه لـ(حسين عبد الحميد نيل) دار الفجر للتراث القاهرة ،ط١ ، ١٩٩٩ . ولم يتسن للباحث المقارنة بين المصدرين ..

(٤) - علي وطفة ، المقدس وممتهنوه ، مجلة كتابات معاصرة ، العدد ٤٧ بيروت لبنان ٢٠٠٢ ص٨٠

(٥) - للمزيد ينظر : محمد عابد الجابري ، بنية العقل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت لبنان –ط٢ ، ١٩٨٧ ، ص٣٣٧

(٦) - محمد عابد الجابري ،المصدر السابق نفسه ، ص٣٣٧ .

للعالم تكرسها الاسطورة " [١] وانه ما من امر جاء به الفكر الاسلامي عن طريق (الكشف) سواء بواسطة المجاهدات والرياضيات او بواسطة قراءة القرآن ، الا ونجد لها اصلاً مباشراً او غير مباشر في الموروث ... السابق على الاسلامي . هنا يصدق المثل القائل : " لا جديد تحت الشمس ، مائة في المائة " [٢] . في قوله هذا وقع الجابري في مغالطة كبيرة وتناقض اكبر ولقد تورط وهو يتناول هذه العقيدة الفكرية المهدوية الاسلامية ، ذلك اننا اسلفنا القول ان الدين الاسلامي ما هو الا امتداد لما سبقه من الديانات والموروثات المعرفية الاخرى . هذه بديهية .. لكن الجابري لم يستطع التوصل الى فهم هذا (الباطني والروحي) في الفكر الاسلامي ولم يطّلع كفاية على تاريخ فكره التوحيد في الفكر العالمي الديني ، بهذا لم يجد جديداً برأيه ، لانه ينظر للمسألة من وجهها الخارجي الهامشي حسب .

اما الآراء التي تؤمن بالعقيدة المهدوية فهي لم تعارض احداً بل تناقش وتتأمل من مبدأ انه " لا فرق بين الجميع في ثبوت البشارة عن النبي (ص) بالمهدي المنتظر ولا في مهمته العالمية ، ولا في شخصيته المقدسة المتميزة ، ولا في علامات ظهوره ومعالم ثورته . وقد يكون الفرق الوحيد بشأنها اننا نحن الشيعة { والقول للكوراني } نعتقد بانه هو الامام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري (ع) المولود سنة ٢٥٥هـ وان الله تعالى مد في عمره كما مد في عمر الخضر (ع) ۞.. فهو حي غائب حتى يأذن الله له بالظهور . بينما يرى غالبية علماء السنة انه لم يثبت انه مولود وغائب ، بل سوف يولد ويحقق ما بشر به النبي (ص) وقليل منهم يوافقنا على ولادته وغيبته " [٣] ان المهدوية والحال هذه معتقد خلاص أزلي وسيستمر .

ومن الآراء الاخرى الغربية منها والعربية التي تؤكد وجود مُصْلِح مخلّص لهذا العالم ولكنه لم يظهر بعد ،قول العلامة اينشناين صاحب النظرية النسبية: " ان اليوم الذي يسود العالم كله الصلح والصفاء ويكون الناس متحابين متآخين ليس ببعيد ... اما الفيلسوف الانجليزي برتراند راسل فلقد اوضح ان العالم في انتظار مُصلِح يوحد العالم تحت علم واحد وشعار واحد " [٤] كذلك برناردشو الذي بشّر بمجيء هذا المُصلح في مسرحية (الانسان والسوبرمان) الذي علق عليها "عباس محمود العقاد" بقوله :" يلوح لنا ان سوبرمان شو ليس بالمستحيل ، وان دعوته اليه لا تخلو من حقيقة ثابتة " [٥]

اما ابن خلدون في مقدمته المشهورة فقد افرد باباً خاصة عن المَهدي والموسومة (في امر الفاطمي وما يذهب اليه في شأنه وكشف الغطاء عن ذلك) فيذكر: " اعلم ان في

---

(١) - الجابري ، المصدر السابق نفسه ، ص٣٧٩ .

(٢) - الجابري ، المصدر السابق نفسه ص٣٧٢ .

۞ - الخضر : هو (تاليا بن ملكان بن عابر بن ارفخشد بن سام بن نوح ع) وكنيته ابو العباس، وابو محمد ، والقابه هي (الخضر) و (العالم) و (العبد الصالح) وسمي بالخضر لانه – بحسب ما روي عن رسول الله (ص) انه قال : (انما سمي الخضر خضرا لانه جلس على فروة بيضاء فاهتزت تحته خضراء) .. وهو نبي من انبياء الله ولد قبل ابراهيم (ع) .. ولقد اجمع علماء الاسلام كافة على بقائه حياً الى الآن .. بل الى قيام الساعة ، وانه سوف يظهر عند خروج المهدي المنتظر في آخر الزمان ويكون من انصاره واعوانه ... وللمزيد ينظر : السيد هاشم الحسيني ، حياة الخضر عرض ودراسة ، منشورات مؤسسة الايمان للمطبوعات ، ط١، ٢٠٠١ .

(٣) - الكوراني، مصدر سابق ، ص٣٥١.

(٤) - محمد باقر الصدر ، مصدر سابق ، ص٩ .

(٥) - جورج برناردشو ، الانسان والسوبرمان ، تر : محمد فكري انور ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٤ .

المشهور بين الكافة من اهل الاسلام على ممر الاعصار انه لابد في آخر الزمان من ظهور رجل من اهل البيت يؤيد الدين ويُظهر العدل ويتبعه المسلمون ويستولي على الممالك الاسلامية ويسمى بالمهدي ويكون خروج الدجال وما بعده من اشراط الساعة الثابتة في الصحيح على اثره وان عيسى ينزل من بعده فيقتل الدجال او ينزل معه فيساعده على قتله ويأتمّ بالمَهدي في صلاته .." [١] كما يشير الى احاديث كثيرة للرسول (ص) [٢] .

كذلك نجد الشيخ الدميري في كتابه (الحيوان) حين يمر على قصة اصحاب الكهف وزيارة النبي (ص) واصحابه الى كهفهم وايمانهم بدين الاسلام وعودتهم الى رقدتهم .. " ثم اخذوا مضاجعهم وصاروا الى رقدتهم الى اخر الزمان عند خروج المهدي ويُقال ان المَهدي يسلّم عليهم فيحّيهم الله ثم يرجعون الى رقدتهم فلا يقومون الى يوم القيامة " [٣] .

اما ابن عربي فيشير في كتابه (الفتوحات المكية) الى المهدي الذي (يواطئ اسمه اسم محمد (ص) ويحوز خلقه ، وهو المُسمى المَهدي المعروف المنتظر فان ذلك من سلالته وعترته ..." [٤] .

ولقد اجمعت الكثير من هذه الدراسات المَعنية ان " لهذا المنقذ {المنتظر} صفات خاصة خارقة وقد ورد ذكرها في كل الاديان تقريباً { السماوية والوضعية } فهو قد ولد في ظروف صعبة وتعرضت حياته لمخاطر كثيرة ، وله علامات لا تتوفر لدى البشر الاخرين ، اضافة الى كونه من سلالة الملوك والامراء " [٥]

و(المَهدي) بحسب تعريف (ابن منظور) هو " الذي قد هداه الله للحق .. وقد استعمل في الاسماء حتى صار كالاسماء الغالبة ، وبه سمي المهدي الذي بشر به النبي (ص) انه يجيء في آخر الزمان " [٦] .

في ضوء ما تقدم ، يرى الباحث ، ان العقائد الدينية التي تؤمن بوجود المستقبل الصالح للبشرية ، يسمى كل منها شخصاً معنياً لقيادة ذلك المستقبل غير من يسميه الدين الآخر ، ومع هذا فان هذا الاختلاف من شأنه ان يوصلنا الى فكرة صحيحة واحدة بعد كل هذا التسلسل من الاسماء والافكار هو حالة (انتظار المستقبل الصالح) هذه الحالة التي يعيش عليها العالم شاء ام أبى ، اختلف ام اتفق .

لقد مرت البشرية بعدد من المخاضات الدينية والروحية كان اخرها المخاض الذي تولد عنه الدين الاسلامي ذلك ان " كل ديانة كانت تحاول استمالة إتباع الديانة الاخرى عن طريق الاستعارة منها وحسب رسالتها في قوالب مفهومة لديهم ومقدسة عندهم " [٧] .

---

(١) - عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي ، مقدمة ابن خلدون ، دار القلم ، بيروت ـ لبنان ، ط٤ ، ١٩٨١ ، ص٣١١ .

(٢) - للمزيد ينظر : ابن خلدون ، نفسه من ص٣١٢ الى ص٣١٥ .

(٣) - الشيخ كمال الدين الدميري ، حياة الحيوان الكبرى ، ج٢ ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة ، ١٣٧٨هـ ـ ١٩٥٨م ، ص٢٩٧ .

(٤) - محي الدين بن عربي ، الفتوحات المكية ، ج٢ ، ص٥٠ .

(٥) - فالح مهدي ، مصدر سابق ، ص٦ .

(٦) - ابن منظور ، لسان العرب ، الدار المصرية للتأليف ب ت ، مطبعة بولاق ، م٣ ص ٧٨٦ ـ ٧٨٧ .

(٧) - فراس السواح ، لغز عشتار .. ، مصدر سابق ، ص٤١٠ .

الى جانب هذه المرجعية المتسلسلة من الاعتقادات الدينية نجد الاصل المتنوع للعبادات وتشابهه بين جل هذه الديانات ، من الوثني الى النجوم والكواكب مروراً بعبادة الملائكة والجن وصولاً الى (تقديس الانسان) - نماذج ذلك (الكاهن والشاعر) - وظاهرة البطل الاسطوري بوصفه رمزاً (مثالاً) لهذه الظاهرة الموجودة حتماً والمتوارثة من الاعراف القديمة كالايمان بالغيبيات والخوارق فوق الطبيعية وبوجود قوى خفيه تتسم بالمثالية والكمال ـ كل ذلك يصل بالباحث الى ان يقول : ان ظاهرة الانتظار لانسان (رمز) كامل ـ مثال ، التي وجدت لدى الامامية (الاثني عشرية) ما هي الا تكملة لتلك المسيرة الايمانية بالغائب ، الخارق ، مُخلّص البشرية .

وطالما ان الغرض من هذه العقيدة هو واحد ما بين الأمم فتعد كل الاسماء مشيرة الى ذات واحدة ، الذات الالهية ، خالق الكون اللامتناهي في الحكمة والقدرة .

كما يشير الباحث الى التقارب الفكري حول هذه العقيدة بين الاديان لان كل دين جديد كان يظهر انما هو امتداد لما سبقه من دين سابق ، فبهذا تطور الفكر البشري وعياً وايماناً حتى صار مهيأً لتقبل اخر الديانات وخاتم الانبياء ، لان المجتمع البشري صار في الحد الفكري المعقول والمتطور ليفهم (القرآن) والسنة النبوية .. فمرحلة النُبوّات المتعددة آن لها أن تتوقف لان الانسان ومنذ مرحلة الطقوس الدينية القديمة لحين ظهور الديانة الاسلامية صار مؤهلا لقبول وتفهم هذه الديانة ولرسالتها المحمدية بمفاهيمها وتعاليمها كافة ، بضمنها الفكرة المهدوية بوصفها بشارة نبوية ، وفكرة خلاص انسانية تبشيرية تهم العالم برمته .

٢-٢ : الديانات الوضعية :-

بالنظر الى تعدد الديانات الوضعية وانتشارها وتداخلاتها الفكرية بين التقارب والتباعد سيتوقف الباحث لاختيار ثلاث من هذه الديانات:-

أولا:- لأهمية أثرها في معتنقيها وانتشارهم بسبب شهرة هذه الديانات .

وثانيا:- لاقترابها من موضوع البحث حيث اهتمت هذه الديانات الثلاث (الزرادشتية ، والهندوسية ، والبوذية) بالمنطلق الفكري لظاهرة الانتظار والعود الزمني والوصول الى مرحلة الخلاص الأخيرة ، كما جاء ذلك في جل تعاليم هذه الديانات وتوجّهاتها .

١-٢-٢ الديانة الزرادشتية :-

وضعها زرادشت ۞ الايراني في النصف الاول من القرن السادس قبل الميلاد وبشر بها ـ أي الزرادشتية ـ بوصفها معتقداً جديداً كل الجدة على المعتقدات الايرانية.

۞ - تذكر المصادر ان ميلاده (٩٠٠ ق.م) وهناك اختلاف في ذلك . وان الشيطان يتحكم به وهو في المهد، وانه عرج الى السماء لتلقي رسالة . للمزيد ينظر : فراس السواح ، الرحمن والشيطان ـ الثنوية الكونية ولهوت التأريخ ، دار علاء الدين ، دمشق ـ سوريا ، ط١ ، ٢٠٠٠ ، ص من : ٧٨ - ٨٢ .

تنطلق اهمية الديانة الزرادشية في انها قدمت مفهوماً جديداً عن انتظار الانسان لنهاية العالم ، ذلك ان فكرة فناء العالم وتجديده ليست بالفكرة الغريبة تماماً في ما مر بنا من تاريخ الاديان عبر العصور المتعاقبة ، ففي العديد من ميثولوجيات العالم القديم نجد ان العالم يفنى اما بطوفان شامل او بنار سماوية ثم يعود سيرته الاولى ۞۞ ، لكن جديد الزرادشتية هو تقديمها لاول مرة مفهوماً عن نهاية العالم مرتبطاً بنهاية الزمن ونهاية التاريخ . فالعالم لا يفنى لكي يعود سيرته الاولى ضمن نفس الزمن الخطي او الزمن الدوري التناوبي ، لان نهاية العالم تعني في الزرادشتية تغييره جذرياً والخروج به من الزمن ومن التاريخ الى السرمدية . يضاف الى ذلك ان تجديد العالم يترافق مع البعث العام للاجساد وعودة الارواح للقاء اجسادها والاتحاد بها اتحاداً ابدياً لا ينفصم ، وهي فكرة جديدة كلياً على تاريخ الدين "[1] ، ومن هنا تكمن الاسباب التي كانت وراء اهمية هذه الديانة عبر تاريخ الديانات الانسانية برمتها ، وهذا هو ميراث الزرادشية الذي يجعل منها نقطة بارزة في تاريخ الدين الانساني الى درجة يمكن معها تقسيم هذا التاريخ على ما قبل الزرادشتية وما بعدها وان مفهوم (عودة الروح الى الجسد في يوم البعث) اكدته بعد ذلك الديانة الاسلامية .

لقد صاغت الديانة الزرادشتية فلسفة متقدمة وقدمت رؤيا دينية عالية افادت من الديانات الفرعونية وخصوصاً الاخناتونية وبعضاً من ديانة اوزريس ، لذا انتقلت ثوابت كثيرة منها الى الدين الاسلامي وخصوصاً ما يتعلق بالثواب والعقاب . وقدم اللاهوت الزرادشتي وصفاً دقيقاً عن اليوم الآخر مثلما رسمت ذلك الميثولوجيا الاسلامية .

فالانسان ينتظر الموت ، والارواح بعد موت الانسان وفي مرحلة البرزخ تنتظر يوم الحساب (البعث) أي تنتظر الحياة الثانية الابدية ، هذا المفهوم نجده قريباًجداً من التفكير الاسلامي وتوجهاته لحياة ما بعد الموت .

٢-٢-٢ الديانة الهندوسية :-

وهي من الاديان الهندية الى جانب الديانتين : البوذية والجينية ، والديانة الهندوسية متميزة بان ليس لها مؤسس واحد او عقيدة واحدة ، فهي مرتبطة بثالوث هندوسي مقدس متكون من : براهما الخالق وفشنو الحافظ وشيفا المدمر [2] . ويضاف اسم رابع هو (كرشنا) بوصفه مخلّصاً هندوسياً آخر الى جانب (فشنو) الذي يقول عنه الهنود بانه " يأتي في نهاية هذا العصر المظلم على شكل رجل يمتطي حصاناً ابيض وفي يده سيف يلمع ليحاكم الخطاة ويكافئ المحسنين ويعيد الذهب الى قيمته التي ضاعت " [3] هذه المواصفات الشكلية اخذت طابع التداول بين غالبية الاديان والمعتقدات ونخص ونخص بالذكر الهيئة المتخيلة للمسيح وقت ظهوره وكذلك الحال مع المهدي المنتظر في بعض التصورات الدينية .

۞۞ - عن نهاية العالم ، تشير المصادر الى نظريتين ، الاولى دينية ، وتتحدد بظهور المنقذ المخلّص بعد ان يصيب العالم البؤس والشقاء والظلم ولا يبقى سوى عنصر الشر . والثانية علمية وهي ترفض التفسير الغيبي السابق ، فهي تؤكد ان الارض ستنتهي بعده مدة لا تقل عن ٥٠٠٠٠٠٠٠٠ مليون سنة أي مقابل المدة التي عاشتها حتى الآن ، وان نهاية العالم ستكون نتيجة لعوامل طبيعية ، او بعد فناء المجموعة الشمسية .

(١) - فراس السواح ، الرحمن والشيطان ، مصدر سابق ، ص١٠١ .

(٢) - للمزيد ينظر : فراس السواح ، دين الانسان ، مصدر سابق ، ص٢٦٥ .

(٣) - فالح مهدي ، مصدر سابق ، ص٥٩ .

والهندوسية تنتشر في بعض البلاد الآسيوية بعد ان اعتنقها ٨٥% من الهنود ، وهي- أي الهندوسية ـ " طريقة مثالية للحياة تعرف باسم (الدارما) ومعنى الدارما : العمل وفقاً لشريعة دينية هندوسية خاصة . وهي ديانة تؤمن بتعدد الآلهة ما بين كبيرة وصغيرة ، فالالهة الكبيرة هم : البراهما والفشنو والشيفا كما ذكرنا ، والآلهة الصغيرة عديدة منها الفيل والبقرة والقرد وغيرها " [١] ، وتعود اصول هذه الديانة الى ما وراء الالف الثاني قبل الميلاد .

ما يمكن الاشارة اليه في هذه الديانة الهندوسية هو وجود معتقد (الكارما) الذي هو قريب الشبه بفكرة (الديمومة) لدى برغسون حيث انتظار الحياة الاخرى باستمرار وبعود ابدي، بدورة متعاقبة لا تتوقف . ومعتقد (الكارما) هو حالة الروح الجديدة بعد الموت بناء على طبيعة افعالها في الدنيا .

وبحسب مفهوم الهندوسية للزمان والمكان فان " الأكوان السابقات والتاليات تجثم في حيز واحد وتبتدي متتابعة في زمان دائري وعود ابدي ، كلما انتهت دورة بدأت اختها ، وكلما انحل كون وآل الى الفناء متلاشياً في جوهر المطلق الابدي ، نشأ كون جديد يعيد سيرته السابقة الاولى .. " [٢] وتحيلنا هذه المفاهيم الى برغسون وديمومته .

وفي فترات متباعدة ظلت فكرة تجسّد المنقذ وعودته لانقاذ البشرية من البؤس والظلم هي الفكرة الناضجة والمتبلورة التي استند اليها الفكر الديني الهندوسي واديان اخرى عندما تأثرت بهذه الفكرة .

٣-٢-٢ الديانة البوذية :-

في النصف الثاني من القرن السادس قبل الميلاد ظهر البوذا في الهند ، وتعني (بوذا) الشخص المُضيء او الذي يشع نورا ، والشخص الذي اوجد البوذية اسمه (سيد هرثا جوتاما) من شمال الهند و " تتركز الديانة البوذية في جنوب شرق آسيا ففي بلاد مثل مانغوليا وتيلند وبورما يدين اكثر من ٩٠% من السكان بالبوذية . وفي اليابان وفي الصين وفي الهند بنسب متفاوتة " [٣] .

والبوذية تعد من (الهراطقة) وهو اتجاه واحد من الاتجاهات الرئيسة ۞ في الفكر الديني الهندي . و(الهراطقة) هو المبدأ اللاإلهي في الدين و " الذي يقوم على عدم الايمان بوجود اله خالق للكون " [٤] .

ويحتمل بعضهم ان يكون (بوذا) الذي عاش من ٥٦٠-٤٨٠ قبل الميلاد ـ نبياً من الانبياء افتراضاً على وجهة نظر اسلامية ترى " ان بوذا كان نبياً، وان لم يرد اسمه في القرآن الكريم الذي يتحدث عن جميع الانبياء والرسل كما تقول الآية : مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا

---

(١) - محمد الجوهري حمد الجوهري ، العولمة والثقافة الاسلامية ، دار الامين للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٢، ص١٠٦ .

(٢) - فراس السواح ، دين الانسان ، مصدر سابق ، ص٢٦١ .

(٣) - محمد الجوهري ، مصدر سابق ، ص١٠١ .

۞ - هذه الاتجاهات هي : اتجاه مستقيمي الرأي (يعلي من شأن الفيدا) واتجاه مخالف حول سلطة الفيدا ، والثالث هو الهراطقة الذي لا يحفل بالفيدا .. وللمزيد ينظر : فراس السواح ، دين الانسان ، مصدر سابق ، ص٢٧٧-٢٧٨ .

[٤] - السواح ، دين الانسان ، ص٢٧٨ .

عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ " [1] ان هذا الاحتمال وكما يرى الباحث يكاد يكون وارداً اذا استثنينا الهراطقة بوصفهم لا يؤمنون بوجود الله خالق للكون فلا يمكن قبول هذا الاحتمال .

من الالقاب التي اطلقت على بوذا هو (المخلّص) ، يقول بوذا : " انني اود أن اخلص جميع الكائنات من العودة الى جحيم هذه الارض بدفعها ورفعها نحو النرفانا✿✿..فالنرفانا هي اللاهم ،والراحة ، والتغلب على الموت " [2] ونظرا لغياب المعتقد الماورائي الغيبي في المعتقد البوذي من أي نوع فقد حلت المجاهدات الروحية محل الطقوس وانعدمت الاساطير بشكل كامل ، فيما عدا سيرة البوذا نفسه ، التى صارت الى حال يشبه الاسطورة .

على الرغم من وجود مقتربات مفاهيمية من التعاليم الاسلامية عن الدنيا والمها وزهد الانسان فيها في الديانة البوذية وغيرها من المفاهيم المقتربة من الاسلام ، الا ان البوذية لم تبدد جهدها في الغيبيات لانها ترى " ان المسألة ليست في الطريقة التي يفلسف بها الانسان وجوده ، بل في طريقة احساسه بهذا الوجود ، من هنا فان عليه الا يبدد جهده الفكري في الغيبيات بل ان يحصده في فهم رغباته والتحكم بها عن طريق الارادة ، لانها مكمن الخطر عليه .. " [3] وبحسب قول بوذا نفسه : " جئنا الى العالم كي ننتصر .." [4]

٣- الانتظار بين الفرضية والادعاء :-

تبوأت ظاهرة الانتظار مكاناً بارزاً في الفكر الانساني الذي حاول ان يشطر هذه الظاهرة شطرين ، الاول غيبي والثاني علمي . ومن جراءهذا الانشطار توقف بعضهم بازاء هذه الظاهرة بمحاولة الفرض وطريق الاستدلال المرتبط بما هو غيبي تارةً وعلمي تارةً اخرى . وبعضهم الآخر اتخذ من الظاهرة نفسها واجهة (ادعائية) نظراً للمساحة الكبيرة التي تبوأها الانتظار بين الاوساط المجتمعية كافة ، لذا جاء (الادعاء) من بعضهم بانه ذلك المنتظر على وفق الفرص والامكانيات المتوفرة والاهداف المبّيتة سلفاً لهذا الادعاء .

محاولة الفرض قدمها (ناجي النجار) بفرضيته التي فحواها بان (مثلث برمودا) هو المنطقة التي يعيش فيها الامام الغائب ، المهدي المنتظر وبطريقة الاعجاز الالهي ،

---

[1] - علي زيعور ، الفلسفات الهندية قطاعاتها الهندوكية والاسلامية والاصلاحية ،دار الاندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١ ، آذار ، ١٩٨٠ ، ص١٧٩

✿✿ - " مبدأ النرفانا Nirvena Principle اقترحت بربارة لوف هذا الصطلح . ومن ثم عاد اليه فرويد للدلالة على نزعة الجهاز النفسي نحو ارجاع أي كمية من الاثارة ذات منشأ خارجي أو داخلي الى مستوى الصفر أو في الأقل الى اختصارها الى اقصى حد ممكن ... أقتبس مصطلح النرفانا الذي انتشر في الغرب◄◄ ◄◄على يد شوبنهاورمن الديانة البوذية ، حيث يدل على (انطفاء) الرغبة الانسانية ، والقضاء على الفردية التي تذوب في الروح الجماعية ، وعلى حالة من السكينة والسعادة الكاملة " .– جان لابلانش وبونتاليس ، معجم مصطلحات التحليل النفسي ، تر : مصطفى حجازي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ،ط٢ ، ١٩٨٧ ، ص٤٥٧ . والنرفانا تقابلها في المسيحية (الاماتة) أي اماتة الجسد بالقضاء على الرغبات والنوازع والاهتمامات والتركيز على الفكر فقط . والحال نفسها مع الديانة الاسلامية حيث تهيمن النرفانا بشكل أساس بوصفها حالة السكون الابدي ، وتحرير النفس من عالم المظاهر- الباحث.

(٢) - علي زيعور ، المصدر السابق نفسه ، ص٢٠٢ .

(٣) - فراس السواح ، دين الانسان ، مصدر سابق ، ص٢٨٤ .

(٤) - علي زيعور الفلسفات الهندية .. ، مصدر سابق ، ص١٩٣ .

لما تمتع به هذا المثلث من شهرة عالمية حتى غدا لغزاً محيّراً من الالغاز المستعصية على العلم الانساني ، نتيجة للحوادث الغريبة التي تقع للطائرات او السفن المارة من خلاله .

اما الادعاء فجاء نتيجة لحالة الانتعاش التي مرت بها ظاهرة الانتظار على المستوى الديني والاجتماعي والسياسي ، الامر الذي ادى بالضرورة الى ادعاء عدد من الاشخاص بانهم ذلك المنقذ المنتظر او بانهم يعلمون الغيب بموعد ظهوره بالزمان والمكان وكان لهم في ذلك المآرب والاغراض الذاتية النفعية . وما بين الفرض والادعاء شكل الانتظار لدى عدد من الحركات الجماعية محطة خلاص آمنة حين استندوا الى قهر الأنا فيهم والذاتية ، وصولاً لآصرة جماعية توحدهم بالكون وبالوجود الانساني برمته .

نبدأ مع الفرضية ۞ومثلث برمودا ، وهل هو فعلاً المنطقة التي تأوي المهدي المنتظر ومن معه ؟

يقع مثلث برمودا جغرافياً في المحيط الاطلسي وهو عبارة عن بقعة كبيرة "ويقع هذا المثلث قريباً من احد اذرع المحيط الاطلسي الغربية وهو البحر الكاريبي محصوراً بين جزر برمودا وجزر فلوريدا وجزر بورتوريكو والبهاما ، مشكّلة بذلك مثلثاً وهمياً تبلغ مساحته ٧٧٠ الف كيلو متر مربع ، أي بقدر مساحة العراق مرتين..." [١] سمي هذا المثلث نتيجة لحوادثه المفزعة بتسميات عديدة دالة على الخوف والهلع واللعنة والعجز عن اكتشاف السر ، من هذه المسميات نذكر : مثلث الشيطان ، ومثلث الموت ، وبحر الاشباح ، ومقبرة الاطلسي ، وبحر السفن المفقودة ، وبحر الرعب ، ومقبرة السفن ، و(المثلث الإلهي) وهذه التسمية الاخيرة لها ارتباط بالفرضية التي سنتحدث عنها ، والمرتبطة بالمهدي المنتظر ، حيث يفترض النجار ان هذه المنطقة هي التي يعيش فيها الامام الغائب هو واعوانه وناسه ، فكيف أُفترضَت هذه النظرية وما السبل والادلة التي تقوّمها ؟ .

وقبل ان يطرح النجار فرضيته يستعرض ست فرضيات علمية حاولت حل اللغز العجيب مثل : فرضية الشذوذ المغناطيسي ، وفرضية المطبات الهوائية والمائية ، وفرضية الاشعاعات النووية ، وفرضية الذبذبات فوق الصوتية ، وفرضية الشلالات البحرية ، وفرضية الشقوق في قاع المحيط [٢] ثم يطرح النجار فرضيته بوصفها فرضية سابعة ، عساها ان تكون حلاً لمشكلة المثلث على حد قوله وسَمى فرضيته هذه

۞ - " الفرضية Hypothesis هي عبارة عن استنباط يعتمد على جملة حقائق نستطيع من خلالها استنتاج وجود الشيء او معرفة سبب الظاهرة دون وجود البراهين الموضوعية لذلك ... وينبغي على (الفرضية)ان تعبر عن شيء محتمل الوقوع ، بمعنى آخر ان الفرضية تتسم بصفة الاحتمالية .. " احسان محمد الحسن ، موسوعة علم الاجتماع ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٩٩٩ ، ص ص : ٤٩٠ ، ٤٩١ .

(١) - ناجي النجار ، الجزيرة الخضراء وقضية مثلث برمودا ، دار البلاغة ، بيروت – لبنان ، ط٣ ، ١٩٩٩ ، ص٢٥ .

(٢) - للمزيد ينظر : ناجي النجار ، المصدر السابق نفسه ، من ص٨١-٩١ . يشير الباحث الى ان الطبعة الاولى كانت عام ١٩٧٩ ، بغداد .. مع الاشارة الى المصادر العديدة الاخرى المختصة بالموضوع نفسه نذكر منها : (مثلث برمودا) للعالم الامريكي تشارلز بيرلتز ، و(الزوار الغامضون) للعلامة برنسلي ليبوير ترينج ، و (الكوا من الخفية) للعالم الامريكي ايفان لي سندرسن ، و (كوكبنا المسكون) للباحث جون اكيل ، و (مثلث برمودا والاطباق الطائرة) لرياض مصطفى ، و (مثلث برمودا بين الحقيقة والخيال) اوليفر لورانس . ولمعرفة المزيد من الحوادث مثل : اختفاء سفينة روسالي ١٨٤٠ واختفاء اليخت كوينمار ١٩٥٦ ، والمقابلات التي اجريت مع من شهدها ينظر : المصدر نفسه ، ص٥٧ .

بـ(فرضية الجزيرة الخضراء) ۞ والى جانب فرضيته يفترض ايضاً ان ما نسمع بـه من الصحون والاطباق الطائرة بوصفها لغزاً محيراً آخر وغيرها من الاشياء والاجهزة الطائرة ما هي الا من ممتلكات سكان هذه الجزيرة الخضراء ، المنقطعين الى الاخلاص لله " بعد ان تركوا مجاورة القوم الذين غضب الله عليهم ، وعاشوا مع الامام الحجة (ع) .. " [١] .

لقد انطلق النجار في وضع فرضيته من مبدأ ان العلم لا زال في بداية الاكتشافات وان العلم مازال مشحوناً بالمواد الخفية ، وان في الاسرار المستودعة فيه وجودات حية تعيش على الارض ولا يحس بها ابناء الارض ، تعيش عليها ومصونة بطاقات تخفيها عن عيون الناظرين ، وتحفظها عن فضول الباحثين عن خفايا هذا الكون ، ويعتقد الهاشمي ، ان مؤلف الف ليلة وليلة لم يشذ في تفكيره عن الحقيقة حينما صور له خياله الواسع (طاقية الاخفاء) ، وكيف انها تحجب لابسها عن العيون فهو يقول : " فاني انتظر ذلك اليوم الذي يلبس البشر فيه تلك الطاقية ، كما انتظر اليوم الذي يكتشف فيه العلم المادة التي تصرع مادة الاخفاء فيها ، وليكن الامام الغائب يعيش في ذلك الجو وهو مصون بمادة الاخفاء يعيش في عالمه المستور فيرانا ولا نراه" [٢] .

ان (مادة الاخفاء) هي فرضية اخرى استند اليها النجار في فرضيته محاولاً اكتشاف المادة التي تصرع مادة الاخفاء ليتوصل الى نتيجة مفادها ان الامام الغائب ومَن معه قد يكونونَيرتدون تلك الطاقية السحرية البعيدة عن التصور العلمي والعقلي لها .

صحيح ان العلم لا يمكن ان يحسم كل شيء بسهولة وخاصة الاشياء غير المؤكدة علمياً ولكن " روح الفن وروح الاستهداء بالحدث الخارق والمكان المقدس من شأنها ان تدفع الآخرين لان تنسج حوله ما يربطه بمفهوم القداسة وما يرتبط به من غيبيات وخوارق لا يدركها العقل المجرد " [٣] . ولعل النجار استند في فرضيته الى هذا المفهوم حيث ان (الجزيرة الخضراء) بوصفها مكاناً قد اضفى عليها القداسة : شخصاً ومكاناً وعقيدة مهدوية .

لقد اشار كولن ولسن الى ان " اول من ادرك ان وراء هذه الحوادث لغزاً مخيفاً هو صحفي يدعى (فنسنت كادس) الذي كتب مقالة عام ١٩٦٤ في مجلة (اركوسي) الامريكية تحت عنوان (مثلث برمودا المميت) .. " [٤]

لقد اشار كولن ولسون الى نموذج واحد من الحوادث التي وقعت فعلاً في مثلث برمودا فيذكر انه :

> " بعد ظهيرة الخامس من كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٥ اقلعت خمس قاصفات طوربيد (افنجر) من قواعدها في فورث لودردال ـ ولاية فلوريدا في رحلة استطلاع جوية عادية لمدة ساعتين فوق الاطلنطس

۞ - الجزيرة الخضراء : " جزيرة يسكنها الامام المهدي (ع) مع اهل بيته والمُخلِصين من اصحابه ، زارها الشيخ علي بن فاضل في نهاية القرن السابع الهجري وحدثنا عنها في قصته ... " للمزيد ينظر : ناجي النجار ، المصدر السابق نفسه ، ص٩٢ . هذه القصة هي التي اعتمدها النجار لوضع فرضيته - الباحث .

(١) - ناجي النجار ، المصدر السابق نفسه ، ص١٧١ .

(٢) - محمد جمال الهاشمي ، مشكلة الامام الغائب وحلها ، مطبعة النجف ، النجف ، ١٩٥٨ ، ص٢٧ .

(٣) - فاروق خورشيد ، اديب الاسطورة عند العرب ، جذور التفكير واصالة الابداع ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، العدد ٢٨٤ ، ٢٠٠٢ ، ص٥٠ .

(٤) - كولن ولسن ، موسوعة الالغاز المستعصية ، تر : مالك فاضل البديري ، الاهلية للنشر والتوزيع ، عمان ـ الاردن ، ط١ ، ١٩٩٤ ، ص٣٥ .

بقيادة الرائد جارلس تيلور يرافقه اربعة طيارين تحت التدريب ، كان القصد من ورائها زيادة عدد ساعات طيرانهم دون مُشرف ... في الساعة ٣.٤٥ تسلم برج المراقبة رسالة من القائد تيلور : حالة طوارئ يبدو اننا ظللنا طريقنا لا نرى ارضاً يابسة اكرر لا نرى ارضاً يابسة ...) الى جانب عدم تحديد الموقع واجهزة الطائرات اصابها الجنون وارسال فريق انقاذ ... ولم تمض سوى ثلاث وعشرين دقيقة حتى اومضت السماء من جهة الشرق ببريق وهاج لبرهة واحدة تلاشى بعدها الطيارون الخمسة و (مارتن ماركس) الى الابد . لقد اختفوا تماماً كما اختفت قبلها السفن والطائرات في المنطقة التي عرفت بـ(مثلث الشيطان) او مثلث برمودا " [١] .

ويشير الباحث الى تناول الاشرطة السيمية العالمية في افلامها هذا اللغز المحير مثل الفلم السوفيتي (المغامرات الجديدة للقبطان فرونجل) ضمن افلام الخيال العلمي وغيرها الى جانب عدد كبير من الكتب والدراسات التي توقفت كثيراً ومليأ امام هذا اللغز المحير [٢] .

مما تقدم يرى الباحث ، ان فرضية النجار فرضية قريبة من التأمل الفلسفي ومحاطة بنفس اسطوري متخيل وانها في الوقت نفسه بعيدة عن التفسير العلمي والعقلي ، مع اعتراف الباحث بوجود (الغيبيات) التي تمتلك مسوغات غيابها ومعجزات اغراضها وقداسة نواياها ، الى جانب تيقن الباحث من ان " الفرض يتطلب في حالات كثيرة وضعاً فيه قدراً من الخيال والتأمل" [٣] ليشكل بداية للفرضية جدير بها ان تنتهي هذه الفرضية الى ايجاد مقوماتها العلمية ودلائلها وسبل الارتقاء باثباتاتها القريبة من العلم والعقل والبعيدة عن التأمل والخيال ، الا ان النجار في فرضيته كان متأملاً خيالياً منحازاً الى ايمانه بطريقة لم يستطع جراءها التوصل الى تقديم ادلة ثبوتية تدعم الفرضية وتوسّع مديات الايمان التي تحيط بها .

اما ما يتعلق بمسألة (الادعاء) التي جاءت نتيجة لحالة الانتعاش التي احاطت بظاهرة الانتظار على مر العصور المتعاقبة كما اسلفنا ، فلقد اخذ بعض الناس -باختلاف عصورهم وجنسياتهم واديانهم ومعتقداتهم - الادعاء ... على انهم (المنقذ المنتظر) مستغلين انتشار الفكرة التي اصبحت ظاهرة عامة يعتقد بها الجميع ومستغلين وضعاً معيناً يمر به الناس اقتصادياً كان او سياسياً او اجتماعياً ، باحثين عن شهرة وتبوّء مكانة مهمة من اجل اهداف شخصية ليس الا . والقسم الآخر لم يدع لنفسه بل راح يتنبأ بموعد

---

(١) - كولن ولسن : المصدر السابق نفسه ، ص٣٣-٣٤ .

(٢) - للمزيد ينظر : اوليفر لورانس ، مثلث برمودا بين الحقيقة والخيال ، تر : تركي ابراهيم ، دار اسامة للنشر ، عمان – الاردن ، ط١ ، ١٩٩٨ .

(٣) - السيد نفادي ، السيموطيقا وعلاقتها بالفلسفة والعلم عند كارب ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، العدد ١ ، مجلد ٣١ ، ٢٠٠٢ ، ص٧٠ . ويرى السيد نفادي " ان الفرض لا يتأسس عن طريق التأمل الفلسفي وانما عن طريق مناهج العلماء القادرين على تحقيق هذا الفرض او ذاك وبالوسائل العلمية المتعارف عليها فيما بينهم . وصحيح كذلك ان التقدم الذي يحرزه الانسان في المعرفة انما يعزى الى العلم اكثر مما يعزى الى التأمل الفلسفي ، الا ان ذلك لا يمنع من القول انه في حالات كثيرة يتطلب وضع الفرض قدراً مناسباً من الخيال والتأمل .. " ويستشهد نفادي بفرضيات علمية سابقة تحققت بعد فرضها مثل : " فرض مركزية الشمس الذي قال به ارسطرخس الساموسي كمقابل لفرض مركزية الارض الذي قال به ارسطو وبطليموس او النظرية الذرية عند اليونانيين القدماء . " المصدر نفسه ، ص٧٠ .

ظهور المسيح مثلاً باليوم والشهر والسنة ،اما القسم الثالث فاكتفى بوضع علامات ملموسة ومحسوسة قبل ظهور المنتظر كالذي هو حاصل فعلاً مع الامامية الاثني عشرية في انتظار محمد المهدي المنتظر .

يذكر احمد سوسة انه ".. في عام ٦٤٠م ادعى شاب يهودي من بيت آراميا من قرية الفلوجة بالعراق انه المسيح المنتظر ، وقد تجمّع حوله حوالي ٤٠٠ شخص من مختلف المهن وحرقوا ثلاث كنائس وقتلوا عمدة المنطقة ولما بلغ خبر هذا المسيح واعوانه ارسلت السلطة ثلة من الجيش اعملت فيهم بطشاً وتقتيلاً وقبض على المسيح المنتظر وأعدم.." [١] .

ومن أولئك الادعياء في الشرق الاسلامي خلال القرون الوسطى دجال ظهر في الشام في آخر خلافة عمر بن عبد العزيز وأول خلافة يزيد الثاني (٧٢٠-٧٢٤)م، وآخر من بلدة شيرين ادعى انه المسيح المنتظر، ووعد بانه سيحقق معجزة استعادة فلسطين . وفي القرن نفسه ظهر يهودي آخر من اصفهان يدعى عبيد الله ابو عيسى اسحق بن يعقوب الاصفهاني ابتدأ دعوته في زمن اخر ملوك بني أمية مروان بن محمد(٧٤٤-٧٥٠)م وقال ان عودة فلسطين لن تتم الا بالقتال ، وأعد جيشاً من اليهود ، وقد عاشت حركته مدة من الزمن في عهد السفاح ، الا ان الخليفة المنصور قضى على الحركة وهزم جيش اليهود وفر ابو عيسى باتجاه الشمال [٢] .

اما قورش الاول الذي ظهر في ايران ، سنة ٥٨٦ق.م " يريد ان يؤسس امبراطورية على انقاض الامبراطورية الكلدانية المتداعية ، فساعده اولئك اليهود الحاقدون واعتبروه مخلّصاً ربانياً لهم ووصفوه بانه المسيح المنتظر ... اما هذا المسيح المنتظر فقد اعطى لليهود وعداً بالعودة الى فلسطين ، يشبه وعد بلفور في العصر الحديث . وهكذا أصبح للقوم كيان في فلسطين في ظل هذا الاستعمار القديم..." [٣] .

من جانب آخر اسهمت بعض الحركات العالمية بانتظار موعد الخلاص الاخير، لكنها حاولت ان تكون خارج دائرة الادعاء ، مقتربة من تصورات اعتقادية قاطعة ذات طابع يؤمن بأزلية واستمرار الانتظار وحتمية وقوع الهدف المنتظر . من هذه الحركات : حركة New age(العصر الجديد) التي اسسها شخص يُدعى شارل تازه رسل (١٨٥٢ _ ١٩١٦)م وهو تاجر من مدينة بتسبرغ ، هذه الحركة " لا تحمل تصورات حول هلاك العالم ، وتعوض عن هذا النقص بشوق جارف الى عالم جديد مسالم وسعيد ... ويقولون ان الشيء الرئيسي للانسان هو قهر اناه الفردية والتوحد مع الوعي الكوني العام ... كما يؤمن اتباع هذه (الحركة) ايماناً شديداً بأن عدداً متزايداً من البشر سيسير على طريق الكشف الداخلي ، طريق الخلاص ، وسينشأ عالم جديد اكثر جمالاً من العالم الحالي متى تم تخطي الأنا والتوحد مع الوعي الكوني [٤] .

اما مؤسسهم (رسل) فيؤمن ان الرب " اصطفى مجموعة من المبشرين قد كانت تنبأت بعودة المسيح عام (١٨٧٢-١٨٧٣)م عندما مر الموعد دون عودته ، قال رسل الذي كان قد شرع يُصدّر في هذه الاثناء مجلة (فخ تورم أي برج المراقبة) : ان عام

---

(١) - احمد سوسة ، مصدر سابق ، ص ١٩٩ .
(٢) - للمزيد ينظر : احمد سوسة ، المصدر السابق ، ص ١٩٩-٢٠٠ .
(٣) - حسن ظاظا ، الشخصية الاسرائيلية ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، العدد ٤ ، ١٩٨٠ ، ص٤١ .
(٤) - للمزيد ينظر : تسمر لينغ ، مصدر سابق ، ص٢٠٩-٢١٠ .

١٩١٤م سيشهد فناء جميع الممالك وبداية الفردوس الارضي ،الذي هو ملكوت المسيح ، عندما لم يحدث هذا بدوره ، ارجأه الى عام (١٩١٥ و١٩١٦) م واخيراً الى عام (١٩١٨)م لكنه قد فارق الحياة قبل الموعد النهائي " [١] ومع ذلك يفترض بالهلاك الاخير ان يكون قد تم عام ١٩٧٥م ، كان هذا محض تخمين ، كما اعلنت القيادة المركزية للشهود الذين بلغ عددهم خمسة ملايين ونصف المليون عضواً عام ١٩٩٥م ، وما زالوا يواصلون باصرار انتظار (نهاية نظام الاشياء) ويثقون كل الثقة بحتمية انتقالهم الى الفردوس الارضي [٢] .

والامثلة كثيرة على هذه الحركات والاسماء ممن ادعت موعد تحقق ظهور المنتظر او خمنت ظهوره المستقبلي ، ولا يمكن التوقف عندها جميعاً لكثرتها ولكن الباحث يرى اهمية تعداد قسم منها :

١. سيرنوس ، ظهر في سورية ، ٧٢٠-٧٢٣م .
٢. اليهودي داود بن الروحي ، في بلدة العمادية شمال العراق ، ١١٦٠م [٣].
٣. مليثور هوفمان ، المتوفى ١٥٤٣م .
٤. جماعة المبشرين باليوم السابع الامريكية المنشأ لمؤسسها الواعظ وليام ميلر (١٧٨٢-١٨٤٩) م .
٥. بيرنت روثمان [٤] .
٦. الدجال صايد بن صايد يخرج من اصبهان تعرف (باليهودية) [٥] .
٧. ثورة الحرم المكي الشريف ۞ في مطلع ١٤٠٠هـ في السعودية [٦] .زيادة على تنبؤات نوستراداموس بالمهدي ...

واخيراً يشير الباحث الى (عملية الانتحار) بوصفها خلاصاً ينتظره من اعتقد بها وهم اتباع حركة (معبد الشمس) التي ظهرت في فرنسا في تسعينات القرن الماضي ، حيث " تحتل عناوين الصحف اخبار المجموعات التي يقتل افرادها انفسهم بطرق فضيعة ، لاعتقادهم انها ستنجيهم يوم هلاك العالم ، الوشيك جداً ، ربما كانت دوافع هؤلاء مختلفة في التفاصيل لكنها تشترك جميعها في انتظار الانتقال الى عالم افضل وقابل للتحسين الدائم ، .. " [٧] الى جانب تصورات هؤلاء الغرائبية والمشوهة والمحاطة بنزعات إيمانية أميركية الى جانب اشياء اخرى . وهناك امثلة عديدة على هذه الانتحارات الجماعية [٨]

---

(١) - تسمر لينغ ، المصدر السابق نفسه ، ص٢١٠ .
(٢) - للمزيد ينظر : تسمر لينغ ، المصدر السابق نفسه ، ص٢١٠ .
(٣) - للمزيد ينظر : احمد سوسة ، مصدر سابق ، ص٧٢ و ص٢٠٠ .
(٤) - للمزيد ينظر : تسمر لينغ ، نفسه ، ص١٥١-١٥٣ و ص٢١٠ .
(٥) - للمزيد ينظر : السيد مصطفى آل السيد حيدر الكاظمي ، مصدر سابق ، ص٤٤ .
۞ - حدث اقتحام للحرم المكي الشريف في مطلع عام ١٤٠٠هـ بقيادة محمد بن عبد الله القرشي ، حيث سيطر انصاره على الحرم واذاع معاونه (جهيمان) من داخله بياناً دعا فيه المسلمين الى بيعة هذا القرشي ، باعتباره المهدي المنتظر الذي بشر به النبي محمد (ص) ، واستمر احتلال الحرم عدة ايام ، ولم تستطع الحكومة السعودية التغلب عليهم الا بعد استدعائها فرقة (كوماندوس) خاصة من احدى الدول .
(٦) - للمزيد ينظر : علي الكوراني ، مصدر سابق ، ص١٣ .
(٧) - تسمر لينغ ، مصدر سابق ، ص ٢١٠-٢١١ .
(٨) - للمزيد ينظر : تسمر لينغ ، المصدر السابق نفسه ، ص٢١٠-٢١١ .

بعد كل ما ورد يتساءل الباحث عن الاسباب الكامنة وراء مثل هذه الادعاءات الفردية والجماعية والسلوكيات المتوهمة من هؤلاء جميعاً ؟ هل كانت استهجاناً للفكرة الانتظارية او تحبباً اليها ؟ هل اعتقد هؤلاء جميعاً بالفكرة اعتقاداً قاطعاً بعيداً عن الايمان الامر الذي جعلهم في مرحلة نفسية من التهيؤات واحلام اليقظة والهذيان الى جانب سلوكيات لا معقولة كالموت العمد والادعاء وتزييف الحقائق ؟

يرى الباحث ان المساحة التي تبوأتها الظاهرة الانتظارية على مر العصور وباختلاف المذاهب والاعتقادات الدينية ، جعلت من هؤلاء يبحثون عن اهمية لانفسهم وسط هذه الظاهرة التي شغلت الناس ـ ولازالت - قروناً عديدة على مر الزمن .

فضلاً عن اعتقاد بعضهم انه عن طريق الادعاء ربما يتمكن من الوصول الى اطماع شخصية وتحقيق رغبات نفعية تنقله من واقع اليم الى واقع اكثر رفاهية لغرض اشباع غرائزه بطريقة احتيال سهلة .

في ضوء ما تقدم ، يرى الباحث ، ان (الفرضية) قد تفشل في تقديم ادلتها وبراهينها ولاسيما في خطواتها الاولى ، وان (الادعاء) قد يُعرف منذ بدايته المزيفة او في آخرها ، وان التصورات الجماعية البعيدة عن الايمان بالثابت الغيبي قد تبقى في دوامة لا نهاية لها ، الا ان النتيجة برمتها كانت تعزيزاً لظاهرة الانتظار ، وتدعيم فاعليتها المستمرة على المجتمع الانساني اينما حل في مكان وزمان معينين .

المبحث الثاني
الانتظـار فلسـفياً

مهـاد :

تقف الفلسفة بوصفها واحدة من العلوم المعنّية بالبحث عن حقائق الاشياء ، لتعلن تساؤلها عن (الانسان ، والطبيعة ، والله) باحثة من وراء هذا التساؤل عن الوجود الانساني برمته ، نشأته وفنائه ، خلقه وتكوينه ، بدايته وحاضره ومستقبله ، الى جانب البحث عن الكيفية التي يسير بها هذا الوجود عبر ازمان متراتبة يجمعها في النهاية زمن كلي واحد ، ينبثق من جزيئات زمنية متعاقبة تدور حول زمنها الواحد نفسه ، وصولاً لنهاية خلاص مُؤمّلة تنتظر الوجود بماهّيته ، كما ينتظرها الوجود نفسه .

يتساءل الانسان مندهشاً " ما الحياة ؟ متى تبدأ واين تنتهي؟... وهل ثمة علاقة وطيدة أكثر من مجرد القرابة - بين السابق واللاحق ؟ هل ثمة أزل أو أبد ؟ أو حتى خلود ؟ ... " [١] واسئلة كثيرة غيرها يحيط بها الانتظار من كل جانب ، حيث الرغبة الملحة في معرفة هذا المجهول القادم ، معرفة النهاية الأزلية لكل شيء في هذا الوجود ، متى وكيف سينتهي ؟ وكم بوسع الانسان ان ينتظر حتى يشهد مثل هذه النهاية ؟..

ان الحقيقة التي تغلب ظاهر الوجود هي : " حقيقة الوجود الانساني الذي يمر عبر الطريق الازلية: ظلمة الرحم ،ومضة نور ، ظلمة القبر .." [٢] وان لهذه الحقيقة الظاهرية تفرعات ومفترق طرق ، يقف خلالها الانسان متأملاً ومتسائلاً ، على الرغم من الانتقالات الزمنية المتعاقبة التي تنقله من حال الى آخر ، نراه يصنع له الأمل وفي مناطق خياله البعيدة ليكون في حالة أنتظار دائمة مستنداً في ذلك الى مرتكزات اعتقادية تحمل دلالاتها الدينية والفلسفية المحتكمة لمنطق الاشياء ، " لان الامل اذا أريد له ان يكون أملاً فعلاً ينبغي ان يكون له أساس عقلي ، والأسس العقلية للأمل لا بد وان تبدو قائمة بالنسبة لنا." [٣]

الوجدان الانساني هو المَعنيّ بتأمل الحاضر والاهتمام به ، مثلما هو معنيّ بالانتباه الى المستقبل ، " فالانتباه هو انتظار ، وليس ثمة وجدان يخلو من انتباه البالحياة . فالمستقبل هو هنا ، يدعونا اليه ، او بالاحرى يجذبنا اليه ، وهذا الجذب المتواصل ، الذي يجعلنا نتقدم على طريق الزمن ، يدفعنا ايضاً الى العمل المتواصل ، وكل عمل هو تطاول على المستقبل.." [٤] .

هذا الجذب بدأ منذ العصور القديمة ، حين أصبح الحضور الألهي له قدسيته في النفس الانسانية لدرجة " ان صاغ الانسان هذا الاحساس في معتقد يقسم الوجود

---

(١) - محمد محمد قاسم ، مدخل الى الفلسفة ، دار النهضة العربية ، بيروت ـلبنان ، ط١ ،٢٠٠١ ، ص٣١.
(٢) - بديعة أمين ، في المعنى والرؤيا ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٩ ، ص٢٥ .
(٣) - وليم .ت. نون، الادب الحديث والاحساس بالزمن ، مجلة الثقافة الاجنبية بغداد ، العدد ٢ ، ١٩٨٨ ، ص٦٤ .
(٤) - وليم .ت. نون ، المصدر السابق نفسه ، ص١٣٩

الى مستويين : مستوى طبيعاني ، ومستوى قدسي فوق طبيعاني لا مرئي ، يتخلل بقوته المستوى الاول ويجمعه اليه " [١] .

وهكذا أصبح المعتقد القدسي المحتكم جلّه الى الغيبيات الألهية ، يبحث عن نهاية العالم وخلاصه فيها ، ولقد احتكمت التصورات المختلفة في مختلف الثقافات والأديان الى وجود نهاية للعالم ما دام هناك بشر ، ولهذا كان لزاماً على ظاهرة الأنتظار ان ترتبط فلسفياً بظاهرة (الزمن)، لكون الانتظار يتعلق بالزمن القادم الى جانب ارتباطها – أي الظاهرة الأنتظارية نفسها – بقضية (الايمان) لارتباطها بالمعتقدات الدينية الموصلة بالمعاجز الألهية الغيبية ، ولأن اساس التعامل مع الغيبيات هو الأيمان بها .

١- الانتظار في الفلسفة القديمة :

اهتم عدد من فلاسفة الأغريق الاوائل ما قبل سقراط ، بمفهوم (الزمن) المرتبط ضمنياً بمفهوم (الانتظار) ومن أوائل هؤلاء الفلاسفة هو هير قليطس (٥٣٦ - ٤٧٠) ق.م. نظر هيرقليطس عبر فلسفته التأملية الى الكون والاشياء بأنهما غير ثابتين ، فـ" ليس ثمة شيء ساكن ، ان كل الاشياء من حولنا ، بل العالم بأكمله في حالة تغير مستمر..." [٢] الى جانب رصده لحركة وصيرورة سرمدية في ارجاء العالم ، تجعلنا نتلمس الانتظار المستمر لتغير ووضع جديد قادم دائماً . وعلى عكسه كان الفيلسوف بارمنيدس ٥٤٠ ق.م، الذي اكد ثبات وسكون العالم ، وجعل هذا الثبات والسكون لديه معياراً لتفسير العالم ، " فهو رأى ان العالم ثابت ثباتاً ابدياً..الوجود الثابت والمتجانس " [٣] .

الى جانب في هذه النظرة كان الفيلسوف زينون ٤٦٠ ق.م الذي اكد الثبات والسكون متأثراً باستاذه بارمنيدس ، بهذا تكون الظاهرة الانتظارية متلاشية طالما ان العالم ثابت لا يتغير ، لان الانسان اذا ما أقر واعترف بالثبات المطلق والابدي ، لا يبقى امامه من شيء ينتظره ، عندها ينعدم الانتظار . ان هيرقليطس أقرب الى الظاهرة الانتظارية فلسفياً ، لاعتقاده القاطع بالتغير والصيرورة المستقبلية .. انه لا يؤمن بالثبات والسكون ، بل ينظر الى المستقبل منتظراً تغيراً ما ، نحو صيرورة جديدة يطمح لها الوجود والعالم ، لانه يرى –أي هيرقليطس- بان ليس ثمة دوام لاي شيء حوله .

ونجد المغايرة نفسها عند الأيليين ۞ الذين يقولون بالثبات والسكون حيث لا بداية ولا نهاية "..لأن (الكون) لو كان له بداية زمنية في الماضي ، او نهاية زمنية

---

(١) - فراس السواح ، دين الانسان ..، مصدر سابق ، ص ص ١٧٧ ، ١٧٨

(٢) - محمد محمد قاسم ، مصدر سابق ، ص ص ٩٣ ، ٩٤ .

(٣) - يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ،ط٥ ، ١٩٦٦ص ٩٣.

۞ - الايليين : نسبة الى ايليا الواقعة على الشاطئ الغربي من ايطاليا ، والتي ينتسب اليها الفلاسفة امثال بارمنيدس الذي ينحدر من اسرة كريمة عريضة الجاه والثراء كانت تقطن ايليا . وزينون الايلي وهو حكيم

في المستقبل لكان معنى ذلك انه جاء من عدم وصار الى عدم ، والعدم لا وجود ، فكيف يكون سبباً للوجود ." [١]

اما اذا انتقلنا لمرحلة جديدة في الفكر الفلسفي اليوناني ، وتحديداً عند الفيلسوف أفلاطون (٤٢٨-٣٤٨) ق.م ، سنجد ان الظاهرة الانتظارية قد دخلت عوالم جديدة ، حيث عمد افلاطون في نظريته المثالية الى(تقسيم العالم الى عالمين هما : عالم الاشياء المحسوسة وعالم المعقولات أو الصور..) بكلام آخر نقول (عالم المثل)و(عالم الادراك الحسي) .

عالم المثل لدى أفلاطون هو العالم الازلي ، وعنده يرتبط الزمن بالفلك لان " الزمن حدث مع الفلك، ليولدا معاً وينحلا معاً . ان جرى انحلالهما يوماً ما. " [٢] فالزمان عنده هو جوهر الحركة .

لقد بنى افلاطون فلسفته الكونية وفي احدى أفكارها على (فكرة العلاقة بين الوجود والتغير) ،فالناس يجيئون ويذهبون ، لكن مثال الانسان باق عبر الزمن ولا يتغير ابداً . فهناك اذاً عالمان عالم المثل وهو عالَم ثابت لا يتعرض ابداً لتغير ويظل الى الأبد وهو عالَم خارج الزمن . أما الآخر فيحوي الاشياء المحسوسة وهو عالَم يوجد في مكان ويخضع للتغيرات المميزة للزمن . وبهذا يكون افلاطون قد حل اشكالية التعارض بين كل من هرقليطس في قوله بالتغير ، وبارمنيدس وزينون في قولهما بالثبات . وان الزمن في نظر افلاطون هو " الصورة المتحركة للازلية والتي تكشف عن نفسها في عالم تحكمه دورات من التغير المستمر." [٣]

على وفق هذه المفاهيم بنى افلاطون جمهوريته المثالية التي تقع خارج الزمن ،والتي كان لها تأثيرها الواضح فيما بعد ،في الفكر الفلسفي الغربي والأسلامي وتحديداً في من سعى الى بناء مدينة فاضلة عادلة ينتظرها الوجود برمته .

وعند ارسطو(٣٨٤-٣٢٢)ق.م ، نتوقف عند ارتباط الزمان الأرسطي بكل ما هو محسوس وحركي في مكان ، الى جانب ادراك الزمن بادراك عدد الحركة الحاصلة في المكان ، لان الزمن عند ارسطو هو " مقياس الحركة بالنسبة للتقدم والتأخر" [٤] .

وان الآن يتجدد باستمرار الحركة في المكان " كما ان الآن ليس جزءاً من الزمان وانما حد بين صنفي الزمان (الكان والسيكون) بمعنى لا يشكل جزءاً من كليهما فهو طرف موهوم وموجود بالقوة ." [٥] على هذا يكون الانتظار قد تشكل من

آخر من ايليا . ومليسوس (٤٤٤- ؟) ق.م هو ثالث الثلاثة ، آيوني المنبت ، إيلي الفكر والاتجاه تتلمذ على يد بارمنيدس كصاحبه زينون .. وللمزيد ينظر : جعفر آل ياسين ، فلاسفة يونانيون من طاليس الى سقراط ، مكتبة الفكر العربي للنشر والتوزيع ، بغداد ، ط٢ ، ص ٨٥ ، من ص ٤٧ – ٦٢ .

(١) - حسام الدين الآلوسي ، مصدر سابق ،ص١٣٨

(٢) - أفلاطون ، طيماوس واكريتس ، تحقيق وتقديم : البيرايفو ، تر: فؤاد جرجي بربارة، وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي .

(٣) - سيد محمد غنيم ، مفهوم الزمن عند الطفل ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، العدد ٢ ، ١٩٧٧ ،ص٧٠ .

(٤) - ارسطوطاليس ،علم الطبيعة ، تعليق : بارتلي سا نتهلير تر: أحمد لطفي السيد مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ،١٩٣٥ ص٢٢١ .

(٥) - يوسف كرم ، مصدر سابق ، ص١٤٤ .

مجموعة آنات ، يبدأ من انطلاقة الآن الاولى ، بانتظار الوصول الى الآن الأخيرة التي تحدد الوقت الزمني للانتظار ضمن مقاييس الزمان الكيفي .

أما(الرواقيون) الذين تبنوا نظرية (العود الابدي) التي تنتظر العالم الجديد الذي يظهر بعد فناء هذا العالم واحتراقه ، حيث ترى هذه النظرية " ان العالم لا يفنى بعد احتراقه ، وانما يعود في السنة الكبرى بعد آلاف عديدة من السنين لما كان عليه من قبل ويبدأ عالم جديد تمر به الاحداث السابقة عينها ويعيش فيه الاشخاص أنفسهم الذين عاشو في العالم السابق ." (١) .

وفي زمن أفلوطين (٢٠٤ – ٢٧٠)م تعددت ديانات الخلاص وخاصة الشرقية منها ، وعلى حد قول برهييه : " فعلى حين ان تطور الرياضيات في عصر أفلاطون يرتدي اهمية فائقة بالنسبة الى المؤرخ ، فان غزو اديان الخلاص الشرقية في زمن أفلوطين هو ما يتحتم ان يسترعي الانتباه.." (٢) والسبب في ذلك انما يعود الى الاكثار من وسائل التنبؤ بالمستقبل وهو الزمن الذي عمت فيه الشعوذة والتدجيل ، انه زمن الافلاطونية الحديثة .

ان انتعاش ديانات الخلاص في هذه المدة فتح الطريق امام عودة معتقدات الخلاص الغنوصية ۞ التي نشأت في الشرق القديم وامتدت الى العالم اليوناني والروماني خلال القرون الثلاثة التالية للميلاد وقد جعلت من السيد المسيح نفسه مركزاً لطقسها ومعتقدها . وهيمنت موضوعة (الفداء او الخلاص من الشر) على المذاهب الغنوصية التي سادت في مرحلة العصور الوسطى ، " فبالنسبة الى اليوناني يزول الشر بتأمل الكون الذي هو جزء منه ، اما بالنسبة الى الغنوصي فيزول بدمار هذا الكون ، والا فبتسامي النفس فوقه وخارجه " (٣) .

لقد تغير الشعور بالحياة وفهمها العرفي في حقبة (عصر التنوير والعقلانية) القرنين السابع عشر والثامن عشر ، فحدثت انطلاقة تحولية آلت الى انفصالية بين (الايمان والمعرفة) بمعنى آخر انفصالية بين (الايمان والعقل) نهاية العصر الوسيط

---

(١) - ابراهيم مدكور ، مصدر سابق ، ص١٣٠ .

(٢) - اميل برهييه ، تاريخ الفلسفة –الفلسفة اليونانية ،تر:جورج طرابيشي ، دار الطليعة ، بيروت ط١ ، ١٩٨٢ ص١٦ .

۞ - الغنوصية (gnosticisme) : تيارات روحية أحدثت ثورة صامتة ضمن الفكر التوراتي الرسمي ، ومهدت الطريق امام المسيحية .. وهي تعني العرفانية .. والغنوصية نسبة الى غنوص وهي كلمة من اصل يوناني تعني " فعالية روحانية تقود الى معرفة الاسرار الالهية من خلال تجربة باطنية تقود الى الكشف والاستنارة " وهي"تيار روحي يقوم على نقد جذري لليهودية وللمسيحية اليهودية ،نشأ هذا التيار في الاسكندرية ثم امتد الى سوريا وبلاد الرافدين .." ينظر : فراس السواح ، لغز عشتار، مصدر سابق ، ص٢٠٣ .. " وهي تحيل – أي الغنوصية- في الارث العقلاني الاغريقي على المعرفة الحقيقية للوجود التي تعد حوارية وديناميكية في الآن نفسه ، في تقابلها مع الادراك الحسي البسيط أو المعيار ... وان الغنوصي ينظر الى نفسه باعتباره كياناً منفياً وضحية لجسده الخاص ، معتبراً هذا الجسد قبراً ومنفى . لقد قذف به الى العالم ، وعليه ان يجد مخرجاً منه ... " ينظر : امبرتو ايكو ، مصدر سابق ، ص ص ٣٨ ، ٣٩ .

(٣) - اميل برهييه ، الفلسفة الهلنستية والرومانية ، تر:جورج طرابيشي ، دار الطليعة ، بيروت ، ط١ ١٩٨٢ (ج٢ من تاريخ الفلسفة ص ٣٠٦)

، الامر الذي ادى الى ضعف التوجه نحو العالم الآخر ۞ والانشغال بالموضوعة الدنيوية بوصفها وجهة نظر جديدة حيال العالم .

في ظل هكذا توجه ، تخلخل معتقد الخلاص الغيبي بعد ان ساد الفكر الدنيوي على انقاض الحروب الدينية " واخذ الانسان يضع ثقته في قوة الفكر والعقل ، وامتلأت روح العصر بجهود هدفها كشف اسرار الخلق بواسطة الفكر المنهجي ، وجنّح الايمان بالعقل ، في المرحلة التي شق الطريق لها الفلاسفة : رينيه ديكارت (١٥٩٦-١٦٥٠) وباروخ سبينوزا (١٦٣٢-١٦٧٧) وغوتفريد فيلهلم لا يبنتيز (١٦٤٦-١٧١٦)" [١] كما سنوضح لاحقاً .

وعلى الرغم من كل هذا ، ظل التأثير الافلاطوني مستمراً ، فبعد أفلوطين ، يظهر القديس أورليوس اوغسطين (٣٥٤-٤٣٠) م الفيلسوف المسيحي ورجل الدين الالماني ، مشغولاً ايضاً بالزمن على وفق التساؤل الآتي : "..ولكن ما هو الزمن ؟ اذا لم يسألني احد عنه فانني اعرفه ، واذا اردت ان اشرحه لمن يسألني عنه فانني لا اعرفه " [٢] وبهذا يكشف اوغسطين عن انشغالاته بوصفه (اول من لاحظ طبيعة الذاكرة بوصفها مفتاحاً لتركيب الزمن) وهذه الملاحظة جاءت نتيجة اهتمامات اوغسطين بعد اعتناقه المسيحية عام ٣٨٦م الى جانب اهتماماته بالنظر الى الحياة بوصفها صراعاً بين قوتين مستقلتين هما النور والظلام ، فكتب اشهر مؤلفاته (مدينة الله) الذي كشفة عن تأثره بأفلاطون بوضوح . وكان لنظرة اوغسطين " العامة للعالم طابع ايماني واضح المعالم يقوم على اساس مبدأ يقول :"حيث لا يوجد ايمان لا توجد معرفة حقيقية " [٣] وفي كتابه (مدينة الله) طور اوغسطين المفهوم المسيحي لتاريخ العالم ، ذلك ان المسيحية في نظره " تبني تأريخاً للانسان ، تتمثل احداثه الفاصلة في الخطيئة والاقتداء اللذين يبدلان الانسان رأساً على عقب ، هو وملكاته وشروط سعادته ، وقوام الحياة المسيحية انتظار تحولات من هذا القبيل وترقبها وترجيها وتمهيد السبيل امامها ." [٤] .

فضلاً عن ذلك ، يرى اوغسطين " ان هناك خبرة او فكرة او شيئاً حاضراً ، ومع ذلك فبأمكاننا بناء تسلسل زمني له معنى يعلل الماضي والمستقبل بواسطة الذاكرة والتوقع ، نعني بالماضي اذاً اختبار الذاكرة الحاضرة لشيء معين مضى و بـ(المستقبل) التوقع او الانتظار لشيء آت او مقبل" [٥] .

لقد كان القديس اوغسطين من أبرز آباء الكنيسة الذين استعانوا بأفكار أفلوطين في تأييد تعاليم المسيحية ، ولم تكن فلسفته سوى مزيج من التصور اليهودي المسيحي لله ، زيادة على المثال الافلاطوني للعالم الافضل .

۞ - ترسيمة (السماء ، الارض ، الجحيم) الموروثة .

(١) - تسمر لينغ ، مصدر سابق ، ص١٦٥ .

(٢) - أ.أ مندولا ، مصدر سابق ، ص ١٨٢ .

(٣) - الموسوعة الفلسفية ، مصدر سابق ، ص .

(٤) - اميل برهييه ، تاريخ الفلسفة ، القرن الثامن عشر ، ج٥ ، تر : جورج طرابيشي ، دار الطليعة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٢ ، ص١٨٣ .

(٥) - نيقولاي بردايئيف ، العزلة والمجتمع ، تر : فؤاد كامل ، دار الشؤون الثقافية بغداد ، ١٩٨٥ ، ص١٢٣ .

اما الفيلسوف الانجليزي فرنسيس بيكون (١٥٦١-١٦٢٦)م ، فتتوسع عنده قليلاً المديات الفلسفية المحيطة بالظاهرة الانتظارية ، وتحديداً في مؤلفه (أطلانطس الجديدة) الذي عرض فيه آراءه السياسية وعلى طريقة افلاطون في المدينة الفاضلة ، لقد حاول بيكون ان " يحلم بمثل ما كان يحلم به افلاطون في جمهوريته والفارابي في مدينته الفاضلة وابن باجة في تدبير المتوحد " [١] وهي تحيلنا كذلك على (فرضية النجار) سالفة الذكر وجزيرته الخضراء في مثلث برمودا ، حيث التناص الواضح بين التخّيلين كما وجده الباحث ۞ .

ففي كتاب بيكون (اطلانطس الجديده) اخبار عن " وجود جماعة تستضيء بنور العلم في كل اعمالها الاجتماعية والاخلاقية وانها تسكن جزيرة نائية اطلق عليها اسم اطلنطس وقد شاء خيال بيكون ان يكون موقع الجزيرة في اقصى المحيط الهادي " [٢] .

وقصة هؤلاء الجماعة بايجاز هو ضياعهم في سفينة في البحر ليصلوا في النهاية الى جزيرة زاهية بشكلها ، واهلها ذوو اخلاق كريمة ، ولقد وافق سكان الجزيرة على استقبال هذه الجماعة الضائعة وضمهم للعيش معهم . وفي كل يوم يمر كان هناك اكتشاف لسر جديد في هذه الجزيرة التي يبدأ تاريخها من ألف عام ، حيث كان الملك سليمان يسيطر على الجزيرة مع حكومته المتعددة بالمهن والفنون . وان سياسة هذ ه الجزيرة معنّية بمواصلة ما يجري في بلدان العالم كافة ، بطريقة ارسال عدد من علماء الجزيرة الذين " يتبدلون مرة في كل اثني عشر عاما وهؤلاء يزورون شعوب الارض قاطبة فيتعلمون لغاتهم ويدرسون علومهم وصناعتهم وآدابهم ." [٣] .

انه انتظار قائم لحياة جديدة تخيلها بيكون في مدينة جديدة استقى افكارها من تأثيرات فلسفية ودينية من تلك الطامحة الى تحقيق الوعد الإلهي في دولة العدل والتكامل الانساني المنتظر .

٢- الانتظار في الفلسفة الحديثة :-

لقد اعتاد مؤرخو الفلسفة على تحديد بداية الفلسفة الحديثة بالفيلسوف رينيه ديكارت (١٥٩٦-١٦٥٠) م ، بوصفه " اول فيلسوف يقوم بانقلاب على ارسطو وينجح في هذا الانقلاب ، ودشن بذلك مرحلة جديدة في تاريخ الفكر الاوربي

---

(١) - موسى الموسوي ، فلاسفة اوربيون من ديكارت الى برجسون ، دار المسيرة ، ط١ ، ١٩٨٠ ، ساعدت جامعة بغداد على طبعه ، ص٤٠ .

۞ - يشير الباحث الى تأثر النجار في فرضيته بفرضية بيكون المارة الذكر ، ويمكن مراجعتها لغرض المقارنة بين التخيلين كما يربط الباحث ايضاً نتيجة الاقتراب الواضح ما بين هذه التخيلات الفلسفية ، بمصطلح (يوتوبيا Utopian) الذي كان توماس مور اول من استخدمه " وهو من اليونانية يعني حرفياً مكاناً غير موجود كوصف لمجتمع مثالي . وكان هذا الاسم الذي اطلقه على جزيرة خيالية ينشأ عليها مجتمع مثالي . وبعد ذلك استخدم هذا الاصطلاح في وصف النظم الاجتماعية وغير الممكنة عملياً في الاساس" جان لا بلانش وبونتاليس ، الموسوعة الفلسفية ، مصدر سابق ، ص ٣٢ .

(٢) - موسى الموسوي ، المصدر السابق نفسه ، ص٣٧ .

(٣) - للمزيد ينظر : موسى الموسوي ، المصدر السابق نفسه ، ص٣٩ .

والبشري بشكل عام .. فما قبل ديكارت شيء ، وما بعده شيء آخر ، ما قبله سيطرت الفلسفة الارسطو طاليسية ، وما بعده سيطرت الفلسفة الديكارتية . " [١]

ان تبدأ بالشك وسيلة لبلوغ اليقين ، هكذا بدأ ديكارت مذهبه العقلي في عصر الثورة العلمية ، انه يشك ، يفكر ، فهو موجود .

يقرر ديكارت في نظريته الفلسفية بازاء الوجود " ان العالم لا محدود بمعنى انه لا متناه من حيث الامتداد .. كما يمكن ان نقرر على نفس القاعدة ان الديمومة متصلة ولا متناهية ولا يمكن ان نقف عند آن منها ، لان الديمومة ذاتها لا تتوقف ابداً الى ما لا نهاية . " [٢] فالظاهرة الانتظارية على وفق هذا المفهوم تكون هي الاخرى لا محدودة ، والانتظار هو الآخر ليس له حد . وما يعزز هذا المفهوم ان ديكارت خَلُصَ الى ايمانه بنظرية الخلق المستمر ، بكلام آخر ، انه آمن باستمرارية الوجود والخلق المستمرّين ، فالانتظار يكون والحالة هذه ، انتظاراً مطلقاً .

ولقد كشف الكاتب الفرنسي الساخر فولتير (فرانسوا – ماري آرويه) (١٦٩٤-١٧٧٨) م عن اهتمامه وترسيخه لمفاهيم الحياة العقلية والخلقية والاجتماعية ، والباسها روحاً فلسفية ، بهدف تحرير الانسان من الاحكام المسبقة ، التي وجد فيها فولتير علة شقاء هذا الانسان . الى جانب شعوره بثبات الاشياء وباستحالة تغييرها ، الامر الذي قاد فولتير الى الاعتقاد بالثبات شبه التام للاشياء واللغات التي لا يمكن ان تطرأ عليها الا تغيرات سطحية . [٣] .

في القرن الثامن عشر ظهرت فلسفة كانت (١٧٢٤-١٨٠٤) م النقدية ، لتجمع بين : المذهب الحسي ، والمذهب العقلي ، الى جانب اعلان كانت عن موقفه الواضح بازاء العالم وتصوره بقدمه واحتوائه على سلسلة لا نهائية من الاحداث ، كل حدث فيه يمثل جزءاً من تاريخ هذا العالم . يقول كانت : " ان العالم نفسه لا يمكن ان يكون له بداية وهو بالتالي لا متناه بالنظر الى الزمن الماضي " [٤]

لقد وقع كانت في تناقض ملموس فيما يتعلق بخلود النفس وعالم الغيبيات التي سوف يحتويها ، فقد انتهى كانت في نقد العقل النظري الخالص الى رفضه وانكاره الله وخلود النفس والثواب والعقاب ، نظراً لعدم توفر العنصر الحسي لها .. لكنه عاد في نقد العقل العملي الخالص فقبل ما رفضه في نقد العقل النظري الخالص كمَسلّمات ضرورية للايمان والسلوك الاخلاقي . [٥] .

ولأن نشوء الادراك الحسي لدى كانت اول سبيل للمعرفة ، فقد التجأ الى الانطباعات الحسية تجاه الوجود والموجودات بوصفها مصدراً لكل معرفة .

---

(١) - هاشم صالح ، الفكر التنويري والعقلاني الحديث بين ديكارت وباشلار ، مجلة نزوى ، العدد ٣٢ ، ٢٠٠٢ ، ص٢٥ .

(٢) - علي عبد المعطي محمد ، قضايا الفلسفة العامة ومباحثها ، دار المعرفة الجامعية في الاسكندرية ، ١٩٨٣ ، ص١٣٩ .

(٣) - للمزيد ينظر : اميل برهييه ، ج٥ ، مصدر سابق ، ص ص ١٧٩ ، ١٨٠ .

(٤) – عما نوئيل كانت ، نقل العقل المحض ، تر : موسى وهبة ، مركز الانماء القومي ، بيروت ، ب ت ، ص ص : ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

(٥) - للمزيد ينظر : علي عبد المعطي محمد ، مصدر سابق ، ص٢٠٧ .

ويعرّف كانت الدين في كتابه (الدين في حدود العقل) بقوله : " هو الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة على اوامر الهية " [١] وبهذا التعريف يقترب كانت اكثر من الايمان بالغيبيات واعطاء الاهمية للسلوك الاخلاقي كونها مستندة بواجبات الانسان تجاه خالقه .

ومن المدرسة المثالية الالمانية يتوقف الباحث عند الفيلسوف الالماني شوبنهاور (١٧٨٨-١٨٦٠) م الذي بحث عن الخلاص ، برفضه للعالم الناتج من نظرة تشاؤمية متخذاً من " طريق الفن او التأمل الجمالي ، خلاصاً عابراً ومؤقتاً من ارادة الحياة ، وبالتالي من عناء الحياة وشقائها ... اما الطريق الذي يكفل لنا خلاصاً دائماً من الحياة او من ارادة الحياة ، والذي يمثل بذلك الحل الاسمي لمشكلة الحياة والوجود ، فيمثل في نظريات شوبنهاور الاخلاقية عن الفضيلة والزهد " [٢] .

لقد احل شوبنهاور فكرة الارادة محل الله او المطلق ، لان الخلاص الاخير برأيه وعلى حد قوله : " يقودنا الى العدم . فالعدم هو سلب الوجود ، وما الوجود الا عالم التمثيل الذي هو مرآة الارادة . " [٣] وبهذا يكون شوبنهاور قد عاكس مفهوم الخلاص الديني الذي يرى في الخلاص تحقيق العدالة الالهية الموعودة . على الرغم من تلمس بعض المفاهيم عنده والقريبة جداً من الدين كالزهد والفضيلة وتحقيق (النيرفانا) بوصفها السكينة المطلقة لدى شوبنهاور ، أي وأد ارادة الحياة التي اقتبسها من البوذية ، لدرجة ان شكلت اراؤه الاساس الايدلوجي الرجعي – فيما بعد – لفلسفة نيتشه (١٨٤٤-١٩٠٠) م ، الا انه كان ينكر مذهب التأليه ومذهب وحدة الوجود .

وتبرز الظاهرة الانتظارية لدى الفيلسوف والشاعر الالماني فردريك ويل هيل نيتشه ، بشكلها الوحشي والتدميري المتمثل بالمنقذ المخلّص (السوبرمان – الانسان الخارق) بوصفه الكائن الكامل بقوله ومثله .

" يُظهر نيتشه نقده المتشائم للعالم في كتابه (هكذا تكلم زرادشت كتاب للجميع ولا احد) حيث يطالب باعادة النظر في نسق القيم ، فالانسان (الخارق) فقط وهو (الانسان الاعلى منا جميعاً) سيكون بامكانه تغيير العالم واتاحة الفرصة امام البشرية للتطور ، (الا ان هذا الانسان لم يُخلق بعد .) " [٤] وفي ذلك مقتربان : الاول يقترب من الروح المتيافيزيقية المتشكلة على وفق الانتظار المتيافيزيقي (المطلق) والثاني يقترب من المفاهيم الدينية الاسلامية ضمن مواصفات خاصة للامام الغائب الذي ولد وعاش ثم غاب بارادة الهية مطلقة هي الاخرى .

وفي ذلك نشهد تحول الغائب الى قوة ميتافيزيقية من شأنها تفعيل حركة الحياة وجيشانها بالفعل والبحث ، لا الركون والخمول سوى فعل الانتظار ، ففي ذلك تأثير سلبي في المديات القيمّية لظاهرة الانتظار .

---

(١) - Immanual kant : " Religion with in the limits of reason Alone " Translated by : Creene . T.M., and Hudson H.H, New York, ١٩٦٠. P. ٦٧ .

(٢) - سعيد محمد توفيق ، ميتافيزيقيا الفن عند شوبنهاور ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٩٨٣ ، ص٨٤ .

(٣) - سعد محمد توفيق ، المصدر السابق نفسه ، ص٩٤ .

(٤) - باربارا باومان وبريجيتا او برله ، عصور الادب الالماني – تحولات الواقع ومسارات التجديد ، تر : هبة شريف ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، العدد ٢٧٨ ، ٢٠٠٢ ، ص٢٣٩ .

وعند ظهور نظريات التطور والارتقاء ، كالتطورية والوضعية بدأ التنكر لكل ما هو ميتافيزيقي مطلق ، والاعتراف بالتجربة المادية الواقعية . ولذا نجد اوغست كونت (١٧٩٨-١٨٥٧)م قد نادى بـ " قانون الحالات الثلاث .. وخلاصته ان البشرية مرت بسير فكرها وحضارتها بمراحل ثلاث تتميز كل منها بطابع معين وتختلف عن الاخرى ، وتمثل المرحلة الاولى ادنى هذه المراحل ، والثالثة اعلاها ، وهي على النحو الآتي :

١. مرحلة الخرافة والاسطورة .
٢. مرحلة الميتافيزيقيا او الفلسفة .
٣. مرحلة التفكير الواحد (التفكير العلمي) . " [١] .

وبهذا تكون الفلسفة الوضعية قد حاولت القضاء ، او قضت على فكرة الدين المنزّل ، لان (اوجست كونت) نفسه ، يرد الدين الى العقلية البدائية ويجعله مرحلة منقضية بين التفكير الخرافي والتفكير الوضعي او العلمي [٢] ، على وفق تقسيماته سابقة الذكر .

ان مثل هذه الدعوات وغيرها من شأنها اضعاف الظاهرة الانتظارية وزحزحتها عن اركانها الايمانية الغيبية كالله او النفس ، الامر الذي يعطى للانتظار طابعاً سلبياً من شأنه اماتة الفعل الحياتي واماتة الاعتقاد القاطع بان هناك - وفي القابل من الزمن - خلاصاً حتميّاً ينتظره الجميع .

وحتى لو افترضنا ان الكائن البشري لا ينتظر شيئاً في الافق ، وان الموت يحيط بكل الاشياء من حوله ، فانه لابد وان يفكر يوماً بالانقلاب على مثل هذا الواقع المميت والثورة عليه ، وما الثورة هنا الا طريق للخلاص ، فتتحول مثل هذه الثورة الى وسيلة توصل الى منطقة امان جديدة ، حيث نهاية زمن وانتظار لبداية زمن جديد قادم .

ولقد حاولت الفلسفة الماركسية اقامة مثل هذه الثورة الخلاصية تحت مساع واهداف من شأنها تحقيق الفردوس الارضي الموعود في العالم الدنيوي ، لا ذاك الفردوس الالهي الاعلى الذي تنكرت له الفلسفة الماركسية واعلنت رفضها له ، بحسب ما اعلنت عنه كتابات مؤسس الماركسية الفيلسوف الاقتصادي والسياسي الالماني كارل ماركس (١٨١٨-١٨٨٣)م الذي اعلن نفسه مؤسساً لمذهب خلاصي دنيوي جديد .

كذلك نجد لدى (فلاديمير أيليتش اوليانوف) لينين (١٨٧٠-١٩٢٤)م ، انهماكاً في اقامة الفردوس على الارض ، حيث " اسعد مواطنيه بيوم حشر ، وعجّل بنهاية العالم ، هدفه تجديده بأسره كعالم قديم ، لكنه لم يبلغ هدفه هذا ، اذ انهارت الامبراطورية السوفيتية بعد ثمانين عاماً ، وكانت تعتبر عتبة اولى الى الفردوس

---

(١) - Erich Frank " Philosophica understanding and religiouse truth " Fourth Printing , Oxford university press, London, ١٩٦٢, PP. ١٢٢-١٢٣ .

(٢) - للمزيد ينظر : علي عبد المعطي محمد ، مصدر سابق ، ص٢٠٧ .

الارضي الذي سمي (الشيوعية) ، لكن فكرة عالم يخلو من استغلال ويسيطر عليه السلام لم تنهر بانهياره " [١] .

تحولت الظاهرة الانتظارية ، على وفق مثل هذه المفاهيم ، الى صبغة سياسية ، وما رسّخ هذا الامر ، هو المحتوى الفلسفي (للمادية التاريخية) بوصفها تُشكل احد محاور الاساس للفلسفة الماركسية ، وتحاول – أي المادية التاريخية – ان تتنبأ وترسم مستقبلاً سعيداً للعالم ولكن الانهيار السياسي السوفيتي كان له اثره المباشر في اخماد هذا التنبؤ وعرقلته وتجميده .

يتبين مما تقدم ، ان الانتظار في الفلسفة الحديثة قد توزع وعلى وفق تقسيمات البحث للانتظار اصطلاحياً ، الى (الانتظار الميتافيزيقي) المتجسد في فلسفات : ديكارت ، وكانت ، ونيتشه . و(الانتظار البسيط او المؤقت) ، الذي كان متمثلاً في فلسفة شوبنهاور ، و(الانتظار الفوري) الذي اقتصر على الفلسفة الماركسية ، اما لدى فولتير وكونت فقد غاب الانتظار لديهما تماماً لثبات الاشياء لدى الاول وغياب الايمان الغيبي لدى الثاني .

٣- الانتظار في الفلسفة المعاصرة :

يتساءل الفيلسوف وعالم النفس الفرنسي هنري برغسون (١٨٥٩-١٩٤١م) في نظريته الفلسفية عن الوجود بالقول : " من اين أتينا ؟ وماذا نحن ؟ والى اين ذاهبون ؟ " [٢] منطلقاً في تساؤله من " اننا لا نستطيع ان نتكلم عن واقع يدوم من غير ان نتكلم عن وجدان يستوعبه " [٣] .

اقترح برغسون نوعين من الزمن : الزمن النسبي بالمعنى الرياضي ، والزمن النسبي بالمعنى الانساني . فكل امرئ يعلم ان حقبة زمنية معينة قد تبدو على وفق الشروط المحيطة ، اطول او اقصر من حقيقتها " وقد عبرت اللغة عن هذه الحال بمصطلحات من مثل (الوقت يطير) و (الوقت ساكن لا يريم) " [٤].

يرفض برغسون اضفاء المكانية على الزمان لان ذلك يقود الى " حرمان الزمان من طابعه الحقيقي والقضاء على اصالته وحيويته التي تتمثل في ديمومة خالصة لا يخالطها أي امتداد مكاني ، وان الزمان الحقيقي يجب ان يتبعد تماماً عن تلك المكانية وذلك الزمان الحقيقي او الديمومة التي لا تدرك الا بواسطة الحدس " [٥] .

على وفق هذه الافكار ، يمكن تمييز فلسفة برغسون وحصرها في مدى علاقتها بالانتظار . فقد توزعت هذه العلاقة في اهتمامات برغسون بالزمن وتحديداً انشغاله بفكرة (الديمومة) الزمنية او الصيرورة بوصفها انسياباً زمنياً بلا توقف ،

---

(١) - تسمر لينغ ، مصدر سابق ، ص١٨٥ .

(٢) - اندريه كريسون ، برغسون حياته فلسفته ، تر : بنية صقر ، منشورات عويدات ، بيروت ، ط١ ، ١٩٦٢ ، ص١١٦ .

(٣) - ويليم . ت. نون ، مصدر سابق ، ص١٣٩ .

(٤) - روبت .ب. كابلان ، الارض الياب ، اليوت ، تر : يوسف اليوسف ، مجلة الادب الاجنبية العدد ٤ ، ١٩٧٥ ، ص٣٨ .

(٥) - حسام الدين الآلوسي ، مصدر سابق ، ص١٥٠ .

وبلا تعقيد زمني بالاحداث وبالمتغيرات والتتابعات المتعددة ، الا ان الزمن له حق الانطلاق عبر هذا التتابع الى ما لانهاية . لان الديمومة هنا تعني ببساطة " اننا نختبر الزمن كانسياب او سيلان مستمر ، فلا يتميز اختبار الزمن باللحظات المتتابعة والتغيرات المتعددة فحسب ، بل كل شيء يدوم عبر التتابع والتغير .. " (١) .

" انا أدوم اذا أنا موجود " (٢) . في هذه المقولة نلحظ التعبير الحي عن اللاعقلية ، التي قادت برغسون الى مثالية في الديمومة الخالصة ، أي اللامادية ، وهي اساس واصل الاشياء جميعها. والمادة والزمان والحركة هي اشكال مختلفة فيها نتصور الديمومة .

ان ديمومة برغسون ظلت ساعية الى التغير في الوجود وماهّيته لان الوجود وبحسب ما يراه برغسون يعني " التغير وان التغير يعني النضوج وان النضوج يعني خلق الانسان ذاته بذاته خلقاً متواصلاً " (٣) . وبذلك اقصى برغسون الميتافيزيقيا ، الا انه في المقابل تمسك بالمستقبل لما يتصف به هذا المستقبل من تفعيل الحاضر ، ولهذا نرى برغسون يؤكد " ان استخدام مصطلح (الاستباق الزمني)۞ كان اكثر كثافة في ذهن كتاب الرواية الحديثة من الماضي ، بحيث جعلوا الحاضر اكثر حرية ، أي ان الماضي احساس بينما المستقبل فعل وحركة ومن ثم يكون الاقرب حضوراً " (٤) .

وفي كثير من الاحيان يشكل هذا المستقبل قلقاً متزايداً لبعضهم فيلجأ الى (التنبؤ) بوصفه وسيلة لتهدئة قلقه ، وهنا يبرز مصطلح (قلق الآتي) وهو: " تلك الاستجابة التي يبديها الشخص في كل مرة يجد نفسه فيها في وضعية صدمية ، أي خاضعاً لفيض من الاثارات ذات المنشأ الخارجي او الداخلي ، والتي يعجز عن السيطرة عليها " (٥) ، وفي كتابه (الوجود والزمان) يقول مارتن هيدجر (١٨٨٩-١٩٧٦م) : " .. الانتظار حال للمستقبل مؤسسة على التوقع .. " (٦) وان كل كل مالم يتحقق بعد ، يبقى في اطار التوقع ، وهذا التوقع كثيراً ما يتحول الى قلق

---

(١) - هانز ميرهوف ، الزمن في الادب ، تر : اسعد مرزوق ، مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، ص١٦ .

(٢) - غازي الاحمدي ، الوجودية ، مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦٠ ، ص.

(٣) - اندريه كريسون ، مصدر سابق ، ص٩٥ .

۞ - الاستباق الزمني : مصطلح قصصي يعني به سبق الاحداث من قبل القارئ للمزيد ينظر : سمير المرزوقي وجميل شاكر ، مدخل الى نظرية القصة تحليلاً وتطبيقاً ، دار الشؤون الثقافية – افاق عربية بغداد ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٦ ، ص٧٦ . كما تجدر الاشارة الى ان الاستباق ينقسم الى : اليقينية والتوقع . وهذا الاخير يمكن ان يحدث او لا يحدث ، وعدّ(فينرخ) هذه العملية شكلاً من اشكال الانتظار ... وللمزيد ينظر :

١- بنية الشكل الروائي (الفضاء – الزمن – الشخصية) تر : حسن بحراوي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت لبنان ، ط١ ، ١٩٩٠ ، ص١٣٢ .

٢- قضايا السرد عند نجيب محفوظ ، وليد نجار ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٨٥ ، ص١٠١

(٤) - زكريا ابراهيم، برجسون ، سلسلة نوابغ الفكر الغربي ، دائرة المعارف ، القاهرة ، ب.ت ، ص١٣٠.

(٥) - جان لابلانش وبونتاليس ، معجم مصطلحات التحليل النفسي ، مصدر سابق ، ص ص٤١٢،٤١٣ .

(٦) – مارتن هيدجر ، الوجود والزمان ، ، ص٣٢٩ .

وهم انساني " ولهذا يتميز بالانتظار Gewartigen ، وهو ينطوي على الحاضر – كنقطة انطلاق التوقع – الى المستقبل بوصفه الهدف من التوقع " [٢] .

اما الفيلسوف كارل بوبر (١٩٠٢-١٩٩٤م) ، فقد اعتمد في فلسفته المعاصرة على الاقتراب من الصدق ، وهو هنا " متأثر بالتطورية ، فالمعرفة الانسانية ذاتها تعد جزءاً من عملية التطور ، ذلك ان الانسان – وان كان يشترك مع الحيوان في نقطة واحدة هي التوقعات الا انه – يتميز بمحاولته الدائبة ان يعدل ويطور ويُكيّف توقعاته وملاحظاته ونظرياته " [٢] .

تنقسم هذه التوقعات ، وبحسب بوبر ، الى : صادقة وكاذبة . فيحاول الانسان ان يتخلص من التوقعات الكاذبة والامساك بالصادق منها ، ويشير رفض الانسان للتوقعات الكاذبة الى دور العقل في فهم العالم .

٤- الانتظار في الفلسفة الاسلامية :

- الفارابي (٨٧٣-٩٥٠م) :

ان اهم ما يتوقف البحث عنده مع هذا الفيلسوف العربي الذي لقب بالمعلم الثاني بعد ارسطو ، هو وآراؤه في ما يجب ان تكون عليه المدينة الفاضلة المنتظَرة ، والتي وضع لها الفارابي في فلسفته مقوماتها التي يجب ان تنهض بها هذه المدينة المتخَّلة ، بهدف تحقيق السعادة البشرية لمدن العالم كافة .

لقد جاء الفارابي بمدينته الفاضلة متابعة منه لـ " افلاطون في بناء المجتمع الفاضل بحساب نظام الفرد ، لكنه يستمد تصميمه من نظام الجسم العضوي في حين يستمد افلاطون من قوى النفس " [٣] فيقول الفارابي مُشبّهاً مدينته الفاضلة ببدن الانسان اعضاؤه تتعاون وهي مختلفة : ".. متفاضلة الفطرة والقوى ، وفيها عضو واحد رئيس هو القلب ، واعضاؤه تقرب مراتبها من ذلك للرئيس.." [٤] .

ينتظر الانسان ان يُشبع غرائزه الحيوانية ، لينتقل الى انتظار آخر يتمثل في اشباع رغبات انسانية ، ولا يمكن ان تتم هذه وتلك ، الا بالتعاون جماعياً ، يقول الفارابي : " ان الانسان لا يمكن ان ينال الكمال الذي لاجله جعلت الفطرة الطبيعية الا باجتماع جماعة كثيرة متعاونين يقوم كل واحد لكل واحد ببعض ما يحتاج اليه في قوامه .. " [٥] فالخير الافضل والكمال الاقصى انما ينال اولاً بالمدينة . وتتحقق سعادة الانسان بحسب المدينة التي يعيش فيها ، فمنها المدينة الفاضلة ، والجاهلة ، والضالة ، وغير ذلك ، " وهذه هي نظرية افلاطون التي بسطها في الجمهورية ، والتي كان الفارابي على اطلاع وثيق بها " [٦] وهذا ما يؤكد الاقتراب بين كل من :

---

(١) - عبد الرحمن بدوي ، الزمن في المذهب الوجودي عند مارتن هيدجر ، مصدر سابق ، ص١٩١ .
(٢) - محمد محمد قاسم ، مصدر سابق ، ص١٢٢ .
(٣) - كمال اليازجي ، النصوص الفلسفية الميسّرة من تراث العرب الفكري ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٦٣ ، ص١١٠ .
(٤) - ابو نصر الفارابي ، أراء اهل المدينة الفاضلة ، مكتبة الحسين التجارية ، القاهرة ، ١٩٤٨ .
(٥) - الفارابي ، المصدر السابق نفسه ، ص٩٦ .
(٦) - كمال اليازجي ، المصدر السابق نفسه ، ص١٥١ .

جمهورية افلاطون ، ومدينة الفارابي الفاضلة ، واطلانطس بيكون الجديدة ، ومدينة العدل الالهية المنتظرة . التي تضم العالم باسره بقيادة الامام المهدي .

يضع الفارابي مقوماته الاساس للمدينة الفاضلة مثل : الاجتماع ، والتعاون ، فيقول " كل واحد من الناس مفطور على انه محتاج في قوامه وفي ان يبلغ افضل كمالاته ... ولا يمكن ان ينال الانسان الكمال الذي لاجله جعلت له الفطرة الطبيعية الا باجتماعات جماعة كثيرة متعاونين ، يقوم كل واحد لكل واحد ببعض ما يحتاج اليه في قوامه " [١] .

كما يضع الفارابي المؤهلات الخاصة برئيس المدينة المنتظَر ۞ وهي " :

١- المؤهلات العقلية : ورئيس المدينة الفاضلة ليس يمكن ان يكون أي انسان اتفق ، لان الرئاسة انما تكون بشيئين : احدهما بالفطرة والطبع معداً لها ، والثاني بالهيئة والملكة والارادة ...

٢- المؤهلات الروحية : واذا حصل ذلك في كلا جزئي قوته الناطقة : وهما النظرية والعملية ، ثم في قوته المتخيلة ، كان هذا الانسان هو الذي يوحى اليه ... " [٢] .

اذاً هناك جمع لعدد من المواهب الفطرية ، الى جانب اعداده لهذه المواهب بالتدريب والتوجيه الصحيح ، فضلاً عن توفر القدرة العقلية والبصيرة النافذة والاحساس الروحي ، وان يكون " خليقاً ان يتلقى الوحي من الله عن طريق العقل الفعال ... فرئيس المدينة الفاضلة له من مؤهلات الفلاسفة والانبياء ، ولعل المقصود به شخصية الخليفة ۞ فتكون المدينة الفاضلة خلافة مثلى " [٣] .

ثم يحدد الفارابي سائر مؤهلات الرئيس والتي بغيابها تتعرض المدينة ، أية مدينة ، الى هلاك مميت . وتتوزع هذه المؤهلات بين (اثنتي عشرة) خصلة يكون الرئيس قد فُطر عليها ، وهي : مَن قام بالاعضاء وجيد الفهم والتصور لكل ما يقال ، وجيد الحفظ والفطنة لما يراه ويسمعه ،وان يكون محباً للصدق ، مُبغضاً للكذب ، وان المال وسائر اغراض الدنيا هينة عنده ، بمعنى ان يكون متحلياً بالزهد ، الى جانب حبه للعدل وبغضه للجور والظلم واهلهما ، وقوي العزيمة على الشيء الذي يرى انه ينبغي ان يفعل ، جسوراً عليه مقداماً .. [٤] و " معلوم ان هذه الصفات الاثنتي عشرة هي مما اتفق الايمة على التماسها في المرشح للخلافة " [٥] .

---

(١) - الفارابي ، مصدر سابق ، ص١٠٨ .

۞ - غالبية هذه المؤهلات ان لم نقل جميعها نجدها متجسدة في الامام المعصوم المهدي المنتظر محمد القائم لدى الشيعة الامامية ، ولا يمكن ان تجتمع مثل هذه الصفات الا في امام معصوم . فمواهبه وكراماته وقابلياته المذكورة في الكثير من المصادر الاسلامية تدل على ذلك – الباحث .

(٢) - كمال اليازجي ، مصدر سابق ، ص ص : ١١٢ ،١١٣ .

۞ - ولعل المقصود بها خليفة الله في الارض وهو الامام الغائب نفسه ، وبحسب ما اشارت اليه الاية القرآنية : (ان الارض يرثها عبادي الصالحون)– الباحث .

(٣) - كمال اليازجي ، المصدر السابق نفسه ، ص١١٤ .

(٤) - للمزيد ينظر : الفارابي ، مصدر سابق ، ص ص١١٥ ، ١١٦ .

(٥) - كمال اليازجي ، مصدر سابق ، ص١١٤ .

يرى الباحث ، ان ما جاء به الفارابي من مؤهلات خاصة لرئيس المدينة الفاضلة ، والتي تقترب كثيراً من المؤهلات التي يمتلكها اصلاً الامام الغائب محمد المهدي ، يعود لامتلاك " الفارابي النزعة الشيعية الامامية " [١] التي يمكن تلمسها كثيراً في آرائه الفلسفية . وان " المدينة الفاضلة التي يستشفها الفارابي تكاد تكون (مدينة الابرار في اخر الزمان) انها مشابهة لتلك الحالة التي تكون عليها الامور عند رجعة الامام الغائب ليمهد ليوم الحشر " [٢] .

وزيادة على ما تقدم ، فان الفارابي معروف بايمانه الالهي بواجب الوجود بذاته والذي لا تسبقه علة " موجود ازلي ابدي ، موجود بالفعل من كافة الوجوه غني عما سواه ، انه عقل وعاقل ومعقول ، خالص في كل حالاته من كل شائبة.." [٣] كما أكد الفارابي في فلسفته على ان الله العليم بماهّيةِ ذاته والعليم بالتالي بالاشياء طراً .

- **ابن سينا (٩٨٠-١٠٣٦)م :**

ان اهم ما يمكن التوقف عنده في فلسفة ابن سينا هو انتظار تحقيق السعادة بوصفها غاية الانسان القصوى – بحسب ابن سينا – وينبغي تحصيلها ، فالسعادة الانسانية ليست في هذه الحياة الدنيا ، بل هي سعادة النفس بعد مفارقتها البدن ... ان ابن سينا " لا يسمى ما يحققه الانسان من مطالب في الدنيا سعادة بل لذة ، اما لذات حسية اذا شبع البدن ، او لذات معنوية مثل اللذة الحاصلة عن سماع الموسيقى ولذة الحياة العقلية اشرف من اللذات الشهوانية والغضبية .. " [٤] .

كما يشير ابن سينا الى اللذة العليا التي تخلص للناس العارفين المُنزّهين في كتابه الاشارات والتنبيهات [٥] .

يكتنف توجهات ابن سينا الفلسفية في غالبية مؤلفاته ، الطابع الديني القريب من الروح الصوفية العارفة والغزيرة بالدلالات الصوفية ، وما مُؤلَّفه (رسالة الطير) الا دليل على ما ذهبنا اليه ، حيث نتلمس بوضوح في هذا المؤلَّف ، السعي وراء الروح (الاعلى) ، والتخلص من كل ما هو مادي (الأدنى) ، وهذا الوله العشقي في عملية البحث عن الخلاص ، والانتظار المستمر والقلق الذي يدفع الجميع الى البحث وتغيير الحال وصولاً لهدف منشود في فناء الملك الاعظم ، وبعد رحلة طويلة عسيرة مضنية ، فيها الكثير من الخسارات والتضحيات ، يُدرك الجميع ان خلاصهم في ذاتهم وعونهم فيهم وهذا هو سر الاسرار ، في ان يعرف المرء وبعد انتظار طويل ان الادراك هو الخلاص الدائم [٦] .

---

(١) - محمد عاطف العراقي،ثورة العقل في الفلسفة العربية، دار المعارف بمصر ، ط٣ ، ١٩٧٦ ، ص٩١.

(٢) - هنري كوربان ، تاريخ الفلسفة الاسلامية ، مصدر سابق ، ص٢٥٠ . ويرى كوربان أنه " مهما كانت المدينة الفاضلة فاضلة فانها لم تكن بذاتها ما قصد اليه الفارابي ، ان هي الا وسيلة لهداية الناس الى طريق السعادة المطلقة . " ص٢٥١ ، المصدر نفسه .

(٣) - محمد محمد قاسم ، مصدر سابق ، ص١٤١ .

(٤) - احمد فؤاد الاهواني ، الفلسفة الاسلامية ، دار القلم ، القاهرة ، ١٩٦٢ ، ص١٥٨ .

(٥) - ابن سينا ، الاشارات والتنبيهات ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٧ .

(٦) - للمزيد ينظر : ابن سينا ، رسالة الطير ،

اما عن تصور ابن سينا للزمان وتفاصيله فهو تصور ارسطي ، وقد بحث الموضوع في طبيعات (الشفاء) ثم في (النجاة) قسم الطبيعيات . كذلك اهتم ابن سينا بالمستقبل ، وقد جاء هذا الاهتمام من تمييزه بين مراتب عدة للمعرفة : " فهناك معرفة المبادئ الاولى ، او المقدمات ، ومعرفة المعاني المجردة ، واخيراً المعرفة باشراق من الله كمعرفة المستقبل مثلاً .. " (١) .

- **ابن رشد (١١٢٦-١١٩٨) م :**

كان منحازاً الى الارسطية اكثر من ابن سينا وفي مفهوم الزمان تحديداً ، الذي يراه قديماً ازلياً ، فهو يقول : " ان الآن من الزمان بمنزلة النقطة من الخط ، فانه كما ان النقطة مبدأ ونهاية لجزئي الخط كذلك الآن مبدأ ونهاية لجزئي الماضي والمستقبل " (٢) .

كما يشير ابن رشد الى وجود آنين زمنيين : الآن المتقدم ، والآن المتأخر ، وعلى وفق هذا التقسيم يمكننا عدّ كل زمن (متأخر) هو زمن انتظاري لم يتحقق بعد الا بعد ان يتحرك الزمن المتقدم ، ولا يتم ذلك الا بالحركة المستمرة ، لانها – أي الحركة المستمرة – هي التي تقودنا الى فعل الانتظار المتحرك هو الآخر ، وعليه تكون هناك حتمية ارتباط الفعل الانتظاري بالحركة دائماً . على العكس من ذلك اذا حدث سكون زمني حركي فالفعل الانتظاري يصبح والحالة هذه لا وجود له .

يقول ابن رشد : " عند النوم المستغرق فانه اما ان يصل الآن المتقدم بالمتأخر واما ان يعتقد في الزمان القصير بخلاف ما يعتري المرضى الذين يسهرون فانهم يستطيلون الليل .. " (٣) وفي ذلك إشارة واضحة الى (الزمان الكيفي) الذي لا يقبل الكم او العدد ، وانما يتحدد على وفق ظروفه ومناسبته ، ومقاييسه والحال هذه لا تقبل التحدد الموضوعي .

واخيراً ، تجدر الاشارة الى جماعة (اخوان الصفاء) ، في تخيّلهم وانتظارهم بناء مدينتهم الروحانية الفاضلة ، مستمدين من الفارابي الكثير من مقوّمات مدينتهم كالتعاون والعيش الجماعي ، الى جانب تيقنهم في " انحلال دولة اهل الشر ، وقيام دولة اهل الخير .. " (٤) .

---

(١) - اميل برهييه ، العصر الوسيط والنهضة ، ج٣ من تاريخ الفلسفة ، مصدر سابق ، ص١٢٥ .
(٢) - ابن رشد ، السماع الطبيعي ، مطبعة دار المعارف ، حيدر آباد ، ١٩٧٠ ، ص٤٢ .
(٣) - ابن رشد ، المصدر السابق نفسه ، ص٤٧ .
(٤)- كمال اليازجي ، مصدر سابق ، ص١٣٥ .

۞ -مثل هذة التصورات يشير الباحث الى ما أقترحه الأمام الخميني في (ولاية الفقيه) بوصف ذلك نموذجاً للحكومة الأسلامية المرتقبه والصالحة لقيادة البشرية بصورة عادله على وفق الأحكام الإلهية ، علاوة على كشفه عن خصائص الحاكم الصالح في عصر الغيبة الحالي .. وللمزيد ينظر: الأمام الخميني ، الحكومه الأسلامية (ولاية الفقيه) ، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الأمام الخميني ، ط٢ ، ٢٠٠٢ م .
هذه التصورات الفلسفية لم تقتصر على الفلسفة الأسلامية حسب بل هي تصورات فلسفية تعاقبت تأريخياً لدى عدد غير قليل من الفلاسفة ، ممن تطلعوا الى الكمال الأنساني النموذجي تعبيراً منهم عن حاجة أنسانية متطلعة ومنتظرة الوصول الى المواصفات الكاملة لبناء مدينة نموذجية أقترحتها تلك التصورات الفلسفية علها تسد الحاجة الأنسانية المنتظرة ، وعلى الرغم من الأختلافات الصغيرة في حيثيات هذا التصور الا أن الفكرة في الأساس لها ينبوع واحد ومجرى واحد وصولا لمصب واحد أيضاً من شأنة توحيد هذه التصورات على وفق هدف أساس أخير . يشير الباحث الى بعض هذه التصورات لعدد من الفلاسفة بالأضافه الى مامر

في ضوء ما تقدم ، يرى الباحث ، ان التصورات الفلسفية الإسلامية۞ متمسكة بانتظارها وتخّيلاتها في بناء دولة نموذجية عليا لها مواصفات خاصة ترتبط جلّها بمفاهيم العدالة الالهية ، المُستمدة من المبادئ الإسلامية ، حتى يمكن التوصل لبناء مدينة حاوية على العدل والمساواة ، يسود فيها التعاون والتآلف والمحبة ، وينعدم فيها تماماً الجور والظلم والفساد .

اما اذا عجزت جل هذه التصورات وافل انتظارها لمثل هذه المدينة المرتقبة ، فلا يكون هناك سوى الهلاك والطغيان والظلم وكثرة الفساد ، وكل هذه وما شاكلها لا تقود الانسانية الا الى العدم .

وما هذه التصورات والتأملات الا تأكيد من الفلسفة الإسلامية على اهتمامها بمصير الانسان ، بهدف الوصول الى موقف موحد من مصير العالم بأسره ، " موقف نفسي وفكري ووجودي ، لا بل موقف عام من العالم يشمل الحياة والسلوك والمصير . " [١] هذا الموقف هو نتاج التساؤلات المتراكمة عن (الإنسان والطبيعة والله) بوصفها اركان الموقف الفلسفي نفسه ، فضلاً عن التساؤلات الازلية عن الوجود ، بدايته ، ومصيره .

وحتى الاهتمامات الاخرى المحايثة لظاهرة الانتظار كالاهتمامات الزمنية والمستقبلية والايمانية ، انما اتخذت الاهداف ذاتها لذلك المصير المجهول والمرتبط حتماً بمعاجز الهية ثَبّتَاركانها الدين الاسلامي بالكشف والتحليل لكل المعاني المستورة او المعاني الروحانية للايحاءات الالهية ، بما فيها دور الاستخلاف في الارض ، الذي بدأ بعد نهاية دور النبوة ، وينتهي بظهور الامام (خليفة الله) الغائب ، وفي ذلك اعلان واضح عن تمسك المسلمين – وخاصة الامامية منهم – بمبدأ الرجعة او فكرة (الزمن المُعاد) ليكون بذلك ، ومن الوجهة الفلسفية ، زمناً دائرياً ، متعاقب الادوار ، وصولاً لتحقيق اكتمال دورته الى عصر الظهور .

يرى بعض المستشرقين ومنهم (هنري كوربان) ، ان فكرة انتظار ظهور ولي يكشف جميع الحقائق والاحكام ، تكاد تكون فكرة محصورة لدى (الشيعة الامامية) بل وفي باطنيتهم ، وانهم – أي الشيعة – مهتمون بكشف الحقيقة لا بظهور نبي جديد ، على حد قوله [٢] ، وان الامام غائب ، ولكن عن انظار شيعته ، اما في قلوبهم فهو حاضر دوماً ، يعيشون معه زمناً واحداً ممتداً كيوم واحد ، لكن له بداية ونهاية ، بدء ورجعة ، انه زمان دائري [٣] .

لقد انطلقت الفلسفة الدينية الاسلامية من قاعدة ايمانية اساس تتمثل بـ(الله وغيبياته) التي لا يدركها العقل لان " للعقل دائرة وللدين اخرى .. وان العقل لا

ذكره في متن هذا البحث ، وهي : (يوتوبيا) توماس مور ، (مدينة الله) أوغسطين ،(المجتمع الجماعي) ماركس ، (مدينة الشمس) رابله ، (مدينة فاضلة معاصرة) هـ .جـ . ويلز ، (المدينة المسيحية) يوهان ، (مدينة الشمس) توماس كامبلا ، (جزيرة كونفيشيوس) حكيم الصين ، (المدينة المقدسة) جون بنيان ، .. وللمزيد ينظر : ليليان هير لاندز وآخرون ، دليل القارئ الى الأدب العالمي ، تر : محمد الجورا ، دار الحقائق ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٩٨٦ .

(١) - محمد عابد الجابري ، بنية العقل العربي ، مصدر سابق ، ص٢٥٥ .

(٢) - هنري كوربان ، مصدر سابق ، ص٢٦ .

(٣) - للمزيد ينظر : محمد عابد الجابري ، مصدر سابق ، ص٣٣٨ .

يدرك كل شيء ، وانما يدرك ولا يدرك شيئاً – والذي يعلم كل شيء هو الله وحده .. " [1] وان الفلسفة الاسلامية اذا ما اعتمدت على العقل فقط قضت على نفسها بنفسها ، " فليس كل موقف حق ، يجب ان يثبت بطريق العقل ، ولا كل ما لم يثبت بالعقل يكون باطلاً .. " [2] فمسألة انتظار المهدي ليست من شؤون العقل واختصاصه بل يدركها العقل بالواسطة ، بحيث تنتهي السلسلة الى حكمه ، ذلك ان العقل يحكم بوجود الله ، ويتفرع عن وجوده وجود النبوة ، وعن وجود النبوة تتفرع الأمامة والمهدي المنتظر الذي أخبر عنه الصادق الأمين بحكم العقل .

لقد أخبرنا القرآن الكريم بخوارق اعجازية آمن بها المسلمون مثل : عودة الاموات الى هذه الدنيا ، وولادة صبي يكلم الناس ، ونزول مائدة من السماء ، وشفاء الاعمى والابرص ، وتسبيح الطير والجبال ، ولين الحديد ، وفهم لغة الطيور ، وتسخير الجن ، ومشاهدة انسان مات منذ قرون ، وانقلاب عصا الى ثعبان ... الخ " فمن انكر امكان وجود المهدي محتجاً بأنه محال في نظر العقل ، يلزمه ان ينكر هذه الخوارق التي ذكرها القرآن ، وآمن بها كل مسلم ، ومَن اعترف بها ، يلزمه الاعتراف بأمكان وجود المهدي ، ... اذ لا فرق في نظر العقل بين بقاء المهدي حيا ألوف السنين ، وهذه الخوارق من حيث الامكان وجواز الوقوع ، ما دام الجميع من سنخ واحد " [3]

ان كل الطروحات الفلسفية التي تستند الى العلم التقني فقط ، من شأنها وبالاكراه ، ان تفقد السيطرة على العدالة الأقتصادية مثلاً ، بينما يكون من السهولة على الطروحات الفلسفية المستندة الى اصول العدالة الالهية ومعاجزها الغيبية ، اذا ما أتيح لها حيز من التنفيذ ، تحقيق العدالة الأقتصادية المنتظَرة .

ومجمل القول ، لقد نظرت الفلسفة الى ظاهرة الانتظار المتداخلة مع مفهوم الزمن ، نظرة انشطار واضحة بين احتمالين :

الاول يقوم على اساس (الانتظار الميتافيزيقي) لشيء قادم يتحكم بماهية الوجود ويحولها من حال الى آخر .

الثاني يعمد الى شطب الظاهرة وايقافها عبر افتراضات مثالية يقترحها العقل الفلسفي لماهية وجود آخر مقترح ، من الصعوبة بمكان تحقيقه دون تدخل (غيبيات) بعيدة عن ارادة الوجود والانسان .

---

(١) - محمد جواد مغنية ، المهدي المنتظر والعقل ، مصدر سابق ، ص٨٨ .
(٢) - محمد جواد مغنية ، المصدر السابق نفسه ، ص٨٨ .
(٣) - محمد جواد مغنية ، المصدر السابق نفسه ، ص ص ٩١،٩٢ .

الدراسات السابقة ومناقشتها :-

دراسة واحدة فقط وجدها الباحث (بعنوانها فقط) قريبة الشبه بالبحث الحالي ، الا ان متن الدراسة ومباحثها بعيدة كل البعد عن هذا البحث ، والمناقشة الاتية ستوضح هذا الأمر جلياً .

دراسة (حسين) [١] الموسومة (ظاهرة الانتظار في المسرح النثري في مصر حتى عام ١٩٧٣) .

يعطي (حسين) تعريفاً مبسطاً للانتظار بمعناه البسيط واليومي ، وبوصفه - أي الانتظار- " سمة مشتركة بين جميع البشر.." [٢] في مقدمة دراسته التي قسمها على جزئين : الجزء الأول وضعه تحت عنوان (النظرية) والجزء الثاني تحت عنوان (التطبيق) .

في الجزء الأول حاول (حسين) توضيح العوامل التي أسهمت في إيمان لعقل المصري بالانتظار، وهي عوامل جغرافية وتاريخية وحضارية، وهذا الجزء نفسه مقسم على فصلين : الأول تحت عنوان (الطبيعة والحضارة) ، والثاني تحت عنوان (التطور والنضج والكمال) .

في الفصل الأول يحاول (حسين) أن يبين مدى تأثير البيئة جغرافياً من حيث المكان والمناخ في طريقة سلوك وتفكير الإنسان المصري ونظرته إلى الحياة، مع عقد مقارنة بين الانتظار في الفكر المصري والانتظار في الفكر الأوربي الغربي .

أما في الفصل الثاني ، فيتناول فيه تطور الظاهرة في الفكر المصري من خلال إيمان الإنسان المصري بالعقيدة المسيحية التي كانت تتمتع في مصر بخصوصية جعلتها (قبطية) ثم نضج الظاهرة واكتمالها بعد الفتح الإسلامي لمصر والانتقال إلى تأثير الحضارات الوافدة وتوالي المستعمرين على اختلاف أجناسهم ومدى تأثيرهم في فكر الإنسان المصري وأسلوبه في التعبير عن مكنون نفسه مما أثر بشكل أو بآخر في خصوصية الظاهرة .

---

(١) - محمد عبد الله حسين ، ظاهرة الانتظار في المسرح النثري في مصر حتى عام ١٩٧٣ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٨ .

ولقد أشار الكاتب الى اعتماد دراسة سابقة قادته الى هذا الموضوع وهي دراسة بعنوان (الانتظار في واقعية سعد الدين وهبة) الصادرة ضمن كتاب (سعد الدين وهبة كاتب مصر المحروسة) ١٩٩٤ ، وكتاب (المسرح الشعري المعاصر) لـ(أحمد السعدني) ١٩٨٦ . وسلسلة محاضرات في النقد الأدبي ، عام ١٩٨٢ . وهي دراسات أشارت الى خصوصية الانتظار عند كتاب الدراما في مصر الشعرية والنثرية .. ينظر ص١٠ ، المصدر نفسه .. لم يتسن للباحث الحصول على هذه المصادر . كما يشير الباحث - ولذلك ضرورة - الى انه عثر على هذه الدراسه (السابقة) بعد عام ونصف تقريباً على إقرار عنوانه وخطته وتعيين مشرف له ، وكان العثور عليها في أثناء ايفاد الباحث إلى القاهرة لتقديم عمل مسرحي من اخراجه ضمن الملتقى الفني للجامعات العربية في جامعة جنوب الوادي عام ٢٠٠٠ ، وبالصدفة العجيبة وفي إحدى مكتبات القاهرة لمح الباحث عنوان الدراسة بمعونة من كان معه وهو(د.عباس نوري) الذي قام بمعونة مادية ايضاً ساعدت الباحث على شراء الدراسة .. موقف لا يمكن أن ينساه الباحث، ولذا وجب التنويه ..

ومما يجدر التنويه عنه ايضاً ، ان الباحث كان قد القى محاضرة ثقافية ضمن أماسي اتحاد الادباء والكتاب فرع بابل في ١٩٩٩/١١/١٨ وهي موثقة ضمن برنامج الاتحاد والموسومة (موضوعة الانتظار بين المسرح والدين) كانت هي الانطلاقة الاساس الاولى لهذا البحث – الباحث .

(٢) - محمد عبد الله حسين ، المصدر السابق نفسه ، ص٧ ..

أما الجزء الثاني من الدراسة (التطبيق) فقد قسمه على ثلاثة فصول : الأول تحت عنوان (الانتظار ظاهرة اجتماعية) وفيه يحاول (حسين) رصد الظاهرة وتطورها وبيان تأثيرها في الأعمال التي تتناول قضايا اجتماعية من حيث الشكل والمضمون . وقد وقف البحث في هذا الفصل أمام مسرحيات : (دخول الحمام مش زي خروجه) لإبراهيم رمزي، و(الهاوية) لمحمد تيمور، و(السلسلة والغفران) لباكثير، و(الصفقة) لتوفيق الحكيم، و(المخبأ رقم ١٣) لمحمود تيمور. ثم تعرض البحث لتطور الظاهرة شكلاً ومضموناً عند كتاب الواقعية الاشتراكية، وذلك من خلال وقوفه أمام مسرحيات: (الناس اللي تحت) و (الناس اللي فوق) و (عائلة الدوغري) لنعمان عاشور، و(قهوة الملوك) للطفي الخولي، و(المحروسة) و (السبنسة) و(كوبري الناموس) و (سكة السلامة) لسعد الدين وهبة، و(رحلة خارج السور) لرشاد رشدي، و(المهزلة الأرضية) ليوسف ادريس، و(الزوبعة) لمحمود دياب .

أما الفصل الثاني من الجزء الثاني من الدراسة فهو تحت عنوان (الانتظار ظاهرة سياسية) حاول فيه (حسين) رصد الظاهرة في الأعمال ذات المضمون السياسي.. والمسرحيات هي : (إمبراطورية في المزاد) لباكثير، و(اللحظة الحرجة) ليوسف ادريس، و(٧ سواقي) لسعد الدين وهبة، و(رجل طيب في ثلاث حكايات) لمحمود دياب، و(المخططين) ليوسف ادريس، و(عفاريت مصر الجديدة) لعلي سالم، و(ايزيس حبيبتي) لميخائيل رومان .

وجاء الفصل الثالث تحت عنوان (الانتظار ظاهرة تراثية) وقف فيه (حسين) أمام بعض الأعمال المستمدة من التراث على تفرع مصادره-التاريخ والأسطورة والتراث الشعبي- درس فيها خمس مسرحيات: (مسمار جحا) لباكثير، و(السلطان الحائر) لتوفيق الحكيم، و(الفرافير) ليوسف ادريس، و(اتفرج يا سلام) لرشاد رشدي، و(سليمان الحلبي) لألفريد فرج، حاول البحث تتبع الظاهرة في هذه المسرحيات مبيناً مدى تأثيرها سلباً وإيجاباً في البناء الفني فيها.

المناقشة:-

بدءاً، يرى الباحث أن اقتصار الدراسة على الإنسان المصري أو العقل المصري،قد أضعف أو أخل فكرياً بالدراسة ، لأن (الانتظار) ظاهرة ليست مصرية فحسب ، بل هي ظاهرة إنسانية كونية مطلقة توجد في أي مكان وزمان في هذا العالم ، بل هي جاءت مصاحبة للحضارات الإنسانية والعصور التاريخية بتعدد وتوسع مضامينها الفكرية.

في الجزء النظري من الدراسة يتتبع الدارس علاقة الفلاح المصري بالطبيعة والمناخ وبنهر النيل وانتظار الأمطار وغير ذلك ليصل إلي سلوك المصري وطريقة تفكيره ووضوح ظاهرة الانتظار فيهما، "وتظهر واضحة جلية في حياته اليومية، فهو إذا ضحك قال: (اللهم اجعله خيراً) وكأنه ينتظر دوماً شيئاً قادماً قد يكون شراً !! انه إنسان بحكم الطبيعة دائم التوقع والترقب والانتظار" [١] وهذه الحالات الثلاث هي

(١) - محمد عبد الله حسين ، المصدر السابق نفسه ، ص٢١ .

حتماً لا تقتصر على المصري فحسب، فضلاً عن ذلك فقد تعمد الباحث تثبيت هذه الكلمات (الحالات) الثلاث نفسها: (التوقع والترقب والانتظار) لكي يسجل من خلالها وجهة نظر عامة على دراسة (حسين) التي اعتمد فيها هذه الحالات الموجودة أصلاً في الكتابة الدرامية، وبدونها لا يمكن أن نسمي المسرحية (مسرحية) إذا لم تكن متضمنة لتوقع الحدث وترقبه أو انتظاره، أي انتظار الأحداث اللاحقة بعد السابقة وهكذا.

فالمسألة إذاً بديهية ولا يظنها الباحث بحاجة إلى دراسة واثبات، على هذه الحالات الثلاث إلى جانب (الصراع) الأساس فيها.

باعتراف (حسين) نفسه في دراسته ، يقول : "يمكن القول بأن تطور الصراع داخل الدراما – على اتساعه – قائم على الانتظار في كل مرحلة من مراحله" [١] .. إذاً لماذا دراسة الظاهرة بهذا المفهوم ، مادام الانتظار موجوداً وقائماً أصلاً في الدراما ، وبدونه لا يمكن للدراما أن ترسم خطوطها لسلسلة الأحداث القادمة في المسرحية الواحدة والمتضمنة : البداية ، والوسط ، والنهاية فالحدث يبدأ ليكون المشاهد أو القارئ بانتظار النهاية بعد توقع وترقب قائمين ، من هنا افتقدت الدراسة الى أهميتها ، وما عدد العينات الـ(٣٣) عينة من المسرحيات المصرية إلا تأكيد ما ذهبنا إليه ويمكن أن نضاعف هذا العدد ، بل يمكن أن تكون أية (مسرحية) عينةً لهذه الدراسة ، وتكون ملائمة لدراسة مفهوم الانتظار فيها على هذه الشاكلة .

يمكن استعراض بعض الأمثلة من عينات الدراسة توضح وتؤيد هذا الرأي. ففي تناول (حسين) لمسرحية (دخول الحمام مش زي خروجه) يقول وبعد وصفه للمشهد واقتباسه الطويل لكل الحوارات : " ومن الحوار السابق يتضح أن الشخصيتين – الحمّامي ونشاشيء – منتظران ، الأول ينتظر الفرج ويسعى اليه ، والثاني ينتظره ولا يسعى .. " [٢] . وتتكرر الحال نفسها لمثل هذه المواقف في صفحات أخرى من الدراسة [٣].

كما أن (حسين) يكرر جمله التي تؤكد مفهومه نفسه عن الانتظار في الدراما ، فهو يقول : " الانتظار إذاً هنا يدفع الحدث ويدير دفة الصراع " [٤] و " فقد واكب الانتظار خط الصراع في مراحله المختلفة منذ البداية وسار به حثيثاً نحو ذروته ثم قاده حتى النهاية " [٥] و " ويمكن رصد ظاهرة الانتظار في العمل منذ بدايته وحتى نهايته ، بحيث يمكن الجزم بأن الانتظار هو العمود الفقري للبناء الفني للعمل .. " [٦] .

وفيما يتعلق بأوجه الاختلاف بين الانتظار الغربي والعربي ، الذي اشارت اليه الدراسة في مقدمتها ، فقد بحثها لغرض تبين اوجه الاختلاف ، فلم تتطرق

---

(١) - محمد عبد الله حسين ، المصدر السابق نفسه ، ص١٦٩ .
(٢) - محمد عبد الله حسين ، المصدر نفسه ، ص٨٣ .
(٣) - للإطلاع ينظر : محمد عبد الله حسين ، المصدر السابق نفسه ، الصفحات : ٩٥ ، ٩٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٣٣ ، ١٣٩ ، ١٤٩ ، ١٩٢ ، ٢٠٢ ، ٢٣٣ .
(٤) - محمد عبد الله حسين ، المصدر نفسه ، ص٣٩٨ .
(٥) - محمد عبد الله حسين ، المصدر نفسه ، ص٤٤٠ .
(٦) - محمد عبد الله حسين ، المصدر نفسه ، ص٤٤١ .

الدراسة لهذا الاختلاف ؟ او لماذا يختلف بين الاثنين ؟ او ما مفهوم الانتظار الغربي اولاً لكي نميزه عن العربي ؟

فقد اكتفت الدراسة بان الانتظار الغربي في الفكر الاوربي الذي " هو نتاج لحضارة مادية تعاني من الفراغ الروحي بحيث كان انتظار جودو هو انتظار الله الذي لا يأتي ابداً !! بينما الانتظار المصري يقوم على التراث الروحي الذي جعل للظاهرة خصوصية تميزها تماماً عن الانتظار الغربي " [١] .

لقد اشارت الدراسة بشكل سريع وموجز الى الانتظار في الديانة المسيحية وفي جملة واحدة على طول الدراسة بالقول : " .. حتى فكرة المخلّص عرفتها مصر بعد عصر الاهرام وعنها اخذ العبرانيون ، فالمسيحيون بعد ذلك ،.. " [٢] ان مؤلف الدراسة عدها (فكرة) وليست ظاهرة انتظارية قائمة في المسيحية مثلما هي في الاديان الاخرى السماوية والوضعية .

ويكرر (حسين) دائماً في دراسته ان " الانتظار عامل من عوامل الجذب داخل الدراما يسهم في طرح القضية وتطور الشخصية وابراز خط الصراع" [٣] بينما نرى ان الانتظار موجود اصلاً في الدراما ولا يحتاج الى مثل هذا التوضيح لان الاحداث المسرحية بتسلسلها وبتعاقبها وتنقلها من حدث الى حدث اخر صعوداً وهبوطاً يشكل بحد ذاته انتظاراً للمَشاهد ، ومتابعة للاحداث .

كما يؤكد (حسين) باستمرار ضرورة التفريق بين (الانتظار السلبي) و (الانتظار الايجابي) متناسياً ان هذا وارد في كل مسرحية طالما فيها شخصيات سلبية واخرى ايجابية وهذا اساس الصراع داخل الدراما كما اشرنا وكما هو معروف .

ان هذه الدراسة وضعها كاتبها لغرض معرفة (شكول الانتظار) الذي راح (حسين) يقسمها كثيراً وبتكرار دائم ما بين (الانتظار السلبي) و (الانتظار الايجابي) ... واحياناً يجمع الاثنين معاً .

ويتحدث عن (الانتظار الواقعي) ، هذا فضلاً عن ذكره لمصطلح الانتظار (العقيم) أي الخالي من أي فعل ، . مثال ذلك يرى (حسين) ان انتظار جودو يشكل انتظاراً عقيماً لان " انتظار جودو هو انتظار الله الذي لا يأتي وهو نتاج لحضارة مغرقة في المادية .. " [٤] .

ان مثل هذه الشكول كانت بصالح الدراسة وكان استثمارها موضوعياً امراً ممكناً ، الا ان الكاتب اهملها كثيراً في دراسته .

ويرى (حسين) " ان الانتظار الح على الكتاب العرب والمصريين بعد ظهور مسرحية بيكت (في انتظار غودو) .. " [٥] بينما الانتظار ظاهرة موجودة قبل ظهور هذه المسرحية ، صحيح ان هناك مَن تأثر من الكتاب بها عالمياً او عربياً الا انها ليست هي السبب المباشر او الاساس الذي دفع الكاتب العربي لتناول هذه الظاهرة .

---

(١) - محمد عبد الله حسين ، المصدر نفسه ، ص٥٣٤ .
(٢) - محمد عبد الله حسين ، المصدر نفسه ، ص٤٧ .
(٣) - محمد عبد الله حسين ، المصدر نفسه ، ص١٤٧ .
(٤) - محمد عبد الله حسين ، المصدر السابق نفسه ، ص٢٤٠ .
(٥) - محمد عبد الله حسين ، المصدر نفسه ، ص ص ٥٣٣ ، ٥٣٤ .

وتَحكم الدراسة حكمها العام على الدراما برمتها بالقول : " ان الانتظار هو الذي يتحكم في المواقف داخل الدراما سواء على مستوى الفرد او المجموع او – ان صح التعبير – يرسم انتظار القادم في [المسرحية] ويشكل الموقف داخل العمل . "[1] .

وختاماً لابد من تثبيت عدد من الملاحظات العامة والجوهرية على هذه الدراسة :

١. ان البحث اسرف في عيناته الكثيرة التي يمكن ان لا تنتهي لانه لم يأخذ الانتظار بوصفه (ظاهرة محورية) يقوم عليها العمل كله أي انه يكون بمثابة العمود الفقري للمسرحية الواحدة وفي ضوئه تتغير الاحداث وتتبدل المواقف وتتطور الشخصية ، وتتطور خطوط الصراع داخل العمل سواء على مستوى الصراع الداخلي – داخل الشخصية – او على مستوى الصراع الخارجي – أي مع اطراف الصراع الاخرى داخل العمل .
٢. حجم الاقتباسات الطويلة جداً تصل الى عدة صفحات كاملة وهذا نتيجة استعراض ووصف احداث المسرحية بحواراتها كاملة . فقد كان من الممكن جداً اختصارها لان القارئ بامكانه العودة الى النص الاصلي ، هذا اذا لم يكن لديه المام ولو بسيط عنه .
٣. عدم التكافؤ في الدراسة بفصولها ومباحثها واجزائها فكان الجزء الاول من (ص١٣) الى (ص٧٣) ، بينما الجزء الثاني من (ص٧٥) الى (ص٥٣٨) نهاية الدراسة .. وهل يمكن ان نسوغ ذلك او يسوغه الكاتب نفسه من ان اطروحة الدكتوراه تعطي الاهمية لجانبها التطبيقي / الاجراءات ، اكثر من اطارها النظري ؟ ... نفترض ذلك فحسب .

وخلاصة القول يرى الباحث ان هذه الدراسة – في غالبيتها – قد اخذت الانتظار بوصفه مفهوماً دراماياً هو موجود اصلاً في الدراما وبالتالي فهي بعيدة كل البعد عن بحثنا الحالي ولا تمت اليه بصلة الشبه او القرب الا بعنوانها فحسب.

(١) - محمد عبد الله حسين ، المصدر نفسه ، ص٢٩٠ .

اولاً : اجراءات البحث :-

أ. مجتمع البحث :

لقد تم اختيار مجتمع البحث الحالي الذي تكون من (٣٤) مسرحية اختارها الباحث من المجتمع الاصلي للبحث وبالطريقة القصدية ، اعتماداً على مشاهدات الباحث لهذه المسرحيات العراقية ، الى جانب ما كُتب عنها ، والمقدمة على مسارح بغداد للمدة من ١٩٨٠ – ٢٠٠٠م . والتي تبين انها متضمنة للانتظار بصورة مباشرة مرة وبصورة غير مباشرة مرة اخرى ، وان الانتظار كان العمود الفقري الذي تستند اليه تلك المسرحية المعروضة .

وبعد استعانة الباحث بآراء السادة الخبراء ۞ في هذا المجال ، زيادة على رأي المشرف في ذلك ، تم تقديم استمارة تحتوي على عدد من المجالات تم وضعها بوصفها (اداة البحث) المضافة الى المؤشرات التي انتهى اليها الاطار النظري للبحث .

وبعد تسلم الاستبيان ۞ المرفق بجرد مجتمع البحث الحالي ، تم جمع الاستمارات وتفريغها في استمارة واحدة استُخرجت منها نسبة الاتفاق بين الخبراء على عينة البحث الملائمة ، علاوة على بعض التعديلات التي قدمها السادة الخبراء ، منها ما كان على فقرات الاستمارة الاولى ، ومنها ما كان اضافة عينات اخرى لم يتسن للباحث مشاهدتها او الاطلاع على نصوصها .

وبسبب هذه التعديلات تم اجراء تعديل على فقرات الاستبيان واضافة العينات التي اشار لها بعض من السادة الخبراء ۞ ، ولقد توصل الباحث الى اختيار عينة بحثه وهي :

١- في انتظار غودو ١٩٩٠ م .
٢- ترنيمة الكرسي الهزاز ١٩٨٨ م .
٣- مرحباً ايتها الطمأنينة ١٩٨٨ م .
٤- في انتظار عودة الابناء الذين لن يعودوا الى الوطن ثانية ١٩٩٢م.
٥- في انتظار كوزان ١٩٩٩ م .
٦- الجنة تفتح ابوابها متأخرة ٢٠٠٠م .

ولقد اعتمد الباحث في تسلسل عيناته ، الترتب التاريخي باستثناء العينة رقم (١) وذلك للاسباب التالية :-

---

۞ - السادة الخبراء :

ت	اسم الخبير والدرجة العلمية	الاختصاص	مكان العمل
١	أ.متمرس. سامي عبد الحميد	فنون مسرحية	جامعة بغداد كلية الفنون الجميلة قسم الفنون المسرحية
٢	أ.م.د.عادل كريم	فنون مسرحية	جامعة بغداد كلية الفنون الجميلة قسم الفنون المسرحية
٣	أ.م.د. وليد شامل	فنون مسرحية	جامعة بغداد كلية الفنون الجميلة قسم الفنون المسرحية
٤	أ.م.د. جلال جميل	فنون مسرحية	جامعة بغداد كلية الفنون الجميلة قسم الفنون المسرحية
٥	أ.م.د.محمد ابو خضير	فنون مسرحية	جامعة بابل كلية التربية الفنية قسم التربية المسرحية

۞ - ينظر الملاحق : ملحق رقم (١) ، مع جرد لمجتمع البحث الحالي المتكون من (٣٤) مسرحية عراقية.
۞ - ينظر الملاحق : ملحق رقم (٢) ، الاستبيان بعد التعديل .

- الاثر الواضح الذي تركه نص مسرحية (بانتظار غودو) عالمياً وعربياً ومحلياً .
- تم تقديم هذه المسرحية مرات عديدة على المسارح العراقية .
- جمعت المسرحية في محتواها على ظاهرة الانتظار بين الافكار الدينية والفلسفية والنفسية .

مع الاخذ بالحسبان تغطية المدة الزمنية لحدود البحث وشموليتها .

ب. اداة البحث :

اعتمد الباحث المؤشرات النظرية التي انتهى اليها الاطار النظري للبحث بما تضمنته من مقولات جوهرية ، الى جانب فقرات الاستبيان في المجال الاول ، وبعد الجمع ما بين المؤشرات التي انتهى اليها الاطار النظري بوصفها مخرجات للنص المسرحي ، وفقرات الاستبيان المتعلقة بوصفها مخرجات للعرض المسرحي ، تشكلت (اداة البحث) التي تسهم في اغناء التحليل وتوجيهه الوجه العلمية .

ج. منهج البحث :

استخدم الباحث المنهج التاريخي فيما يتعلق بتلمس الجذور الاولى لظاهرة الانتظار منذ العصور القديمة ، وقد استخدم المنهج الوصفي في تحليل عينة البحث تمشياً مع هدفي البحث الحالي للوقوف على اثر ظاهرة الانتظار واستثمارها في العروض المسرحية العراقية .

ثانياً : تحليل العينات :-

١. مسرحية (في انتظار غودو) ۞

تعد مسرحية (في انتظار غودو) التي كتبها الكاتب الروائي والمسرحي صموئيل بيكت (١٩٠٦-١٩٨٩)م الايرلندي الجنسية والكاتب بالفرنسية والانجليزية ، من ابرز المسرحيات الاجنبية التي تناولت ظاهرة الانتظار موضوعة لها .

يتساءل الباحث : من أي المصادر والمرجعيات المعرفية نهل بيكت أو اقتبس هذه الموضوعة ؟ ولماذا هي دون غيرها ؟ خاصة اذا عرفنا ان الموضوعة نفسها قد وظفها بيكت ايضاً في اعماله الروائية والمسرحية الاخرى بصورة مباشرة مرة ، وغير مباشرة مرة اخرى .

للاجابة عن هذه التساؤلات ، لابد من العودة اولاً الى البدايات الاولى لحياة بيكت نفسها والتعرف على اوضاعها ، فنعرف انه :

١. ولد في ناحية صغيرة اسمها (فوكسروك) بالفرب من دبلن ، عام ١٩٠٦ ، وهو من عائلة ايرلندية متدينة محافظة ، من الطبقة المتوسطة ، تعتنق الديانة المسيحية ، على وفق المذهب البروتستانتي ، وما عُرف عن هذا المذهب اهتمامه بالاخرويات والغيبيات بوصفها المفتاح الكاشف لاسرار الزمن . " وقد نشأ نتيجة لذلك في جو ديني يعرف خشية الله ، جو اسرة من المتطهرين." [١] .
٢. في عام ١٩٢٩م ، كسب جائزة احسن قصيدة كتبها عن (الزمن) ، عنوانها (شاشة رادار) نشرت عام ١٩٣٠م ، وهي اول عمل ينشر له بشكل منفصل
٣. الف اول دراسة قصيرة له عن (مارسيل بروست) عام ١٩٣١م ، عن روايته (البحث عن الزمن الضائع) .
٤. اصبح لبيكت وعي شعري زمني سماه (علم الاحزان) [٢] .

۞ - قدمتها كلية الفنون الجميلة – جامعة بغداد ، على مسرح حقي الشبلي ، من اخراج باسم عبد القهار . تمثيل : كريم محسن ، وحميد عباس ، وماجد درندش ، وحمزة العلي ، ونسمة محمود ، في / /١٩٩٠م . كما شاركت المسرحية في المهرجان المسرحي الرابع لمعهد الفنون الجميلة في محافظة السليمانية وعرضت على قاعة النشاط المدرسي في المحافظة في ١٩٩٠/٥/٣م .

يشير الباحث الى ان هذه المسرحية قدمت اكثر من مرة على خشبة المسرح العراقي ، الا ان العرض الاول في العراق لها كان على خشبة الجمعية البغدادية للمدة من ٦-١٩٦٧/٣/٩م من اخراج سامي عبد الحميد وتمثيل : سامي السراج ، وصادق علي شاهين ، وروميو يوسف ، وهاشم السامرائي ، وعوني كرومي . الديكور : عبد الامير احمد البكر ، المكياج : يوسف سلمان ، والادارة المسرحية : كاظم الزيدي . قدمت المسرحية باللهجة العامية ، ترجمة جبرا ابراهيم جبرا .

ويذكر ان اول عرض مسرحي للمسرحية عربياً كان عام ١٩٧١م قدمها مسرح الجيب باللغة العربية في (الجمهورية العربية المتحدة) حسب ما كانت تسمى حينها .

اما عالمياً فكان اول عرض للمسرحية عام ١٩٥٣م على مسرح بابل في باريس ، أي بعد مرور عام على تأليفها .

(١) - شفيق مقار ، دراسات في الادب الاوربي المعاصر ، مطبعة الاديب البغدادية ، ١٩٧٢ ، ص١٣ .
(٢) - ناثان سكوت ، بيكت ، تر : مجاهد عبد المنعم ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط٢ ، ١٩٨٥ ، ص١٦٠ .

٥. عمل بيكت مترجماً من الفرنسية الى الانجليزية ، وما يثير الانتباه هو اختياراته لما يُترجم ، ومن ذلك ترجمته لثماني حكم لسباستيان شانفور (١٧٤٠-١٧٩٤م) الفيلسوف والحكيم الذي اتسمت كتاباته باسلوب بلاغي يعبر عن العجز البشري عن بلوغ الكمال . فترجم بيكت عنه مثلاً هذه الحكمة: (الامل محتال يخدعنا دائماً) [١] ، فنلاحظ الاهتمام بالزمن وبالقادم منه دائماً .

مما تقدم ، يمكن للمتتبع تلمس المرجعية المعرفية والثقافية اللتين تغذى عليهما بيكت منذ بواكير حياته وخلالها ، ولعل ذلك هو الاجابة الوافية على تساؤل الباحث الذي انطلق منه هذا التقديم .

ومن المفيد ، الاشارة هنا ، الى ان مسرحية (في انتظار غودو) كتبها بيكت بين عامي ١٩٤٨-١٩٤٩ ، أي بعد خروجه من معاناة الحرب ، حيث كان يقضي كل وقته في روسيلون مع زوجته (سوزان) في تلك المقاطعة في (الجستابو) البعيدة عن عيون الالمان في اثناء الحرب [٢] .

يقول بيكت في هذا الصدد : " لقد كتبت معظم اعمالي بسرعة كبيرة بين عامي ١٩٤٦-١٩٥٠ " [٣] مؤكداً تأثير الحرب فيه وصبره على انتظار نهايتها بعد ملل وسأم كبيرين .

تتكون المسرحية من فصلين ، يبدأ الفصل الاول فيها ليصف المؤلف في مقدمته مكان الاحداث وزمنها " طريق ريفي . شجرة .. الوقت مساء " [٤] الا ان المخرج (باسم عبد القهار) عمد الى دمج فصلي المسرحية وجعلها فصلاً واحداً ، الى جانب حذوفاته الواضحة على النص بهدف تجنب طول وقت المسرحية وتجنب الملل والتراكمات النمطية التي يمكن ان تؤثر في عرض المسرحية بشكل سلبي .

كذلك عمد المخرج الى حذف هذا المنظر تماماً ، صانعاً له منظره الخاص في فضاء العرض والذي حوى على مستويات متعددة ارضية منها وعلوية ، رابطاً ارض المسرح بسقفه بواسطة سلالم شغلت المسرح من اركانه الاربع . فضلاً عن ذلك وجود اعمدة هواتف صدئة كان لها دلالتها الواضحة في نسيج العرض .

ما يثير الانتباه ان بيكت عبر عن اهتمامه بكتابة النص الثانوي ، أي ملاحظاته التوضيحية ما بين القوسين ، وبقصدية تامة ليصف ادق التفاصيل والحركات والانتقالات بحسب تراتبها الخاص وبدقة محسوبة ، حتى تلك التكرارات المقصودة في الحركة والانتقال وفي افعال اخرى كثيرة على طول خط احداث المسرحية . فنراه يكرر ملاحظاته (نصه الثانوي) دون ملل ، الامر الذي يؤدي احياناً الى ملل قارئ النص واعلان ضجره ، ولعله اراد بذلك سحب القارئ الى منطقة الضجر التي أوقع فيها شخصياته نفسها .

---

(١) - للمزيد ينظر : تيرنس مكويني ، بيكت وشانفور والترجمة الذاتية ، تر : جودت جالي ، مجلة الثقافة الاجنبية العراقية ، العدد ٣ ، ١٩٩٢ ، ص١٥٦ .

(٢) - للمزيد ينظر : جيمس نولسن ، الايام السعيدة غودو والجستابو ، تر : سعد الحسني ، مجلة الثقافة الاجنبية العراقية ، العدد الاول ، ١٩٩٧ .

(٣) - لقاء مع بيكت ، تر : عبد الله ابراهيم ، مجلة الاقلام العراقية ، العدد ١٢ ، ١٩٨٠ ، ص٢٦٥ .

(٤) - مسرح العبث ، مسرحيات عالمية ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧٠ [يشير الباحث الى ان المصدر يحوي اربع مسرحيات لكل مسرحية مترجم . ومسرحية (.. غودو) من تر : فايز اسكندر] .

" استراكون يجلس على كومة في الارض قليلة الارتفاع ، ويحاول ان ينزع عن قدمه فردة حذائه ، يجذبها بكلتا يديه وهو يلهث . يتوقف عن المحاولة منهكاً ، ويستريح قليلاً ثم يبدأ من جديد . ويتكرر الوضع . يدخل فلاديمير . استراجون (يقلع عن المحاولة) – لا فائدة .. فلاديمير : (يتقدم في خطوات قصيرة ثابتة ، ويقف وساقاه متباعدان . " [١] .

هذه الملاحظات كان قد تخلى عنها المخرج ، مثلما تخلى عن الشجرة مستعيضاً عنها بوجود (المرأة) التي شغلت وسط عمق المسرح ، يصحبها البكاء الدفين والشيخوخة طيلة المسرحية .

ان مقترح المخرج بوضعه المرأة بديلاً عن الشجرة ، لم يبتعد كثيراً عن غرض النص الاصل ، فالشجرة يابسة الاغصان ، دلالة على موتها بعد زمن طويل تحولت فيه الى موت الحياة فيها ، والحال نفسه نجده مع (المرأة) التي اقترحها العرض بمواصفات رمزية مقاربة للشجرة ، هذا فضلاً عن صفة الانوثة الجامعة للاثنين معاً : المرأة / الشجرة .

ومع هذا فان المخرج لم يتخلَ عن الشجرة اليابسة تماماً ، لانه وضع جذوع اشجار ميتة اخترقت فضاء مقدمة المسرح وعمقها ، بعض من هذه الجذوع كانت متدلية وبعضها الاخر مائلة ، وقد تم توزيعها بموازنة محسوبة في فضاء المسرح .

ان ما عمد اليه المخرج في التخلي عن المفردات الثابتة في النص المسرحي مثل : الحذاء ، والقبعة ، والشجرة ، كان مسايراً الى حذوفاته النصّية اولاً ، وثانياً انه حاول الابتعاد عن الاستخدامات الجاهزة والمكررة في هذه المسرحية زيادة على معانيها الجمعية الراسخة في ذهنية المُشاهد ، فهو – أي المخرج – حاول التمسك بجوانب تأويلية في المفردات التي استعاض عنها ، مع تمسكه بمواصفاته التعبيرية على مستوى شكل فضائه المسرحي او مضمون خطابه برمته .

تتنوع اسماء شخصيات المسرحية الاربع ، بتنوع جنسياتها وعلى وفق مرجعية اسم كل شخصية : استراغون (فرنسي) ، وفلاديمير (روسي) ، وبوزو (ايطالي) ، ولكي (انجليزي) [٢] ، زيادة على تعدد الرقصات الواردة على لسان (بوزو) بعضها رقصات اوربية وبعضها شرقية . ان هذا التنوع بالاسم والرقصات ما جاء الا ليعبر عن ايمان بيكت الذي " يؤمن بان وضع الانسان واحد .. في الغرب والشرق على حد سواء " [٣] وبذلك أعطى صفة الشمولية الكونية المطلقة لظاهرة الانتظار ، ليشمل الناس بمختلف جنسياتهم ومعتقداتهم . يقول فلاديمير : " ليس لنا ان نفعل هنا اكثر مما فعلناه) ويردف استراغون متمماً قول صاحبه : ولا في أي مكان آخر " [٤] .

---

(١) - مسرح العبث ، المصدر السابق نفسه ، ص٦ .

(٢) - يشير الباحث الى اشارة رياض عصمت في كتابه البطل التراجيدي في المسرح العالمي ، الصادر عن بيروت دار الطليعة ، ط١ ، ١٩٨٠ . المتعلقة بهذه التعددية في ص١٥٨ .

(٣) - جورج ولورث ، مسرح الاحتجاج والتناقص ، المركز العربي للثقافة والعلوم ، بيروت – لبنان ، ١٩٧٩ ، ص٧٣ .

(٤) - يوسف عبد المسيح ثروت ، الطريق والحدود ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٧ ، ص١٩٥ .

واول اشارة الى ذكر (الانتظار) تأتي على لسان فلاديمير حين يسأله استراغون السؤال الاتي :

" ماذا تتوقع انك دائماً تنتظر حتى اللحظة الاخيرة .. ؟

فلاديمير : (متأملاً) اللحظة الاخيرة .. (يفكر) ان التخلي عن الامل يجعل الامر سيئاً " [1] يعقب ذلك اول اشارة الى الكتاب المقدس ، ليصلا الى حكاية اللصين اللذين صُلبا مع السيد المسيح (ع) ، تلك الحكاية التي ذكرها (الانجيليون او القديسون الاربعة : متي ، ويوحنا ، ولوقا ، ومرقص) بوصفهم كتبة الاناجيل الاربعة ۞ ولوقا هو الذي تفرّد برواية نجاة احد اللصين .

الى هنا والمسرحية اعلنت عن مرجعيتها الدينية المسيحية ، بوصفها واحدة من الديانات السماوية المرتبطة بعودة مخلصها عيسى المسيح (ع) ثانية .

وان الشخصيتين (فلاديمير واستراغون) سيبقيان على تمسكهما بانتظارهما للمنقذ المخلّص ، الى جانب تمسّكهما بايمانهما العميق بالدين المسيحي وبغيبياته ومعجزاته الإلهية . لهذا كله تبقى الشخصيات في حالة انتظار مسيحها المنتظر حتى نهاية المسرحية وبعد نهايتها كذلك حفاظاً على التمسك بالمعتقد الديني نفسه وبعوالمه الرّبانية ، على الرغم مما عانته وستعانيه الشخصيات من ملل وضجر وعوز الا انها تتجنب اليأس بل تتجنب التفكير به .

يقول فلاديمير عن حكاية اللصين : " انها سوف تقتل الوقت ، (فترة صمت) كان هناك لصان صلبا في نفس الوقت مع مخلصنا احدهما ... " [2] ولقد اشار مارتن اسلن في كتابه (دراما اللامعقول) الى هذه القضية ، معتمداً على لحظة صلب المسيح ، فيما يخص اللصين اللذين كانا بجانبي المسيح اذ قال لهما انكما معي في الجنة ، فَصدّقه الاول فبُعث معه ، وسخر الثاني فخسر كل شيء .. هذان الرجلان كانا في منطقة الصفر من الزمن ، ٥٠% مع المسيح و٥٠% ضد المسيح .. من هنا يمكن القول ان بيكت وضع شخصياته – وهي تنتظر – في منطقة الصفر من الزمن ، في منطقة لا زمن فيها (الساعة المعطلة او بلا عقارب) .. لا وجود لزمن فيزيائي ولا وجود للشعور به ، بل ما يمكن ان يوجد هو الشعور بزمن آخر ، زمن نفسي ، ذلك هو ما تحس به الشخصيات من زمن يمتد معها حتى لحظة الخلاص المتمثّلة بمجيء (غودو) المنتظر .

ومن المفيد هنا ان نشير الى ان شعور الشخصيات الدائم بالوحدة والعزلة هو الذي رسّخ حاجتهم الى الخلاص بوصفه حاجة وجدانية تتولد من جراء التفكير بالوجود وماهيته ونهايته . ولان الوحدة والعزلة اخذت كثيراً من الوقت ، فقد لجأت الشخصيات الى التمسك بالانتظار خلاصاً .

ينتاب الشك فلاديمير من حكاية اللصين ، " كيف ان واحداً فقط من كُتّاب الأناجيل الاربعة يتحدث عن لص واحد أُنقذ . لقد كان الاربعة موجودين هناك – او

---

(١) - مسرح العبث ، مصدر سابق ، ص٨ .

۞ - زيادة على انجيل (برنابا) الذي يتجنب اغلب المسيحيين ذكره لان فيه بشارة بالرسول محمد (ص) وبرسالته الاسلامية .

(٢) - مسرح العبث ، مصدر سابق ، ص١٠ .

في تلك النواحي ، ولكن واحداً فقط يتحدث عن لص أُنقذ .. " [١] ولماذا يُصدق هذا الواحد ولا يُصدق الآخرون ؟ .. عبر هذا الشك وهذه التساؤلات اراد بيكت ان يؤكد حقيقة ان شخصياته منشغلة بالوجود ومقوماته الروحية ، وعلى هذا الفرض ، يمكن الاشارة الى ان " بيكت استطاع ، وتحت تأثير فلسفة ديكارت ، ان يطور منهجاً فكرياً وفلسفياً استخدمه على الدوام في قصصه ومسرحياته . يتمثل هذا المنهج في صورة عقل بشري جرى تغريبه عن الجسد الذي يحمله ، فصار هذا العقل يشكك في حقيقة العالم الذي يقطنه .. " [٢] .

ان حكاية اللصين عززت ارتباط المسرحية بالدين المسيحي ، الى جانب الكشف عن فاعلية الفرد مع الدين وموقفه منه وبما يكتسب من معتقدات كونية يفرز في خلالها الشك عن اليقين .

ان كثيراً من هذه التفاصيل النصية لم يتوقف عندها العرض ، وان فعل فكانت تلميحات سريعة خاطفة . لان العرض كان مَعنياً بالتعابير الحركية الصامتة منها والعنيفة والهادئة ، من تلك التي تتمثل بهياج الممثل بعنف وسكونه المفاجئ ، الى جانب التداخلات بين كل حركة واخرى من حيث الابتعاد والاقتراب . لهذا كله ابتعد العرض عن مثل تلك التفاصيل النصية لانها قريبة من حوارية مسرحية غادرها العرض حفاظاً على شكله التعبيري في الاغلب منه .

تأتي اول اشارة لـ(غودو) في المسرحية – وهذا سيتكرر كثيراً عندما يهم (استراغون) بمغادرة المكان ليجيبه (فلاديمير) بأنهما لا يستطيعان ، لانهما بانتظار (غودو) [٣] .

بعد ان يتلبس الانتظار فلاديمير واستراغون ويشعران لحظة بالملل منه يفكران بشنق نفسيهما على جذع الشجرة التي كانت بقربهم ، معلنين عبر فكرة الشنق هذه ، عن لا جدوى بقائهما في الحياة ، طالما ان (غودو) لم يحضر بعد .. ولكن ، ولهذا السبب الاخير نفسه يتخليان عن فكرة الشنق بحجة اخذ رأي غودو حين يحضر .

تكشف المسرحية ان حضور (غودو) مرتبط باستشارة (عائلته واصدقائه ووكلائه ومراسيله وتصفية حساباته [٤] قبل اتخاذ قراره بالحضور ، وبهذه الفرضية المتخيلة الذي فرضها (بيكت) وحمَّلها (شخصياته) بما فيهم (غودو) نفسه ، يُعبر عن الاعتقاد القاطع بوجود حياة اخرى ، بعيدة عن حياة شخصياته ، تلك الحياة التي يحياها (غودو) مع أُناسه ، بكلام اخر ان المسرحية تؤكد ايمانها ببعث السيد المسيح الى حياة اخرى غيبية ، لا يمكن ان نراها الا بايماننا بها ، وان الجميع الان في حالة انتظار دائمة لعودة المسيح الى حياته التي غاب عنها او غُيّب فيها تلك هي حياة شخصيات بيكت في هذه المسرحية ، او بمعنى اخر حياة الواقع الذي تُعبر عنه الاحداث ، لاحداث الواقع الاصل .

---

(١) - مسرح العبث ، مصدر سابق ، ص١١ .
(٢) - زيد نعمان ماهر ، بندول المعاناة والضجر – صموئيل بيكت روائياً ومسرحياً ، مجلة الاقلام العراقية ، العدد ٥ ، ٢٠٠٢ ، ص٣٩ .
(٣) - للمزيد ينظر : مسرح العبث ، المصدر السابق نفسه ، ص ص : ١٢ ، ١٣ .
(٤) - للمزيد ينظر : المصدر السابق نفسه ، ص ص : ١٩ ، ٢٠ .

ومن ذاك العالم الاخر المُغيب يحضر (غودو) راكباً (حصانه) [١] وهذا ما يختلف عن ما ورد في (سفر زكريا) ففيه نقرأ عن دخول المسيح الى القدس وهو راكب حماراً رمزاً للسلام ، وليس حصاناً رمزاً للحرب وان نفوذه سوف يمتد من البحر ومن نهر الفرات الى نهاية الارض . [٢] وفي هذا الاختلاف وبحسب المرجعية المعرفية التي اكدتها المصادر ، ومن مبدأ ان (غودو) هنا هو المخلّص والمنقذ الاول الذي يحضر ليعلن حربه على الظالمين ،يرى الباحث اهمية حضوره راكباً الحصان الذي يرمز فعلاً هنا الى الحرب بوصفه – أي غودو على وفق هذا الاحتمال – هو المهدي المنتظر وليس المسيح كما ذهب نص المسرحية ، وفي هذا الصدد تجدر الاشارة الى " ان بعض الاخبار تتوسع فتنسب الاختفاء الى فرسه الذي يركبه وخادمه الذي يخدمه ، بل حتى الصراف الذي يحّول عليه شخصياً لأخذ المال ." [٣] ان وجود الفرس والخادم والصراف ممن يتعامل معهم المهدي المنتظر ، ما هي الا احالات تناصية واضحة لموجودات نص بيكت نفسه ،حينما يشير الى تعامل (غودو) مع خادمه او ركوب فرسه او الاتصال بمن هو مسؤول عن تصفية حساباته .

كما يمكن ان يرمز (الحصان) ايضاً الى قدم الزمن الذي عاشه المخلّص الذي لم يزل متمسكاً بموجوداته الاولية تلك ، على الرغم من التطور الحاصل في حياة (شخصيات) المسرحية باستخدام وسائط النقل السريعة المتطورة ، التي ستتعطل – بقوة غيبية- وتتوقف جميعها طالما ان المنقذ القادم لهذا العالم الفاسد يستخدم (الحصان) واسطة تنقل من مكان الى آخر.

تسير الاحداث ، والشخصيتان (فلاديميز) و (استراجون) تعلنا دائماً عن ارتباطهما المستمر بـ(غودو) من دون بقية العالم المحيط بهما ، وفي ذلك دلالة واضحة على ان غودو هو الماسك بمستقبلهما حتى وقت ظهوره ، ودلالة اخرى على ارتباط الشخصيتين بماهية (الانتظار) بعد الانقطاع التام عن ماهية الوجود وما يتخلله من قحط وفراغ مستمرين .

في هذه الاثناء تدخل الشخصيتان الاخريتان : (بوزو) و (لكي) ، وتلتقيان بـ(فلاديمير) و (استراغون) اللذين يظنان باول دخول لـ(بوزو) ، ان(غودو) ربما قد حضر . وفي ذلك اشارة مهمة الى ان فلاديمير واستراغون لا يحملان أي تصور عن شكل وهيئة غودو او كيف يمكن ان يأتي وبأية وسيلة ؟

وهل المظهر الذي يظهر به (بوزو) وهو يُمسك الحبل بيده ، يقود (لكي) كالحمار ، يمكن ان يذهب بتصور الناظر واعتقاده الى ان (بوزو) هو المخلّص المنقذ ؟ .. حتماً هذا ما يرفضه التصور والاعتقاد المعقول للمنقذ . اذ كيف يمكن للمنقذ المخلص الماسك بمستقبل منتظريه ان يُمسك حبلاً مربوطاً حول رقبة شخص آخر ؟! ان ذلك يعاكس المستقبل الموعود تماماً بل يُتجنَّب التفكير على هذه الشاكلة اصلاً .

---

(١) - مسرح العبث ، مصدر السابق نفسه ، ص٢١ .
(٢) - للمزيد ينظر : فالح مهدي ، مصدر سابق ، ص١١٨ .
(٣) - محمد الصدر ، تاريخ الغيبة الصغرى ، مصدر سابق ، ص٣٣ .

ان المنظر سالف الذكر الذي يظهر به (بوزو) يمكن ان يقودنا الى ظاهرة الظلم والتسلط المستفحلة في المجتمع قبل ان يظهر (غودو) ، الى جانب علمنا – وتعزيزاً لهذه الفكرة – ان الارض التي ينتظر عليها (استراغون) و(فلاديمير) تعود عائديتها الملكية الى (بوزو) نفسه ، السيد المتسلط ماسك الحبل. [١] .

الا ان المخرج لجأ الى طريقة اخرى للتعامل مع (بوزو) و(لكي)عندما لجأ الى فرضية ان (لكي) هو الانسان الآلي الذي يتحكم به سيده بوزو . ان في هذه الصورة / الفرضية ، الكثير من التعبيرات التي من الممكن ان تحيلنا الى تفسيرات سياسية وطبقية بين السيد والعبد ، الآمر والمأمور ، الغني والفقير ... الخ ، ومما يزيد هذه الفرضية تعبيراً جمالياً وايلاماً حسياً ،عمْد المخرج الى استخدام ضربات او ركلات الجودو بديلاً عن السوط ، تلك الضربات العنيفة التي يوجهها السيد بوزو الى العبد لكي ، الذي يمثل صورة الانسان المقهور والمستلبة حقوقه وحرياته .

ان المخرج بالتقاطه هذه الصورة ، حاول عصرنة النص وتشذيبه من الجاهزية في الطرح ، لان التسلط المتعجرف تتعدد وسائله لتصل الى احدث التقنيات الحركية والعلمية ، وصولاً الى عقلنة الناس على الطاعة فقط ومن ثم الوصول الى تدمير انسانيتهم الخاصة وكرامتهم . لهذا كله اصبحت الحياة تستحق الفناء والمسح التام بنظر شخصيات هذه المسرحية : فلاديمير واستراغون ولكي .

والملاحَظ ان دخول (لكي) الى فضاء المسرح كان من المستوى العلوي بينما دخل بوزو من الاسفل ، وبهذا الدخول المتضاد اراد المخرج اضفاء قيمة انسانية علياً للكي على الرغم من آليته الميكانيكية ، وبهذا اعلن المخرج عن تعاطفه مع المقهورين والمستلَبين ، على طريقته الخاصة .

يصرخ (بوزو) معلناً عن ضجره واحباطه النفسي تجاه الحياة ، في انه خلال سيره ولمدة ست ساعات ، لم يلتق باحد في الطرقات كلها التي قطعها سيراً هو وعبده (لكي) .. وذلك ما يؤكد العدم والفراغ الذي تعيشه الشخصيات .. فهم اشبه بمن فرض عليهم حضراً للتجول . [٢] .

وبآلية ميكانيكية يُنفذ (لكي) أوامر سيده في اعطائه الاشياء الذي يطلبها ، كالسوط والمعطف وغيرها .. ينفذ ما يُطلبه منه وكأنه فاقد الصلة روحياً بما حوله ولم يتبق منه سوى جسده واعضائه التي يحركها قسراً وخوفاً من الضرب والإهانة ، على الرغم مما يعانيه – فوق هذا وذاك – من ألم القرحة الدموية التي تنزف من رقبته ، والتي لاحظها (استراغون وفلاديمير) بسبب احتكاك الحبل المستمر فوق رقبته .

ان ظهور بوزو شبه اعمى ، يعطينا شعوراً ان الاشياء التي تحيط ببوزو هي شبه غائبة عنه ولا يرى الاغلب منها ، مثلما هو غائب او شبه غائب عند الشخصيات الاخرى القريبة منه ، فهم لا يروه ذهنياً ، لانهم منشغلون بذواتهم ولا يرونه وبالتالي من الممكن ان يتناسوه . وهذا جله عكس لنا سلوك بوزو التسلطي على وفق هذه الاسباب تعويضاً منه عن هذا الخلل في عينيه .

---

(١) - ينظر : مسرح العبث ، مصدر سابق ، من ص :٣٠-٣٤ .

(٢) - مسرح العبث ، مصدر سابق ، ص٢٧ .

لم يزل (غودو) يمسك بمستقبل الاحداث المتتابعة ، تلك الاحداث التي تكشف عن غرائبية حالاتها اللاإنسانية في شكل (لكي) الخارجي ووضعه المثير للغرابة ، وألم الجوع الذي يعانيه ، حين ينتظر اشارة من سيده (لكي) فيُفتّت عظام الدجاجة التي اكلها سيده (بوزو) ، فالعظام دائماً من نصيب الحمّال ، ولا يقترب منها إلا بأمر ورضا سيده (بوزو) . هذا الاخير الذي يعلن رفضه لفكرة (الانتظار) .. ولماذا ينتظر ؟ .. مادام بين يديه السوط والحبل ، فهو الآمر الناهي اذاً ، وما يشعر به من احباط دنيوي يُسقطه على من حوله امثال (لكي) المسكين .

طيلة الوقت و (لكي) صامت لم ينبس بكلمة ، حتى نُفاجَأ به وهو يلقي خطبة طويلة ، تتلخص في تحليل الجسد البشري وضموره على الرغم من الانجازات والامجاد كلها التي يصنعها ..

ومما تجدر الاشارة اليه ايضاً ، نسيان (بوزو) لساعة جده القديمة ذات الغطاء .. وهو اشارة مهمة الى ضياع (الزمن) في المسرحية .

وقبل نهاية الفصل الاول تعلن الشخصيات عدم مغادرتها المكان لانها بانتظار (غودو) ، حتى يدخل (الغلام) ۞ رسول غودو الذي يتصف بخصائص منها :

- انه يخاف السوط .
- يخاف الصيحات الانسانية .

وفي هذه الناحيتين الغريبتين على عالم كهذا ، يكشف (بيكت) عن اختلاف بيئتين حياتيتين : بيئة احداث المسرحية نفسها ، وبيئة المنتظر (غودو) حيث لا سوط ولا حبل ولا صيحات ولا امر ولا مأمور ، ولا أية شائبة اجتماعية فيها ، انها البيئة التي يفترضها (بيكت) بصفات غادرها الواقع الحياتي بعيداً واصبح من الصعب العودة اليها والامساك بتلابيبها ، الا بقلب موازينها الحياتية المعلنة منها والمخفية كافة.

وفي نهاية الفصل الاول ، يؤكد (الغلام) ان (غودو) سيجيء غداً ، بعد ان يعلمنا عنه بانه صاحب مرعى – أي غودو – يرعى خرافه ويعتاش على زراعة أرضه .. تلتقي هاتان الصفتان مع دلالة (الحصان) المشار اليها سلفاً ، التي تؤكد قدم حياة (غودو) و (غلامه) الذي ينعم برعاية كبيرة من سيده (غودو) ، على العكس تماماً من قسوة (بوزو) تجاه عبده (لكي) الضعيف .

الا ان المخرج كان قد الغى دخول الغلام ولمرتين ليعلن ان غودو لم يأت ولكنه حتماً سيأتي غداً . بهذا الالغاء يكشف لنا المخرج عن اهتمامه بآنية الزمن وايجاد الحل الفوري والمباشر لهذه المظالم الانسانية المستشرية دون اللجوء الى سكون الانتظار وخموله ، وما الصرخات المتكررة في العرض والطرق على السلالم بقوة الى جانب الصدى التي تحدثه الاصوات وهي ترتل كلاماً غير واضح يدوي في فضاء المسرح . وما هذا كله الا وسيلة حركية وصوتية مباشرة تمسك بها المخرج لايجاد الحل الفوري لكل هذا الموت دون انتظار . الامر الذي ادى الى خلق فضاء نفسي من شأنه ان يضفي على المشاهدين تشنجاً وشعوراً باللاشيء وهم يستقبلون هذه الحركة وهذه الاصوات المزعجة من المؤثرات الموسيقية (موسيقى

۞ - رسول غودو (الغلام) يقابل سفراء المهدي الأربعة المشار اليهم سلفاً في متون البحث .

فاغنر) الى جانب المؤثرات الصوتية الحية ، انها قوى صوتية كاملة جاءت لتهز اركان المسرح وفضائه طلباً لنجدة فورية تحسم الموقف.

من هذا الاختلاف بين (سيدين) و (عبدين) في طبيعة واقعهما المرئي منه ، والمعلن عنه ، اراد (بيكت) الايعاز الى حياة اخرى يشعر بها ، يستحضرها ، يفترضها ، تقع خارج حياته هذه ، يتأمل فيها مقاييس العدالة الإلهية المحتكمة الى انسانية مثالية – بنظره – من تلك التي افتقدها هو ، كما افتقدتها شخصياته الاربع والترسيمة او الخطاطة التالية توضح هذه العلاقة المركبة بين الجميع :-

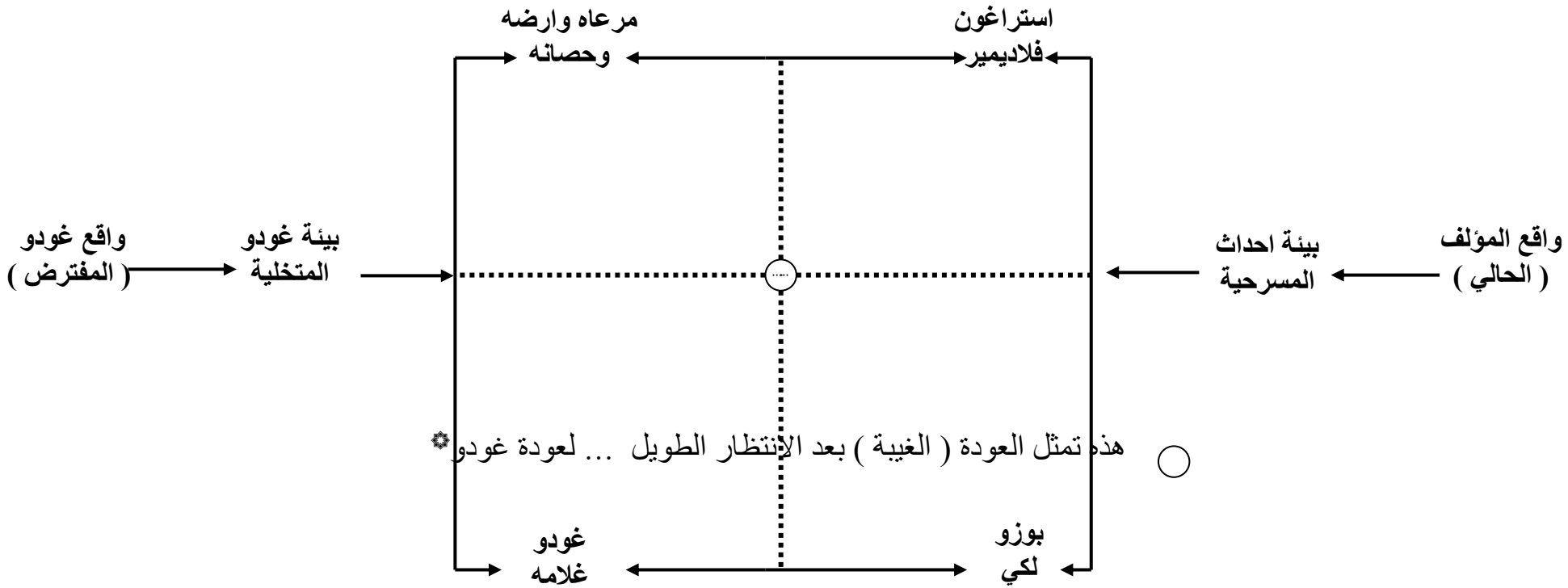

۞ - هذه الترسيمة من اقتراح الباحث لفرز اشكالية العلاقة بين عالمين مختلفين احدهما واقعي ملموس والآخر مفترض تخيلي .

في الفصل الثاني نتلمس التكرار الواضح لمواقف عديدة وافكار حدثت في الفصل الاول ، ماعدا التغيير المنظري المهم الذي يطرأ على الشجرة ، حيث تظهر على اغصانها اليابسة " أربع او خمس ورقات " [١] خضر ، الامر الذي يراه الباحث تغييراً مقصوداً من المؤلف ولم يأت به من فراغ أبداً .

من الباحثين من يرى – وهو شارل مكوي – في تفسيره المستند الى مفاهيم الكتاب المقدس : " ان غودو ربما قد حضر فعلاً ولكن فلاديمير واستراجون لم يلحظا ذلك .. " [٢] وهو يستند في تفسيره هذا الى الشجرة التي بدأت تورق في المسرحية وظهرت على اغصانها اليابسة اوراق خضر .. وهي دلالة مهمة على ان (غودو) قد جاء ، لكن الذين ينتظرونه لم يروه . وفي هذا الصدد يشير الباحث الى وجود (الاعتقاد القاطع) عند المسلمين الشيعة ، المستند الى ادلة اعجازية وعقلية وايمانية ، ان المهدي المنتظر ، يَظهر ويَرى وينتقل من مكان الى اخر ، لكن مَن حوله لا يرونه ، او يرونه ولا يعرفون صفته ، لانه يظهر على هيئات مألوفة لا تثير انتباهاً ، وان تكلم مع الناس وتدخّل في تسيير بعض شؤونهم.

وفي هذا المجال تجدر الاشارة الى " اختفاء المهدي عن الانظار ، فهو يرى الناس ولا يرونه ... باعجاز الهي ، لاجل حفظ الامام المهدي (ع) عن الموت والاخطار لكي يقوم بالمسؤولية الاسلامية الكبرى في اليوم الموعود " [٣]

بتأويل اخر ، يرى الباحث ، ان هذه الورقات الاربع الخضر او الخمس التي اينعت من الاغصان اليابسة ، كانت بسبب حضور الغلام (رسول غودو) الذي حضر ليمهّد لحضور سيده ويواصلنا بأخباره ، فكيف اذا حضر (غودو) نفسه ؟ وما الذي سيتغير ؟

ويضيف الباحث ان هذا التغيير يتعلق بالزمن ، لان الفصل الثاني وبحسب اشارة المؤلف يبدأ في (اليوم الثاني) ، فهل المسافة الزمنية بين الفصلين يوم واحد بالمعيار الفيزيائي للزمن اي ٢٤ ساعة ؟ أو ان اليوم يأخذ معياراً آخر ، ذاتياً لكي يمهد لبداية مرحلة جديدة من الانتظار . او اننا نرجع الى يوم في القرآن الكريم يعادل (ألف سنة مما تعدون) ، أو مثلما يفعل الألفيّون الذين يُغرمون بالرقم ألف في وعودهم المستقبلية والافتراضية بعد ألف سنة دائماً .؟

لقد عبر ايلياحاوي عن دلالة الاوراق الخضر ، بقوله : " انها رمز لفصل آخر من الحياة . لقد تمت حركة من حركات الحياة وتغير الزمن ، لكنه ظل جامداً ، شاخصاً في نفس (فلاديمير) ونفس (استراغون) .. " [٤]

---

(١) - رياض عصمت ، البطل التراجيدي في المسرح العالمي ، بيروت ، دار الطليعة ، ط١ ، ١٩٨٠ ، ص١٨٢ .

(٢) - وينظر : مسرح العبث ، مصدر سابق ، ص٦٨ .

(٣) - محمد الصدر ، تاريخ الغيبة الكبرى ، مصدر سابق ، ص٣٢ . ويشير المصدر نفسه الى انه عام ٣٢٩هـ بدء الغيبة الكبرى التامة ، وانه لا ظهور إلا بإذن الله عز وجل – ص١٩ . بمعنى ان مدة الغيبة الكبرى بالحساب المعياري للزمن حوالي الف ومائة سنة – الباحث .

(٤) - ايلياحاوي ، الفن والحياة والمسرح ، نظريات ونظرات ، دار الثقافة ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٩٨٥ ، ص٢٠٣ .

هذه الملحمة الغيبية التي فجرها (بيكت) لابد ان لها جذورها في لاوعيه الاعتقادي الايماني ، دون ان يدري هو نفسه ، وان ما يحاول ان يظهره من آرئه ومفاهيمه الوجودية ، هو انعكاس مضاد لوعيه الداخلي الذي يُسيّره .

يقول ناثان سكوت في هذا الصدد نفسه : " ان الانسان لا يرتبك الا قليلاً من جراء ما يقوله بعض النقاد عندما يقولون ان الالهام المحوري الكامن خلف المسرحية هو الهام مسيحي في جوهره . " (١)

اما التغيير الآخر الذي يمكن الاشارة اليه في الفصل الثاني ايضاً ، فهو تحول (بوزو) من شبه اعمى الى اعمى (٢) وهذه دلالة واضحة على ان الظالمين في الارض والمتسلطين – ومع قرب الوقت الذي يظهر به المنقذ المنتظر – لا يرون شيئاً لكي لا يرون المنقذ بالذات لانهم – أي الظالمين – سوف يتساقطون في عهده الواحد بعد الآخر . وان (بوزو) يعبر عن كرهه للزمن والنور والظلام والولادة والموت في آن واحد (٣) .

من الاسقاطات النفسية السلبية التي تحيط بالشخصيات بذريعة انتظارهم (غودو) نذكر (٤) :

١. عدم ممارسة المشي .
٢. عدم ممارسة فعل الصلاة .
٣. التفكير بالانتحار شنقاً .

اشارة الى الخمول والخدر الجسدي الذي ترفضه العقيدة اصلاً ، لان ذلك يؤدي الى ارتباك الايمان وتخلخله بازاء ظاهرة الانتظار .

وتمر الاحداث على تفصيلات ومواقف هامشية مكررة ، وحيث ان كل شيء حول الشخصيات هو ميت ، ماعدا شجرة الصفصاف التي احياها المؤلف الذي عاد واكد حياتها على لسان (فلاديمير) :

" فلاديمير : كل شيء ميت ماعدا الشجرة . " (٥)

ليظهر رسول غودو (الغلام) مرة اخرى ليخبرهم بأن غودو لن يأتي هذا المساء ، ولكنه سيأتي غداً ، وهو – أي غودو – (لن يخلف وعده) . وينتهي هذا الفصل مثلما انتهى الفصل الاول ، بأن تبقى الشخصيات ثابتة (لا تتحرك) تنتظر (غودو) الذي سيأتي في الغد حتماً .

وهكذا يستمر الزمن دائرياً في المسرحية ، بانتظار الغد الجديد ، اليوم الآخر لكي تبدأ فيه مرحلة جديدة من الانتظار من شأنها ان تعزز وترصّن ديمومة الزمن واستمراريته .

اما المخرج فقد وضع نهاية لعرضه المسرحي تختلف تماماً عن نهاية النص ، فبعد ان رفض المخرج خضوعه لليأس والقنوط معتمداً على اثارة جو من القلق والاحتجاج كما اشرنا ، عمد الى ادخال عشرات الناس ومن الجهات جميعا ليملأوا

---

(١) - ناثان سكوت ، بيكت ، مصدر سابق ، ص١٠٧ .
(٢) - ينظر : مسرح العبث ، مصدر سابق ، ص٩٨ .
(٣) - ينظر : المصدر السابق نفسه ، ص١١٧ .
(٤) - ينظر : المصدر السابق نفسه ، الصفحات : ٨٩ ، ٨٤ ، ١٢٣ .
(٥) - مسرح العبث : مصدر سابق ، ص١٢٢ .

فضاء المسرح وهم في حالة احتجاج وقلق . يتوافد هؤلاء المنتظرون وجلهم من المتشردين والمسحوقين وهم اشبه بمن يُطالب بحقه الضائع فهم لم يكتفوا بارضية المسرح بل تسلقوا السلالم نحو السطح ليعلو صوتهم ويكبر احتجاجهم الكبير هذا .

هذه الصورة التعبيرية التي رسمها المخرج في خاتمة العرض ، وسّعت من تضييق حلقة التفسير الواحدة ، وزلزلت فضاء المسرح وفضاء الصالة ، تعبيراً عن حالة القهر والاستلاب التي يعيشها المنتظرون جميعهم ، من الممثلين والمشاهدين .

لقد جمع العرض في وحدته الفنية الاخراجية على احتفال مسرحي متضمن للتقمص الادائي مرة وللأداء الخارجي مرة اخرى ، داخل جو ضوئي كئيب كان متلائماً وفكرة العرض الفلسفية والدينية والنفسية ، وهي فكرة الانتظار الذي هيمنت على العرض مثلما هي مهيمنة على النص اصلاً .

كثيرة هي الآراء التي اكدت ارتباط المسرحية بالدين ، كما عبر عن ذلك (مارتن اسلن) [١] ، بينما اكدت اراء اخرى كثيرة ان المسرحية لا علاقة لها بالدين ، وان وجدت مثل هذه العلاقة فهي نفيٌ للدين . [٢] وان هذه الاراء – على الرغم من تضادها – منطلقة من فهم اصحابها لعبثية (بيكت) في كتاباته (الروايات والمسرحيات) اللامعقولة ، وبيان ضجره الحياتي من لا جدوى الحياة ، بل يذهب بعض منهم – مثل (جون فرايدمان) [٣] الى حوار المسرحية نفسه بوصفه سنداً اقناعياً ، وعلى لسان استراغون : " لا شيء يحدث ، لا احد يأتي ، لا احد يذهب ، ذلك فظيع " .. في حين يرى الباحث ، ان هذا الحوار بالذات يؤكد الرفض لكل ما هو آني ، والنظر للقادم الجديد .

ومن الدارسين ، ممن يُرجعون كلمة (غودو) الى اسم الله بلفظته الانجليزية (God) ويُرجحون ان الشخصيات لا تنتظر الله وحسب بل تنتظر "العدالة الالهية ، وذات العدالة التي يتلهف اليها ابطال دوستوفكي وكامو..." [٤] وهذا الترجيح يقترب تماماً من التفسير الديني للمسرحية .

وترى (بديعة أمين) ان المنقذ المنتظر في مسرحية (بكيت) " دوماً يعد بالمجيء ، ودوماً يعتذر عن المجيء ولكنه وللمرة الثانية دوماً يؤكد انه سيأتي غداً " [٥] ، أي انها تتفق مع من يرى في المسرحية انها نص ديني ، مسيحياً كان او اسلامياً او اية ديانة اخرى .. بينما وجد فيه اخرون (نصاً ماركسياً حيث يُجسد غودو [لديهم] رمزاً للثورة . واخرون رأوا فيه [رمز] الموت) ، واخرون تطرفوا كثيراً في رأيهم وعدو ذلك (خرافة) او جنوناً دون سند فكري لديهم او حصانة علمية تدعم رأيهم هذا .

" وعندما سئل بيكت : من هو غودو ؟ أجاب : لو كنتُ أعرف لقلتُ في المسرحية " [٦] واجابته هذه اللابسة ثوب السخرية والايهام ، هي– برأي الباحث –

---

(١) - للمزيد ينظر : رياض عصمت ، مصدر سابق ، ص١٧٣ .
(٢) - ينظر : رياض عصمت ، المصدر السابق ، ص١٦٦ .
(٣) - للمزيد ينظر : جون فرايدمان ، بيكت والانسان المعاصر ، مصدر سابق ، ص٣٣ .
(٤) - رياض عصمت ، مصدر سابق ، ص١٧٠ .
(٥) - بديعة امين ، في المعنى والرؤيا ، مصدر سابق ، ص٢٤ .
(٦) - رياض عصمت ، مصدر سابق ، ص١٨٢ .

اجابة على درجة كبيرة من الذكاء والفهم الى جانب القصدية والدراية . ويشـــــير هيوكز عن مقابلته لبيكت ، حيث وجد نفسه في حارة مسدودة ، الى ان : " كل ما يخرج به من ذلك اللقاء نصيحة قدمها اليه بيكت : ان يذهب فيقرأ أعماله ، ويصغي الى شخوصه ، لعله يستطيع ان يستنطقها . " [١] ويقول بيكت في مكان آخر : " مؤلفاتي قضية اصوات صدرت بكل ما أوتيت من قوة ممكنة ، ولا اتحمل مسؤولية غير ذلك . واذا اراد الناس ان يُصدّعوا رؤوسهم بالتلميحات والاشارات التي لا نهاية لها ، فهم وشأنهم " [٢] هذه التصريحات كلها وغيرها تؤكد عمق المرجعية المعرفية لدى بيكت واعتقاده الراسخ بالعودة الثانية للمسيح وبمعتقد الخلاص نفسه .

ان هذه المسرحية هى (دعوة للانسان كى يقوم بمحاولة للتفاهم مع هذا العالم الغريب الرهيب الذى نعيش فيه ..) [٣] واذا كانت الكثير من الدراسات قد منهجت المسرحية ضمن دراما اللامعقول أو العبث ، الا انها – أي المسرحية – جعلت من " اللامعقول معقولاً جداً " [٤] واذا كانت فكرة المسرحية يصفها بعضهم بالخرافة او الجنون ، فان (ادغار الن بو) يرد عليهم بقول : " لم يخبرنا العلم ان كان الجنون هو قمة الذكاء ام لا .. " [٥]

في ضوء ما تقدم ، يرى الباحث ، ان اختلاف الآراء المتباينة حول هذه المسرحية التي لا تقبل حصرها تحت اية لائحة فكرية او سياسية او دينية او فلسفية ، الاذا كانت كلها جميعاً مجتمعة ، وليس في ذلك ما يدعو للغرابة والدهشة ، ذلك ان المسرحية متعددة في مدياتها الفكرية والمعرفية وتمتاز بقابليتها على التأويل [٦] ، الى الى جانب مرونتها الشديدة في تطبيق هذه السياسة او تلك الديانة او ذلك المذهب والاعتقاد عليها . في الوقت نفسه تمتاز بالمرونة نفسها لكي ترفضها الاطراف جميعاً لعدم ملاءمتها لها حيث لا تحتمل من الرمز والتأويل الكثير الا مثلما هي هكذا ، لان هذا الرمز والتأويل – برأيهم – يعد خروجاً عن قاعدة المنطق الذي هم به فرحون .

كما يرى الباحث ، ان للمرجعية المعرفية والدينية التي احاطت بصموئيل بيكت ، اثرها المباشر في تعلق بيكت بظاهرة الانتظار وتوظيفها موضوعة في مسرحية متضمنة هذه البنى والمساحات الفكرية كلها التي اعلن عنها (النص) وفجرت بواعث فكرية معاصرة وآنية لدى مخرج (العرض) بوعي منه ، كان بيكت نفسه قد تغافل عن هذا الوعي .

---

(١) - شفيق مقار ، مصدر سابق ، ص٩ .
(٢) - حمادة ابراهيم ، اتصال الموضوعات وتواصل الشخوص ، مجلة الاقلام العراقية العدد ٨ ، ١٩٩٠ ، ص٥٣ .
(٣) - جون فرايدمان ، مصدر سابق ، ص٣٤ .
(٤) - رياض عصمت ، مصدر سابق ، ص١٨٢ .
(٥) - تودوروف ، في تعريف اللامعقول ، مجلة علامات في النقد ، جده ، ج٣ ، ١٩٩٨ ، مج ٨ ، ص٦٠.
(٦) - يرى سامي عبد الحميد في هذه المسرحية من المسرحيات التي لا تحتمل المغالاة في التأويل " وكثيراً ما تفشل التفسيرات غير النابعة من اصل النص ومن فلسفة كاتبه " .. جريدة الجمهورية ص مسرح ٢٠٠٢/٢/١٤ (في انتظار غودو) في عرضين .

٢. مسرحية (ترنيمة الكرسي الهزاز) ۞

انها حكاية واحدة توزعت ما بين شخصيتين ، حكاية انتظار لغائب يعود او لا يعود ، من يمتلك الاجابة ؟ فالاولى شخصية (مريم) المطربة المهجورة التي تنتظر ان يعود لها ماضيها ومعجبوها الذين تركوها بعد ان تعب صوتها وهرمت ، والشخصية الثانية (راجحة) العاشقة لحبيبها الغائب الذي غاب منذ زمن بعيد ولا تدري متى يعود ، هاتان الشخصيتان تعيشان في بيت واحد ، مثلما تعيشان ازمة واحدة هي ازمة الانتظار .

" راجحة : اني احب لحظات الانتظار
مريم : احنا نحب لحظات الانتظار
راجحة : الانتظار يسبب النا قلق
مريم : الانتظار يسبب النا خيبة
راجحة : الانتظار يسبب النا الم
مريم : الانتظار صار جزء من حياتنا
راجحة : الانتظار صار جزء من حياتنا ... " (١)

يبدا العرض المسرحي مع لحظة دخول الجمهور ، الذي ينقسم دخوله الى غرفتين من غرف البيت الكبير ، مكان العرض (منتدى المسرح) توجد في كل غرفة احدى الشخصيتين ، تحكي كل شخصية مفتتحا او ملخصا عن حكايتها الى جانب التعرف الاستهلالي على مقتنيات كل شخصية ، من تلك المقتنيات المتعلقة بازمة الشخصية النفسية واسباب معاناتها .

ففي غرفة (مريم) يستمع الجمهور الى غنائها اولا وكلمات الغناء موحية بلوعة انتظار واضحة :

" تحن اسنيني لسنينك سعد يربي على حد الموت
لهفة المايك وطينك اوادد كل سحابة تفوت
واشتاك الشمس عينك " (٢)

هذا الى جانب التعرف الى محتويات الغرفة المملوءة بالاسطوانات القديمة ، والة التسجيل القديمة هي الاخرى زيادة على الى بعض الصور والفساتين التي كانت ترتديها مريم في حفلاتها الغنائية ، اما وقد كبرت وشاخ صوتها الان فلا احد يسمعها او يتردد عليها من معجبيها السابقين .

۞ - قدمتها فرقة المسرح الشعبي في منتدى المسرح – بغداد ١٩٨٨ وهي من تاليف فاروق محمد واخراج عوني كرومي ، وتمثيل اقبال نعيم ، وانعام البطاط ، اشعار : عريان السيد خلف ، استمر عرض المسرحية مدة ٧٤ يوما . كما عرضت المسرحية في مهرجان المسرح العربي عام ١٩٨٨ في بغداد

(١) - فاروق محمد ، ترنيمة الكرسي الهزاز ، نسخة فرقة المسرح الشعبي – بغداد ، ١٩٨٧ ، مخطوط ، ص٣ ، وتجدر الاشارة الى مسرحية اخرى للمؤلف نفسه عنوانها (الغائب) قدمتها الفرقة القومية للتمثيل ١٩٨٢ من اخراج عوني كرومي ايضا . وتتحدث عن احداث عصيبة ومتلاحقة لعائلة عراقية نتيجة العوز وسوء الحالة الاقتصادية لهذه العائلة التي تنتظر احد اقاربها المهاجرين ، والذي سيعود يوما ليخلصهم مما هم عليه من سوء الحال الذي يقود الى خسارات اخرى عديدة نتيجة الشك والعار والقتل ، وفي النهاية يرضخ الجميع لهذا الحال ، والغائب المهاجر لم يحضر ، لانه امسى في زمن منسي لدى كل شخصيات المسرحية .

(٢) - فاروق محمد ، المصدر السابق نفسه ، ص١ .

اما راجحة فاكثر ما يجلب انتباه الجمهور هو مجموعة رسائل قديمة كان قد بعثها عاشق قديم الى راجحة ، وهو الان غائب ولم يعد يبعث برسائله او يحضر. الا انها ماضية في عشقها له لدرجة انها (تشم تراب قدمه المتبقي على عتبة الدار) فهي تردد دائما بالشعر : اشم تراب جدمك عتبة البيت ... ومن ثم يخرج الجميع من الغرفتين (الممثلتان والجمهور) ليلتقوا في باحة الدار الكبيرة ليبدا العرض بداية جديدة اخرى .

يجب التنويه ، انه اثناء البداية الاولى للعرض تم ابدال قسمي الجمهور بطريقة عكسية ليطلع كل قسم على احداث الغرفة التي لم يدخلها بطريقة اعادة تمثيل المشهد مرة ثانية ۞ ما يسترعي الانتباه ، ملاحظة المؤلف في بداية النص عن الزمان ، والتي تقول : " الوقت : تتحكم فيه لحظة الحدث الذي يعلنه حوار احدى الشخصيتين " [1] وكانه يقول ان لا زمان في هذه المسرحية ، بكلام اخر ان الاحداث تدور في مرحلة العدم ، او في درجة الصفر من الزمان .

ان الزمن في هذه المسرحية ، وعلى وفق ملاحظة المؤلف ، هو (الزمن النفسي) ، طالما ان حوار الشخصية المنبعث من مشاعرها وتفكيرها وذاتيتها ، هو المسؤول عن تحديد الوقت الزمني لكل لحظة من لحظات المسرحية . فيكون (الزمن النفسي) هو المعيار وبطريقة اخرى لتحديد اوقات النوم مثلا او اوقات تناول الطعام ، او معرفة الليل من النهار ، فالليل والحالة هذه يمكن ان يصير نهارا ، وبالعكس ، لان ذلك يستند الى حالة الشخصية الذاتية الداخلية في حساباتها مع الوقت او الزمن ، البعيد تماما عن الزمن القياسي الفيزيائي المعدوم في هذه المسرحية . وما الساعة المعلقة على الجدار والخالية من العقارب ۞ الا دليل يؤكد ما ذهب اليه الباحث .

في بداية العرض الثانية نتعرف على تفاصيل علاقة الشخصيتين بعضهما ببعض ولكن كل شخصية تكشف عن هذه العلاقة الى جانب كشفها عن هدفها الاساس في خطاب العرض برمته .

" مريم : (باسى وسخرية والم) تدرين انت اخر معجبة بيه
راجحة : اني واثقة .. اكو هواية غيري معجبين بصوتج
مريم : صارلي سنين من اعتزلت .. يعني ممكن ارجع ؟
راجحة : واذا تسجيلاتج بعدها ..
مريم : عند ناس ما يسمعوها .. شريط ، راجحة جزء من ماضي بعيد بس اني نسيت .. اني نسيت

۞ - في اثناء مشاهدة الغرفة الاولى والاستماع للممثلة فيها ، يسترق الجمهور السمع الى صوت ممثلة ثانية في غرفة اخرى ، فتحفز هذه الحالة لديه تشوقا لمعرفة ما يحدث في الغرفة الثانية ، وبهذا زرع المخرج حالة انتظار لدى المتفرج لمشاهدة الحدث القادم – الباحث .

(١) - فاروق محمد ، المصدر السابق نفسه ، ص١ .

۞ - احالة الى الساعة التي نسيها تماما فلاديمير في المزرعة ، في مسرحية (في انتظار غودو) وكانت تؤكد انعدام الزمن ايضا .. نلاحظ اهمية استخدام الساعة في مثل هذا النوع من المسرحيات – الباحث .

راجحة : منو يكول .. اني اتصور المسالة بالعكس .. ناس هواية بعدهم يسمعوج ويذكروج .. ناس بعدهم يسمعوج .. ناس بكل مكان بعدهم يذكروج .

مريم : اللي جانوا يسمعوني ناس من جيلي .. اكثرهم راحوا .. واللي بقوا نسوني .. اني ما الوم احد هذا زمن ينسي .. النسيان صار جزء من حياتنا .. " [1]

اما راجحة فهي تمارس طقسها اليومي في تجهيز الصينية بالاشياء التي يحبها غائبها المنتظَر (مازن) ، هذه العملية (تجهيز الصينية) او غيرها من الاعمال التي تقوم الشخصية بها كالاهتمام بالبيت وتهيئة مستلزمات الغائب والنظر الى دقات الساعة ... ما هي الا اعطاء المنتظِر عاملاً محفزاً ومنشطاً لان الغائب نفسه قد يتحول الى قوة ميتافيزيقية او حلم رومانتيكي يدفع المنتظِر نحو المزيد من الاهتمام بما حوله من الاشياء ، زيادة على ان عملية تجهيز الصينية لها مرجعيتها الدينية لدى بعض المعتقدات العرفية والمتوارثة التي من شانها ـ وبحسب المعتقِد بها ـ التعجيل بحضور الغائب واستقدامه مبكرا ، ويمكن ان يعد ذلك نوعا من النذور التي تقوم بها النساء لنيل مطاليبهنّ المرجوّة ، المخفية منها والمعلنة . وهي فوق ذلك كله اشارة الى ايمان الشخصية (راجحة) بما هو غيبي ولجوئها الى كل الوسائل التي تعتقد بها راجحة انها تستقدم غائبها لتتخلص من لوعة ومرارة انتظارها الطويل هذا . بعد تجهيز الصينية تقول :

" راجحة : حضرتله كلشي ، بس نسيت البرتقال .

مريم : (تغني) جنّه مطبك للفرح ، والدهر عد وعماد شظه

راجحة : بلكي رشاد يخابر واوصيه (تدور بلا هدف) بلة راجحة خو ما نسيت شي .

مريم : (مستمرة بالغناء رغم مضايقة راجحة) واحد بلومه ابتله ، وواحد حنين العطش عضه .

راجحة : بس لا نسيت شي

مريم : (تقطع غناؤها صارخة) وافرضي نسيتي شي ، قابل راح يعاتبج ... ويكلج ليش نسيتي فلان شي .. " [2]

الانتظار هنا يكشف عن اثره في سلوك الفرد تجاه علاقته بالاخر .. ففي كل مرة يحتدم الصراع بين راجحة ومريم ليصل الى ذروته في لحظة شجار عنيف ، ومن ثم ، يعود الوضع الى هدوئه ، والى انسجام الاثنين معا لان (الانتظار) هو الرابط الباقي والوحيد بينهما .

ويعمل استرجاع الذاكرة فعله لدى راجحة في لحظات الوحدة والصمت ، لتتذكر كيف كانت تتلهف لمجيء ساعي البريد ، لعل هذا الاسترجاع يخفف عنها الم الانتظار ومعاناته .

---

(١) - فاروق محمد ، المصدر السابق نفسه ، ص ص : ١،٢ .

(٢) - فاروق محمد ، المصدر السابق نفسه ، ص٢ .

" راجحة : جنت اوكف انتظر ساعي البريد .. اجمل انتظار ولما اشوفه اركض واخذ من ايده الرسالة اللي جان يلوحلي بيها من بعيد .. اخذها واطير .. (تذهب الى الشباك) على هذا الشباك جنت اعلق لهفتي وشوقي والمس كل قطعة حديد .. باصابع تتوسل .. بعيون تتوسل .. بقلب يتوسل .. تعال اريد اشوفك وانت جايبلي رسالة بيضه .. مثل حمامة بيضة تدور على عشها .. ايامي جانت فترة انتظار طويلة .. ما احس بيها شلون تمشي .. وبمرور الايام مات خوفي من الياس ومات ياسي من الخوف وطويت الرسائل بعد ما قريتهن الف مرة .. ودفنتهن ويه املي وذكرياتي وشبابي وخلصت من تعب الانتظار .. والهزة اللي تعصر قلبي ويه كل دكت باب .. بعد ما يجي .. بعد ما يجي " [1]

بعد ذلك تقوم مريم هي الاخرى باسترجاع ذاكرتها ، وتذكر امها التي كانت مريضة بالسل الرئوي ، في ذلك الكوخ البعيد الذي تركته بعد وفاة والدتها ، تركته بعد ان قتلها الحزن والخوف والجوع ، ولان والدها كان قد تركها هو الاخر . ولكنها بعد كل ذلك ، وفي هذه المرحلة ، تصر على انها يجب ان تعود مثلما كانت في فترة لاحقة من حياتها ، تلك المطربة المشهورة :

" مريم : اني بعدني ذيج مريم .. شكلي تغير بفعل الكبر صحيح .. بس اللي جان خالني مريم المبدعة الفعالة المؤثرة موجود .. لو بس يجي ..

راجحة : بعد ما يجي ..

مريم : جنت راضيه بوضعي .. بس بديت اخاف

راجحة : تخافين

مريم : شبح اسود مثل كابوس يجي من الماضي .. من زوية بكوخ بعيد بيتنا صار مزار مهجور يسكنا كابوس ..

راجحة : انت بديتي اضعفين ، كميتي تشعرين بروحج مثل دودة تزحف على رمل حار .. بعد ما يجي ..

مريم : يجي .. واني ارجع مثل قبل اني ما فقدت صوتي . صحيح اكبرت وفقدت جمالي .. بس اكو هنا (تلمس حنجرتها) كنز ما ينتهي .. هسة اتذكرلج اغنية لحنها صعب (تبدا بالغناء) . " [2]

ان كل ما كان يساعد على تخفيف الم الانتظار كانت الشخصيتان تلتجئان اليه ، وحتى تذكرهما للحظة الموت التي ربما تداهمهما فجأة ، ينبعث هذا التذكر من جراء أي فعل ياتي من خارج الدار ، كصوت طرق الباب مثلا ، او رنين الهاتف داخل البيت وغيرها من الاصوات التي من شانها كسر هذه الوحدة وهذا الملل .

---

(١) - فاروق محمد ، المصدر نفسه ، ص ص : ٥،٦ ومن هذا الحوار نفسه يمكن تلمس ان الشخصية تعيش انتظاراً داخل انتظار ، انتظاراً في الماضي ، وانتظاراً في الحاضر .. – الباحث .

(٢) - فاروق محمد ، المصدر السابق نفسه ، ص ص : ٦،٧ .

كثيرا ما تتصادم الشخصيتان نتيجة لازمة نفسية ما ، ثم تعودان للتفاهم والاستقرار ومواساة الواحدة للاخرى ، والاعتراف على ان الماضي ولّى وبدون رجعة ، لان الزمن لا يمكن ان يعود الى الوراء ، فالماضي بات وهما وهو لا يمكن ان يعود . وعلى الرغم من هذا الاعتراف كله ، تبقى مصيبة هذا الانتظار اكبر من ان يتحملها احد على وفق هذه الظروف التي جمعت بين الاثنتين ، فواحدة تنتظر الماضي الذي لا يمكن ان يعود ، وتريد ان تحوله الى مستقبل ، والاخرى تنتظر المستقبل ، متعكزة في ذلك على ماضٍ ولّى هو الاخر ولا يمكن ان يعود ايضا .

كان للجوء المخرج الى عزل الشخصيتين بعضهما عن بعض في البداية الاولى للعرض ، هدفه الواضح في التعرف على انفراد الشخصية الواحدة وحكايتها ومتعلقاتها البيتية بازاء الانتظار ، لنصل الى حقيقة ان (الانتظار) حالة واحدة لنتائج متعددة ، وله الاثر النفسي ذاته في الاحوال كلها .

وان كل شخصية لها من العزلة التامة لتعبر عن معاناتها بلا تردد او مبالاة لاحد ، انها عزلة ذاتية للشخصية تقدم للجمهور الحقيقة عارية وكما هي .

اما حين تحقق اللقاء بين الجميع في باحة الدار الكبيرة ، بدات كل شخصية تخبئ عن الاخرى هنات وانكسارات نفسية لتلبس ثوبا مزيفا لاعتبارات شخصية تتعلق بقوة اعتبار وكرامة مزيفة ، وتمسك بالاوهام الخداعة .

زيادة على الى ان الوحدة او العزلة ، هي فكرة ملازمة تماما للانتظار ، ان لم تكن هي الاساس التي يقوم عليها الانتظار ، ولهذا ايضا تم عزل الشخصيتين في البداية الواحدة عن الاخرى .

لقد ترك المخرج تاويل فكرة الغائب المنتظر للمشاهد في هذا العرض ، فهو يقول : " والانتظار فعل يعتمد على الخارج الاتي .. الغائب المنتظر الذي ياخذ تاويله من قبل المشاهد ، وفي عرض الترنيمة اخذ شكل المهاجر الذي سيعود يوما ، الثائر والمغِّير الذي يعمل على كسر العزلة ، الحبيب المفقود ، الجندي الذي ياتي من جبهات القتال بل وحتى [كذا] الميت او الشهيد الذي سيعود في لحظة القيامة . انه فعل خارجي ياتي الى المكان المهجور الذي كشفت العزلة عن خصائصه . " [1] بهذه التاويلات المتعددة يعرفنا المخرج على انواع الاشخاص المنتظَرين .. هؤلاء وغيرهم ممن لم يذكرهم ، الا ان الباحث يرى ان ما تنتظره هاتان الشخصيتان : مريم وراجحة ، لا يندرج في هذه القائمة ، لان الشخصيتين لا تنتظران سوى الوهم ، لوقوعهما في وهم الانتظار ، والدلائل على ذلك كثيرة ويمكن حصرها في الاتي .

ان مريم وراجحة لا يمكن ان تعترفا بوهم انتظارهما ، لان ذلك سيجعل من انتظارهما عقيما ، وبالتالي ينتهي الانتظار ولا يصبح لوجودهما اية قيمة حياتية ، امام نفسيهما وامام الاخرين ، والموت والحالة هذه سيكون هو الكفيل بوضع الحد لحياتهما ، وهذا ـ أي الموت ـ ما تخاف التفكير به الشخصيتان ، فكيف اذا جعلته هو الحل ؟ .

---

(١)- عوني كرمي ، اشكالية التجريب مع الفضاء المسرحي ، مجلة البحرين الثقافية ، العدد ١٩ ، يناير ، ١٩٩٩ ، ص٥٥ .

لقد ادعت مريم انها كانت المطربة المشهورة التي يتوسلها المعجبون اينما حلت ، بل يهرعون اليها في زيارات لا تنقطع .. التساؤل هنا : اين ذهب اولئك المعجبون ؟ وهل هم فعلا هجروا مطربتهم المفضلة لانها شاخت وشاخ معها صوتها ؟ او ان حقيقة اعجابهم يلزمهم باحترام مطربتهم والاستماع الى اسطواناتها والبقاء على مداومة زياراتهم لها ، ويزداد فعلهم هذا مع ازدياد شيخوخة مطربتهم اثباتا منهم لحبهم واعجابهم بها ؟ تُرى اين ذهب اولئك المعجبون ؟ ولماذا لم يات واحد منهم في الاقل لزيارة هذه المطربة المشهورة ؟

ان مريم والحالة هذه ، تُداري فشل الماضي وتعاني منه ، علها تحاول ان تنجح اذا عاد لها ذلك الماضي من جديد !! ولهذا لجات الى انتظاره ، لكن للشيخوخة احكامها ، ومما يزيد هذه الاحكام المعا اعتقادها الراسخ وايمانها بحتمية الموت .. والنتيجة هي انها لا تنتظر سوى الوهم ، وبكلام اخر انها توهم نفسها بالانتظار لا اكثر . فلم تكن هناك شهرة ولم يكن هناك معجبون بل كانت هناك امنية لم تتحقق لها في الماضي ، والماضي لا يمكن ان يعود ابدا .

وينطبق الحال نفسه مع راجحة ، التي تنتظر الحبيب الغائب ، وما انتظارها هذا الا وهم ايضا ، ووسيلة لاخفاء فشل ولكن من نوع اخر .

لقد تحدثت راجحة كثيرا وهي تسترجع ذاكرتها عن لهفتها في استقبال ساعي البريد وغير ذلك مما يتعلق بسلوكيات كانت تقوم بها للتعبير عن تعلقها بهذا العاشق الذي لم نعرف مصيره حتى نهاية المسرحية .. بل لم نعرف كيف غاب ولماذا ؟ اين ذهب طيلة هذه السنوات ؟ ولماذا لم يبعث اية رسالة مثلما كان يفعل في الماضي ؟ أي نوع من المنتظَرين هو ؟ المهاجر ، ام الثائر ، ام المحارب ... الخ .

ليس امام راجحة سوى ان تتعلق بوهم افتعلته لتُداري هي الاخرى فشلها في الماضي في القبض على مثل هذا العاشق (الذي يحب البرتقال) .

لقد تنافست كل من : مريم وراجحة على الانتظار ، بل على وهم اسمه انتظار ، بوصفه وسيلة لتحقيق رغبات مؤقته تخفي فشل الماضي وتسعى للتشبث بانتظار عقيم لا جدوى منه .

ان ما يحدث بين الشخصيتين من احتدام صارخ وسلوك متنافر ما هو الا تغطية على هذا الفشل ، وان الصلح الذي يعود بينهما كان من شانه ان يساعد على استمرارية مثل هذا الانتظار .

ان كلاً من مريم وراجحة ، سارتا في طريق مسدود ، لان انتظارهما بالمعايير كلها لم يكن الا تعويضا عن فشل فد مضى ، ولم يكن بالتالي الا تخفيفا عن قلق الموت المميت ، فالى جانب الوحدة والعزلة ، كان هناك (قلق الاتي) الذي هيمن على روحية وتفكير كل واحدة من الشخصيتين ، وبالتالي انعكس على سلوكهما الفردي وعلى تفكيرهما المزدوج في نسج هذه التصورات كلها التي لاوجود لها ، طمعا في التشبث بهذا الوهم .

يقول مؤلف المسرحية : " خلال انتظارنا تبدا مشاعرنا بسرد تاريخي خفي .. لا ينصاع لضابط التسلسل بل ياتي كومضات من هذيان في حلم يقظة . " [1] اذا فاسترجاع الذاكرة في حالة الانتظار يتعرض الى الهذيان ، فيختلف عن حالة التذكر في جو من الهدوء والاسترخاء .

لم تكن هناك نهاية واضحة للعرض ، فالانتظار ظل مستمرا على حاله ، والفرضيات والاحتمالات التي يمكن ان يضعها المشاهد كثيرة ، وهذا يحدث دائما في النهايات المفتوحة للمسرحيات .

بعد كل ازمة بين الشخصيتين كان (الكرسي الهزاز) هو المَعنيّ بتهدئتها ، حين تجلس الشخصية التي اصابتها الهستيرية ۞ - وهذه حال تتكرر - حتى يعود الهدوء والتفاهم مرة اخرى .

ومن المفيد ان نشير هنا الى طبيعة حركة (الكرسي الهزاز) هذا ، تلك الطبيعة المائلة الى التكرار الحركي الذي يحدث الملل ، وما اختيار عنوان المسرحية الذي ينم عن وصف لهذه الحركة الاهتزازية الرتيبة المملة ، تعبير حقيقي على مستوى الشكل عن اثر الانتظار في النفس وفي المكان ومن بداخله .

ان هذه الاهتزازات الرتيبة كان لها فعلها في تخفيف التشنجات والتوترات العصبية التي تصيب احدى الشخصيتين ولكنها في الوقت نفسه تُميل الى تذكرتها دوماً انها في حالة انتظار مستمرة .

لقد كان لعملية تخليق او افتعال ذلك (الغائب) وانتظاره ، اثرها المباشر في الحضور الفعلي للشخصيتين وحركتهما الخارجية والداخلية ، ان لم يكن ذلك الغياب يعادل الحضور الفيزيائي للشخصية ، على الرغم من كونه غياباً وهمياً.

ان كلتا الشخيتين كانتا تتعرضان لنوبات هستيرية انفعالية بسبب صدمة الفشل القديمة ، ولهذا تميلان الى الكذب الواحدة على الاخرى وخلق القصص انطلاقا من حب الذات المزروع في كل واحدة ، على الرغم من الحياة الروتينية التي تعيشها الشخصيتان .

ان كلتا الشخصيتين كان تنتابهما حالات الشعور بالتوقف الزمني على طول خط احداث المسرحية ، التوقف الزمني لا بمعناه التقليدي القياسي ، بل بمعناه الزمني النفسي الذي هو زمن الاحداث اصلا ، وحتى هذا الشعور بالزمن النفسي يكاد يتوقف او ينعدم في احيان كثيرة حينما يزداد تيقن الشخصية من وهم انتظارها .

---

(١) - فاروق محمد ، كلمة المؤلف في دليل عرض المسرحية . المتتبع لاعمال فاروق محمد المسرحية والتلفازية يلحظ الاهتمام بالزمن وتاثيره في الشخصيات الى جانب موضوعاته النفسية لشخصيات محبطة نجد ذلك في مسرحيات / الغائب ، ونبوءة المطر ، وبيت وخمس بيبان ، والتلفازية / وينك يا جسر ، بلابل ، قبل رحيل المواسم ، بقايا رماد دافئ .. الاهتمام بالامل والاحباط النفسي لدى فاروق محمد يقترب من اهتمامات تشيخوف في طروحاته .

۞ - الهستريا : نوع من الامراض النفسية التي يتحول فيها الصراع النفسي الى ظواهر وعوارض جسمية ، ومن مظاهرها الاخرى : تشنجات وتقلصات تعتري عضلات الجسم يطلق عليها نوبات التوتر الهستيري . للمزيد ينظر : انيس فهمي اقلاديوس ، السينما والمسرح وامراض النفس ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٨٢ ، ص ص : ١٠٦،١٠٧ .

زيادة على ان هذا الشعور الذي يتصف بصفة العودة والحضور بين مدة واخرى ياخذ صفة الزمن الدائري فهو يتكرر على وفق المواقف المعادة والمتكررة من الاحتدام الى الاستقرار وبالعكس .

مما تقدم ، يرى الباحث ، ان الدلالات كلها التي تعامل بها مخرج المسرحية المرئية منها والمسموعة كانت عاملا مساعدا لتفعيل الانتظار الذي كان في الاصل العمود الفقري لنص هذه المسرحية ، وما تعامل المخرج مع النص وفكرته الانتظارية الا تكملة في توسيع مديات هذه الفكرة باتجاهات تاويلية لامتلاكها ابعادها الفلسفية التي تزيد من فاعلية التاويل فيها .

٣. مسرحية (مرحبا أيتها الطمأنينة) ❁

تتحدث المسرحية عن امرأة متزوجة تدعى (ساهرة) تعيش وحدها في بيتها التي شغلت فيه العناكب (مكوكها) وزرعت عشرات الشباك السود ، على اثر الاهمال لكل شيء فيه ، لان ساهرة مشغولة بالانتظار ، وماعدا ذلك فليذهب كل شيء الى الهاوية .

الزوجة ساهرة بانتظار ان يعود زوجها الغائب عنها سبع سنوات ، يعود من لندن بعد انجاز مهمة له ، وفي يوم ياتي ساعي البريد ليسلم الزوجة مظروفا خاصا بداخله برقية عاجلة ، المفروض ان البرقية موجهة اليها ، فحواها ان زوجها سيعود في العاشر من الشهر الجاري ، لتنقلب حياتها راسا على عقب وتعمل استعداداتها اللازمة لموعد العودة هذا وفي النهاية يعود ساعي البريد مرة اخرى ليعتذر لها ويخبرها ان البرقية السابقة تسلمتها بالخطا ليعطيها البرقية الصحيحة العائدة لها ، حيث فيها خبر وفاة زوجها في لندن اثر حادث دهس سيارة.

❁ - قدمتها الفرقة القومية للتمثيل على منتدى المسرح ، عام ١٩٨٨ ، وهي من تاليف : جليل القيسي ، واخراج عزيز خيون ، وتمثيل عواطف نعيم . المسرحية من مسرحيات المونودراما .

على هذا الخطا غير المقصود من ساعي البريد ، اعتمد المؤلف بناء متنه الحكائي بلعبة درامية مستندة الى مفارقة الحدث ، عبر انتظار مستمر ومتحول على وفق الموقف المسرحي نفسه .

دلالات الانتظار تبدو واضحة منذ الوهلة الاولى ، حيث " كل شيء في الغرفة مهمل من مدة طويلة .. الجدران متسخة بلون التراب .. الستارة التي تغطي النافذة الكبيرة والوحيدة في الغرفة في الجدار المواجه للجمهور قذرة ، مكرمشة .. " [1] كل ذلك نتيجة معاناة الزوجة في انتظارها ، الامر الذي ادى الى اهمالها لمثل هذه الاشياء وغيرها ، نتيجة فقدانها الطمأنينة على واقعها او حاضرها الحياتي ومستقبلها المرهون بعودة زوجها الغائب فما تعانيه من الوحدة والعزلة والحزن يشغلها حتى عن ابسط واجباتها تجاه بيتها واغراضه .

ان اهم الافعال التي تشغل الزوجة وهي في هذه الحالة ، النظر الى الباب الخارجي ، والنظر الى جهاز الهاتف ، والنظر الى الشباك .. لان هذه الاشياء كلها لها علاقة بالعالم الخارجي حيث يمكن مثلا ، ان يدخل غائبها من الباب او يتصل بها هاتفيا او تسمع صوته يناديها من الشباك .

ان القلق يحيط بها من كل جانب ، حتى عندما تسلمت البرقية ، كانت مترددة في قراءتها ، لان سبع سنوات من الانتظار والشكوك جعلها لا تثق بما حولها لانها قد فقدت الطمانينة .

لقد عمد مخرج المسرحية الى توظيف مكان العرض (منتدى المسرح - البيت البغدادي القديم) بوصفه بيت الزوجة وكل من بداخله (الزوجة والجمهور) ينتظرون ذلك الغائب ، لان الجمهور وهو وسط باحة الدار الكبيرة يعيش حالة انتظار مزدوجة ، فهو ما بين انتظاره لتوقع الاحداث المتراتبة ، وانتظاره المشابه لانتظار الشخصية في ان يعود ذلك الغائب المنتظر .

ان الزوجة وبعد ان تتسلم البرقية يتحول انتظارها من حال الى اخر مغاير ، فبعد ان تسلمت موعد عودة زوجها الغائب هيمنت عليها الطمانينة وعادت اليها حيويتها التي فقدتها سبع سنوات ، فاول شيء فعلته انها اتصلت بصديقتها لتبثها فرحتها المصحوبة بالخوف .

" الو .. الو .. سعاد .. انا ساهرة ... انا مضطربة فعلا .. لست طبيعية يا سعاد ... لا يا حبيبتي لم تعاودني الكابة هذه المرة .. صوتي طبيعي .. لست خائفة .. بل خائفة ايضا .. تصوري يا حبيبتي ماذا يحدث عندما ينقلب الياس المطلق فجاة الى فرح .. تسالينني عن الوضع في البيت .. طبعا كل شيء مهمل ، وقذر .. لا لا شكرا .. ارجوك لا تاتي .. ليقع ما يقع (تطلق ضحكة هستيرية) .. اوه يا عزيزتي وهل حقا تريديني ان اصلح سبع سنوات من الاهمال في ساعات.." [2]

لقد حاول العرض اختصار هذه السنوات السبع ليصف لنا صوريا حالة الشخصيته في سلوكيتها منذ اللحظات الاولى مثل : النظر الى المرآة كثيرا وهي

---

(١) - جليل القيسي ، وداعا ايها الشعراء – سبع مسرحيات من فصل واحد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٨ ، ص٨٣ .

(٢) - جليل القيسي ، المصدر السابق نفسه ، ص٨٨ .

تتامل ملامحها وشعرها .. ولحظات الصمت المتكررة .. والرتابة في الحركة .. والملل والضجر من كل شيء حولها .. وحيوية جسدية حين الذهاب الى فتح الباب مصحوبة هذه الحيوية بخوف وقلق ولهفة .. وتامل الصور والكتب المرتبطة باسترجاع الماضي وتذكره .. وبعد كل هذه تاكيد العرض فقدان الشخصية طمأنينتها لكل ما حولها لان الطمأنينة ـ دائما ـ لها ارتباط بالمستقبل المخبوء .

" ان اعلى درجات الطمانينة هي امتلاك ما لديك ، حينها تعزف الحياة السعيدة من ينبوعها ... ان الطمانينة هي ان يكون لديك ما هو لك .. " (١)

لكن الزوجة فاقدة لاهم ما تمتلكه وهو ـ بحسب اعتقادها ـ لم يعد لها وربما لا تمتلكه مرة اخرى ، وبهذا فالطمانينة عندها وبعد سبع سنوات من الشك والانهيار النفسي والملل قد وصلت درجة الصفر .

تقول الزوجة مخاطبة زوجها الغائب : " لقد جعلتني يا فوزي اعيش ساعات من الظنون السيئة والاهات والتنهدات والاحلام .. برسالتك الاخيرة التي خيرتني فيها مصيري ، انتزعت اصغر نتفه من الهناءة مني . لكنك لم تستطع ان تنتزع مني الامل .. " (٢)

الشخصية هنا على الرغم من كل شيء تعلن عن تمسكها بانتظارها ، لانها تعيش حالة خاصة من المشاعر والاحلام والامنيات ، تعيش في عالم مزيج من الحركة الداخلية للنفس ، وعالم من الانفعالات الذاتية المنعزلة ـ دائما ـ عن العالم الخارجي ، على الرغم من التاثيرات الخارجية كلها لوضع حد لحالة الانتظار هذه ، كالذي قامت به بعض النسوة الاقارب في خراب عالم الانتظار هذا ووضع حد له ، الا ان تمسك الزوجة بانتظارها ، كان اقوى من الاخرين كلهم ومن التاثيرات الخارجية كلها ، الامر الذي يكشف ايضا عن التزام الشخصية دينيا بصيانة وضعها الاجتماعي والاخلاقي الذي هو صيانة لمحبة ووفاء غائبها المنتظر .

حوارية سردية تَمتّع بها العرض المسرحي ، وهي من طبيعة هذا النوع من عروض مسرحيات (المونودراما) ، فالزوجة هنا كثيرا ما تشعر بمتعتها ازاء انتظارها ، فكلمة (انتظريني) التي وردت في البرقية كان لها تاثيرها في الوضع النفسي للشخصية في تغيره من حال الى اخر ، فتحول الانتظار من المتعة بالالم الى المتعة بالفرح ، ولا سبيل للشخصية وهي في مثل حالتها هذه الا اللجوء الى الذاكرة واسترجاعها وهي تعيش احلى لحظات انتظارها .

هذا التحول في الاحساس بالانتظار يقابله تحول اني في الاحساس بالزمن ، اذا ما جعلنا للزمن حركتين : " احداهما تمثل الانشغال بالزمن والاخرى بالانشغال عن الزمن " ففي الحالة الاولى يمتد الزمن الى مسافات زمنية طويلة ، اما في الثانية فيقصر الزمن ليصل الى جعل الاحساس صفرا . وما تحولت اليه الزوجة بعد قراءتها للبرقية يقع في الحالة الثانية طبعا ، التي هي حالة الشعور بالزمن النفسي وليس غير ذلك .

---

(١) - امبرتو ايكو ، مصدر سابق ، ص٩٩ .

(٢) - جليل القيسي ، المصدر السابق نفسه ، ص٨٨ .

الزوجة تخاطب صورة زوجها الغائب ، تخاطبه وتستذكر معه كل شيء حدث في الماضي ، تخاطبه لدرجة ان تتخيله واقفا امامها ، لتندمج متعة التخيل مع متعة الانتظار ، بامل ان يتحول كل شيء الى حقيقة .

لقد حاولت الزوجة استحضار زوجها الغائب والتلذذ بانتظاره بعد ذلك .. ففي موقف استذكاري تحاور فيه الزوجة زوجها وكانه امامها فعلا ، حيث تنام على كتفه ، وتحتضنه وتبكي بين ذراعيه ، وتقبله عدت مرات [١] هذه الاشياء كلها وغيرها من شانها ان توفر نوعا من الطمانينة المؤقتة للشخصية وهي في حالة استرجاع الذاكرة .

ان الزوجة عندما تسلمت البرقية التي اخبرتها بموعد عودة زوجها بدا الزمن عندها يختلف من حيث حساباته المعيارية والنفسية فبعد ان هيمن عليها طويلا (الزمن النفسي) بدات تتمسك بالزمن الفيزيائي التقليدي لكي تعد الايام المبتعدة لموعد الوصول ، بعد ان مرت بحالة توقف زمني منذ لحظة غياب زوجها والان قد عادت عندها حركة الزمن واختلفت كل معاييرها بازاءه ، مثلما عادت لها حركتها وفعلها الجسدي بحيويته كاملةً.

الا ان ساعي البريد بعودته الثانية وجلبه البرقية الصحيحة ، يكون قد اربك على الزوجة موقفها برمته بازاء (الزمن النفسي) والزمن المعياري ، وجعلها في حالة من الضياع النفسي والذهني ، ففي لحظة تسلمها البرقية الثانية (الصحيحة) عاودتها لحظات جديدة من القلق والخوف بازاء ما يمكن ان يكون مكتوبا في هذه البرقية ، ووجدت نفسها بازاء عدد من التساؤلات المخيفة : ما الذي يمكن ان يكون في البرقية من الاخبار ؟ هل هو موعد ثان للعودة ؟ ايعقل ان يكون هو نفسه ما موجود في البرقية الاولى ؟ هذه التساؤلات كلها وغيرها لفّت ساهرة في دوامة عجيبة .. لتظل تحاور نفسها بعد خروج ساعي البريد باقية في حالة مزيج من الهلوسة والخيال والحقيقة واللاحقيقة ، وهي تقول :

" يا رب .. ماذا فعلت لاتعذب كل هذا العذاب القاتل ؟ لقد كنت طوال حياتي بنظافة ، وطيبة .. يا رب ... هل ساعود مرة اخرى الى نفس الدوامة ؟ ما هذه البرقية ؟ ترى هل هي بنفس المضمون ؟ ماذا لو كانت بصيغة اخرى ؟ لم كل هذا الالتباس ... ماذا لو كانت فيها غير تلك الكلمات .. لماذا لا امتلك الشجاعة لقراءتها .. (بذهول شديد) هل سارجع ثانية الى الاهات وحبس العذاب والوحدة والشكوك ... اخاف ان اقراها .. الهي .. اخاف ان افقد فرحي .. " [٢]

لكن الزوجة كان عليها الانصياع لقدرها او ما يطلق عليه (عقدة القدر المكتوب) ۞ واستسلامها لمحطة جديدة من الانتظار اذا كان هذا قدرها ، الا ان البرقية الجديدة حسمت الموقف ووضعت حدا للانتظار ، لان زوجها قد مات في لندن ودفن هناك ، وبهذا يكون الموت هو الكفيل بوضع الحد لمثل هذا الانتظار الطويل ،

---

(١) – للمزيد ينظر : جليل القيسي ، المصدر السابق نفسه ، ص ص : ٩٠ ، ٩١ .

(٢) - جليل القيسي ، المصدر السابق نفسه ، ص ص : ٩٤،٩٥ .

۞ - اطلق تودوروف ، على ظاهرة التنبؤ بتحقيق الاحداث ، بوصفها مشاريع افتراضية يكون تحقيقها في المستقبل امراً مشكوكاً في احتمال تحقيقه (عقد القدر المكتوب) . للمزيد ينظر : سلام كاظم الاوسي ، الزمن في شعر الرواد ، بغداد ، ص١١٩ .

وما صوت الابن الذي يسمع في نهاية المسرحية وهو يردد : (ماما ... ماما) الا قدر اخر لساهرة على مواصلة حياتها واستمرارها بهدف انتظار اخر له هدف اخر ، وهو مستقبل هذا الابن ورعايته والانتظار معه حتى النفس الاخير .

لقد اعتمدت الشخصية المحورية في المسرحية وهي (الزوجة) على مرجعية دينية تمتلك اعتقادها القاطع بكل ما هو ثابت غيبي ، وضح ذلك في استسلامها لقدرها في اللحظة الاخيرة ، متجنّبة في ان يكوّن لها هذا القدر عقدة نفسية ، بل انها عمدت الى الاستسلام لصوت ولدها ورأت ان القادم الجديد من الزمن لابد ان يكون خيرا من كل مافات ، وبهذا استعادت وعيها ـ لاحساسها بزمن جديد وانتظار جديد .

ان تصورات الزوجة لرسم الحياة التي سوف تعيشها بحضور غائبها تعرضت لتحولات مستمرة ، فبعد كل خبر تتسلمه او بانتظار تسلمه ، تتحول هذه التصورات من شأن الى اخر على وفق مناسبة وظروف الموقف الدرامي نفسه.

كان للانتظار وطيلة السنوات السبع الماضية اثره السلبي في الزوجة ، انعكس ذلك في اهمالها لبيتها وحاجياته ولمظهرها الشخصي لانها قد ارتكنت الى الخمول والسكون ولم تقترب من فاعلية حركتها بازاء الانتظار الا في اللحظات الاخيرة من المسرحية .

اختلط حساب الزمن عند الزوجة في تحولات مختلفة فهو يسير احيانا على وفق الحسابات النفسية واحيانا على وفق الحسابات التقليدية الفيزيائية واحيانا اخرى على الجمع بين هذا وذاك ، وينعدم تماما عندها الشعور بالزمن في لحظات سريعة .

كان لغياب الزوج اثره السلبي في طبيعة حياة من تركهم حين الرحيل مثل زوجته وولده لدرجة ان وصل بهم هذا الانتظار لدرجة كبيرة من الاحباط النفسي المصاحب للشكوك والانهيارات العصبية والهستيرية .

٤- مسرحية (في انتظار عودة الابناء الذين لن يعودوا الى الوطن ثانية) ۞

تتحدث المسرحية وبشكل مباشر عن مخلفات الحرب الفيتنامية الامريكية ، وانعكاسها على الواقع النفسي لعدد من الشخصيات الامريكية ـ على وفق مرجعية الاسم ـ فالشخصيتان الرئيستان هما : (روبرت) الاب ، و (هيلينا) الام ، اللذان تنتظران عودة ابنهما (جان) مع الاسرى العائدين من هانوي ، الى جانب شخصيات اخرى تنتظر اسرى اخرين مثل : المرأة العجوز التي تنتظر حفيدها ، والفتاة التي تنتظر خطيبها وغيرهما ممن كانوا في مكان الحدث ، وهو محطة انتظار المسافرين في المطار .

۞ - قدمتها رابطة المسرحيين الشباب ـ بغداد ، الكرخ ، على قاعة منتدى المسرح ضمن عروض المهرجان المسرحي القطري الاول للشباب تحت عنوان ثان هو (ارفعوا القبعات) تاليف : جليل القيسي من اخراج : عماد محمد حسن وتمثيل : اياد الطائي ، واسامة السلطان ، وفضاء كاظم . في ١٩٩٢/٦/٣٠ . وقد حازت المسرحية على الجائزة الاولى في المهرجان . نشرت المسرحية للمرة الاولى في مجلة المسرح والسينما العراقية ، العدد العاشر ، ١٩٧٤ ، ومثلت على مسرح اكاديمية الفنون الجميلة عام ١٩٧٦ ، كما قدمت مرات عديدة على خشبة المسرح العراقي .

منذ سبع سنوات وروبرت وهيلينا بانتظار عودة ابنهما جان الغائب ، لكن المفارقة المؤلمة هنا ان الاب كان قد تسلم خبر وفاة ابنه في الحرب منذ سبع سنوات ولم يتجرا على اخبار الام بهذا النبا خوفا على قلبها الذي يعاني ضعفا مرضيا . وطيلة هذه السنوات السبع والاب في صراع مع نفسه تارة ومع انتظار الام الذي لا ينتهي تارة اخرى ، وفي كل مرة ياتيان الى محطة الانتظار هذه يعاود الصراع المه مرة اخرى .

الاب في حالة استرخاء وهدوء بل يعتقد انهما جاءا مبكرين ، في حين ان الام تعتقد انهما تاخرا في المجيء ، فالاب في اعتقاده انما يعكس احساسه الداخلي في انه لا ينتظر احداً ، بينما الام لديها المحفزات والمنبهات الشعورية كلها في املها بعودة ولدها .

" روبرت : (ببرود) سينزلون .. انتظرنا سبع سنوات .
هلينـــا : (بفـرح) الهـي .. لقـد ادمنـا الانتظـار مثلمـا ادمـن شـبابنا علـى الماريجوانا ..
روبرت : (بسخرية) لقحنا بالانتظار ..
هلينـا : اصبحنا انتظارا ..
روبرت : بوسعنا ان نؤلف كتابا عن الانتظار .
هيلينـا : وفلسفة الانتظار ..
روبرت : وهذا الانتظار حفر كل احلامنا مثلما تحفر البلد وزرات الارض الصلبة .
هيلينـا : (تنهد .. وبفرح) واخيرا .. سوف ياتي جان .
روبرت : سوف .. لقد نهشني الانتظار يا هيلينا . (موسيقى خفيفة) حتى لكانني لا انتظر شيئا . " [1]

في كل مرة يداري الاب روبرت في اخفاء نبا موت ابنهما جان ، بل يلجا احيانا الى ايحاءات لذلك النبا يخفف من خلالها معاناته ، فمثلا عندما تساله زوجته عن سبب عدم وصول اية رسالة منه ، فيلجا كعادته الى ابيات شعرية يرددها دائما طيلة هذه السنوات السبع لدرجة ان زوجته حفظتها عن ظهر قلب لانها تسمعها دائما . وهذه الابيات هي :

" اظنني نسيت شيئا / في هذه القصة / ربما ثمة خطا مطبعي / في هذه الورقة / ارفعوا القبعات : يقولون هنا " [2] وهذه الجملة الاخيرة لعلها اشارة من الاب الى حركة رفع القبعة تحية لجنازة الميت على وفق الاعراف المعمول بها في التقاليد الغربية ، ولهذا لجا الى الايحاء بها . مثلما يلجا دائما الى قراءة الشعر ـ وبالذات شعر الحرب ـ وطيلة هذه السنوات السبع.

(١) - جليل القيسي ، مسرحيات ، وزارة الثقافة والاعلام ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٩ ، ص٣٦ .
(٢) – جليل القيسي ، المصدر السابق نفسه ، ص٣٧ . وجملة (ارفعوا القبعات) هي العنوان البديل الذي اقترحه مخرج المسرحية عماد محمد حسن ، حيث اقتبسه من النص نفسه – الباحث .

يعلن النص بوضوح عن المرجعية الدينية المسيحية للشخصيات في الامتنان والشكر الذي تقدمه الام للمسيح لانه سيعيد لها ولدها عما قليل [١] . في حين يكشف الاب اعتقاده القاطع بعدم عودة الابن ، فنراه يقول : " لا .. لا المسيح ولا العذراء ولا القديس بولص ، بل حتى جميع القديسين لن يستطيعوا .. (يسيطر على نفسه .. يتوقف عن الكلام) . " [٢] الى جانب ايمانه بحتمية الموت واحقيته .

ان الاب نراه دائما يعلن عن سخريته من هذا الانتظار بمرارة وفي مواقف عديدة من المسرحية . فهو يسمي الوسام الذي تتخيله الام لولدها ، (وسام الانتظار) ، وانهما طيلة هذه السنوات ومازالا يتعلمان الانتظار . وعن وجبة الاسرى الاخيرة التي اعلن في المطار عن وصولها ، يسميها (وجبة غودو) :

"المرأة العجوز : غودو !! وهل تسمي الوجبة الاخيرة من الاسرى بوجبة غودو .. ؟

روبرت : (ضاحكا) وهل جاء غودو حقا ..

هيليـنا : معذرة يا سيدتي ، ان زوجي روبرت يحب المزاح في احلك الظروف ..

روبرت : ان عودة من ننتظرهم من هناك تشبه الحلم ، تشبه الخرافة " [٣]

واثناء الانتظار ، لا شيء سوى استرجاع الذكريات بوصفها وسيلة مهدئة تسترجع بازاءها النفس لتبتعد قليلا عن محنة ونهش الانتظار بالجسد وبالروح .. فالام تتذكر لولدها جان " نكتته الاولى وهو في الرابعة " من عمره ، والاب يتذكر كيف اصابه البرد حينها ومرض ، وغيرها من المواقف التي جمعتهم في الماضي معاً، ومن ثم اللجوء الى وسيلة تذكر اخرى ، قراءة رسالته الاخيرة :

" روبرت : (يسحب الرسالة ويقرأ) ثق بابا هنا في الادغال لا يستطيع حتى الشبح الهروب من الموت عندما تبدا المعارك . لا اعرف كم من الساعات قضينا في مستنقع طيني .

هيليـنا : (تقاطعه) لماذا تعاكسني ، وتزيد اشجاني يا روبرت .. لا تقرا هذا المقطع الحزين الدامي ..

روبرت : لماذا ؟

هيليـنا : اتخيله وهو في المستنقع حتى عنقه ..

روبرت : انه في الطين فعلا .. " [٤]

في اجابة الاب الاخيرة هذه ، تلميح واضح يزداد على تلميحاته الاخرى عن موت ابنه ، الا ان الام وفي كل مرة تتسلم هذا التلميح ولا تتسلمه . ذلك لان الم الانتظار ـ وهي واعية لذلك ـ وقسوته ونهشه السرطاني بالروح وبالجسد وطيلة هذه السنوات السبع وربما اخرى مثلها ، اخف عليها من التصديق بنبا موت ابنها والرضوخ الى هذا القدر تاركة حلاوة انتظارها هذا وتعلقها المزيف بعودة ولدها

---

(١) ـ ينظر : المصدر السابق نفسه ، ص٤٥ .

(٢) ـ ينظر : جليل القيسي ، المصدر السابق نفسه ، ص٤٥ .

(٣) ـ المصدر نفسه ، ص٤٧ .

(٤) ـ جليل القيسي ، المصدر السابق نفسه ، ص٤٤ .

الذي لا يعود ، لكنها تريد ان تبقى في حالة انتظار فحسب ، على الرغم من تيقنها من كذب هذا الانتظار ، الا انه اهون عليها من فقدانه وتصديق موت ابنها الذي سيميتها حتما هي الاخرى فيما لو توقفت عنده .

وللانتظار ملامح مغايرة يضفيها على وجه المنتظِر ، فمثلما هو يضفي ملامح الحزن والقلق ، يضفي ايضا ملامح فرح ونقاء ، نجد ذلك في حوار الاب مع الفتاة التي تعرف عليها هنا ، وهي تنتظر خطيبها القادم مع الاسرى .

" روبرت : ... ارى الفرح بوضوح يشع مثل الماسة من عينيك الزرقاوين

الفتاة : صحيح ...

روبرت : لاشك انك تنتظرين اما خطيبك ، او صديقك

الفتاة : لم لا يكون اخي مثلا

روبرت : كائن من كان الذي تنتظرينه ، المهم افرحي

الفتاة : شكرا .. انه خطيبي

روبرت : يا لسحر الحب .. هل رايت وجهك

الفتاة : ماذا به .

روبرت : الوجوه ايتها الحلوة ، في الحب ، او في الفرح ، او عند انتظار الحبيب تفقد كل اسلحتها .. تكون عارية ، نقية ، مثل وجوه الصغار ... عيناك تفيضان بالحب والتوتر والانتظار . " [١]

اما حين تساله الفتاة وهو ينتظر من ؟ يجيبها بكل صراحة : " انني لا انتظر احدا ... صدقيني .. جئت لاتفرج على هذه الهزيمة ... كنت انتظر .. لم اعد بعد الان .. " [٢]

ما بين هذه المشاعر المتبادلة كلها بين الاب والفتاة نتعرف على ان للانتظار وجوها عديدة ، الفرحة منها والحزينة ، والمهزومة الى جانبها وجوها اخرى لم تزل تنتظر ، لانها لم تزل في ضياع هذه الهزيمة .

ويهيمن (الزمن النفسي) على المنتظِرين جميعهم كلما اقترب موعد وصول الطائرة ، فهاهي المرأة العجوز تقول : " الدقائق الاخيرة في الانتظار ، تطول وكانها ساعات . " [٣] تجيبها الفتاة : " لاننا نفكر فيها بعمق .. " وفجأة يدوي صوت المذيع ليقطع حسابات هذا الزمن النفسي على الجميع ويواجههم بنهاية انتظارهم ، ليبث لهم نبأ وصول الطائرة التي ستحط بعد قليل ، ولتعلن كل شخصية موقفها بازاء هذا النبأ :

" ـ المرأة العجوز : (بفرح مشوب بحزن) سارى بيتر اخيرا بعد كل هذا الغياب .. اه .. ترى هل حقا شاخ كثيرا كما كتب لي .

- الفتاة : (تنخرط في بكاء حار) يالها من لحظات صعبة ومؤلمة
- هيلينا : انظر يا روبرت كل واحد هنا سعيد..يضحك ويفرح الان "[٤]

---

(١) – جليل القيسي ، المصدر السابق نفسه ، ص٤٩ .
(٢) – جليل القيسي ، المصدر السابق نفسه ، ص٥٠ .
(٣) – جليل القيسي ، المصدر السابق نفسه ؟ ص٥١ .
(٤) - جليل القيسي ، المصدر السابق نفسه ، ص٥١ .

اما روبرت فيتخذ موقفا مغايراً لكل المواقف الاخرى التي اتخذها الجميع ، فنراه يقول : " تعالي بسرعة ايتها الطائرة واريحي عذاباتي ، (بغمغمة مع نفسه) وانهي الكذب الذي لوثني .. " [١]

في هذه الجملة ، نلحظ ان روبرت لا ينتظر الطائرة كما هو موضح ، ولكنه في الوقت نفسه يعيش انتظارا اخر ، انتظارا ينقذه من التزييف الذي يظهره طيلة هذه السنوات ، كما ينقذه من معاناته الداخلية وبين ما يعلنه ويتكلم به وهو معاكس تماما لدواخله ، فروبرت ينتظر خلاصه ، بمعرفة الجميع للحقائق ففي ذلك خلاصهم ايضا ، بما فيهم زوجته المسكينة هيلينا الذي يقول لها في اللحظة الاخيرة : " ان هذه الطائرة يا هيلينا فيها احزان كثيرة للبعض . "

وما ان ينتهي المذيع من قراءة اسماء الاسرى الهابطين في الطائرة ، لتعرف أي من الشخصيات في هذه المسرحية : هيلينا ، والمرأة العجوز ، والفتاة ، ان غائبهما لم يعد ، ولن يعود ابدا ، وما بين التصديق وعدمه ، وان ذلك يعد من المستحيلات ، يجيبهن روبرت : " لماذا مستحيل .. الحرب وحدها تبيح لنفسها كل شيء .. الحرب لا تستاذن منكن لكي تقتل أبناءكن واحفادكن ، وازواجكن . " [٢] ، لقد اكتشف الجميع في النهاية ، انهم كانوا بانتظار لا احد ، ولم يعد اليهم سوى الموت ، وحده وضع حدا لهذا الانتظار الذي كان يمكن ان يبقى ويطول ليُجمّل حياة من كانوا ينتظرون ، ويبقيهم في امل بعيد لا حدود له ، لكن الموت وضع حدا نهائيا لكل شيء .

حتى الاب الذي كان يعلم بكذب وزيف هذا الانتظار لولده ، الا انه ولتكتمه على الخبر طيلة هذه السنوات ، كان يطمح في لحظات قليلة مع نفسه ، في ان يكون هذا الخبر غير صحيح ولعل ولده سوف يعود مثلما يعود الاخرون ، لكن في النهاية لا ولده عاد ولا الاخرون ، ليدير الجميع ظهورهم للجمهور يسيرون بخطوات ثقيلة وكانهم وراء نعش .

لقد تحركت الشخصيات جميعها في هذه المسرحية على وفق غياب محبيهم الذين اخذتهم الحرب ، فكان هذا الغياب سببا في تفعيل الحركة الجسدية والروحية على الرغم من تعرضها للنهش ـ بحسب تعبير المسرحية ـ الا انها حركة كان من شانها ايجاد " صلة الوصل بين الغائب والحاضر [هذه الصلة] تضع على الحاضر عمقا ما كان ليمتلكه لولا تلك الصلة . " [٣]

لقد هيمن على فضاء العرض جو نفسي محبط تلاءم مع الاثر النفسي للانتظار في شخصيات المسرحية جميعها ، بل ان المخرج لجا في احيان كثيرة الى تفعيل هذا الاثر بالمؤثرات الموسيقية والصوتية من تلك التي تتوافق والموقف الدرامي الواحد ، علاوة على اهتمام المخرج بالاداء الواقعي في التمثيل ، بغية تعزيز ذلك الاثر النفسي للانتظار بشكل فاعل ومؤثر في الجميع .

---

(١) – جليل الفيسي ، المصدر نفسه ، ص٥١ .
(٢) – جليل القيسي ، المصدر السابق نفسه ، ص٥٢ .
(٣) – مهند يونس ، صورة الغائب في الزمن الحاضر ، مجلة الموقف الثقافي العراقي ، العدد ١٩ ، ١٩٩٩ ص٩٢ .

٥- مسرحية (في انتظار كوزان) ۞

يبدو تاثر المسرحية الواضح - ومن عنوانها - بمسرحية(في انتظار غودو) لصموئيل بيكت ، وليس فقط بالعنوان فحسب ، كما اشار احد النقاد ، "وانما في مباشرة الفكرة والاشتغال عليها دراميا . ففي مسرحية بيكت هناك شخصيتان هما: استراغون وفلادمير ، وفي عرض كوزان هناك ايضا شخصيتان : مصلح الاجهزة والغريب ، ... بالاضافة الى استثمار شخصية الصبي .. " [١]

ما يمكن الاشارة اليه اولاً في هذه المسرحية هو توظيفها (الزمن النفسي) دون سواه في سيرة احداثها ، فالزمن المعلن لكل احداثها هو (دقيقتان) كما يصرح بذلك المعلم (مصلّح الاجهزة) ۞۞ ، في بداية المسرحية وفي نهايتها ، مع الاشارة

۞ - قدمتها نقابة الفنانين فرع بابل ، على قاعة منتدى المسرح في بغداد ضمن مهرجان منتدى المسرح الرابع عشر عام ١٩٩٩ عرضت المسرحية في ١٩٩٩/١٠/٣٠ وهي من تأليف : احمد محمد عبد الامير ، واخراج وتمثيل : علي رضا واحمد محمد . اما معنى كوزان فهو عبارة عن قنينة غاز صغيرة على رأسها مصباح ضوء صغير .

(١) – عباس لطيف ، مسرحية في انتظار كوزان قراءة في مهيمنات العرض ، ص ثقافة ، جريدة الثورة في ١٩٩٩/١١/٢٤ .

۞۞ - في النص مكتوب شخصية المعلم ، وفي العرض تبدو هذه المهنة بعيدة عليه فهو يظهر وينتهي مصلح اجهزة ، ولا توجد اشارة في النص ولا في العرض عن سبب تسميته بالمعلم – الباحث .

الى ان الطول الزمني لعرض المسرحية بحساباته التقليدية كان اكثر من ثلاثين دقيقة ، فكيف اشتغل (الزمن النفسي) في هذه المسرحية ؟ وما هي حكايتها ؟

ملخص الحكاية ان مصلّحا للاجهزة القديمة ، بينما كان مهموما بنفسه وباجهزته الخربة ينادي صبيه الصغير ليجلب له قدح شاي من المقهى المجاور لمحل عمله ، شريطة ان لا يتاخر سوى (دقيقتين) ، يشدد عليه دقيقتين . ويعود الى عمله مع الاجهزة مرة اخرى ، وفجاة تظهر له شخصية (الغريب) الذي ينزل من اعلى السلم ليبدا مناكدته واتهامه بالسرقة والاحتيال والجبن ، ومن ثم تبدا الاحداث تتوالى لتكشف عن الصراع القائم بين الاثنين عبر افكار الماضي القديم ، والحاضر المستباح ، والمستقبل الذي لا يريد ان ياتي ، بعدها يختفي الغريب في نهاية المسرحية ، ليعود الصبي الذي لم يغب سوى دقيقتين على حد قوله ، ويستمر الحال كما كان عليه .

يثبت المؤلف ملاحظته النصّية : " في انسجام بين الحلم والاسطورة والخيال .. يمكن عرض هذا العمل " [١] وكأنه يقول ان الاحداث لا دخل لها في الواقع على الرغم من انها نابعة من الواقع اصلا ، ومن هذه الملامح المشتملة على الحلم والاسطورة والخيال ما يمكن ان نتلمسه في الملاحظات الاتية ، والتي أشار اليها المؤلف كذلك هي :

- المعلم يُصلّح في اجهزته الخربة منذ الف عام دون استراحة .
- الصبي لا حضور ماديا له بل نسمع صوته فقط ويراه المعلم في ظله .
- الغريب من غير اعضاء ذكرية .
- عمل المعلم في هذه المهنة قديم بقدم التاريخ .

هذه الملاحظات ، نجد لها حضورا متباينا في خطاب العرض ، منها ما يغور في اعماق ثيمة المسرحية ومنها ما يبقى طافياً على السطح .

في لحظة نزول الغريب من السلم وهو شبه عارٍ ودخوله (المحل) بيئة الحدث الذي هو فضاء العرض لاحداث المسرحية ، وبينما كان مصلح الاجهزة منهمكا في عمله الازلي ، ينتبه فجاة ليجد شخصا غريبا شبه عار ، ارتدى معطفا كان معلقا في المحل نفسه ، يتهمه باللصوصية والاحتيال والجبن .

لقد جاء الغريب الى هذا العالم زاعما انه سيخلصه من اللصوص ومن المتفاخرين بانفسهم في هذه الدنيا ومن لفّ لفهم ، جاء الغريب ليغير هذا العالم الذي يراه هو انه على خطا ، طالما ان ابناء ادم كلهم (لصوص من ولدوا ولحد الان ..) [٢] فيحاول الغريب بعد هذه الادعاءات كلها ان يقتل هذا المصلح بوصفه النموذج القذر لهذا العالم ، وتتعدد محاولات القتل اللامالوفة ـ كما هذا الزعم وهذا الاتهام ـ بوساطة : الكرات الصغيرة ، مقص حديدي كبير الحجم .

يبدو ان مصلح الاجهزة هذا ، ونتيجة لوضعه النفسي المحبط ، بازاء زمنه وكل ما يحيط به ، داخل محله ، وخارجه ، استحضر شخصية (الغريب) من داخله ،

---

(١) ـ احمد محمد عبد الامير ، في انتظار كوزان ، مخطوط لنص المسرحية ، ١٩٩٨ ، ص٢ .

(٢) ـ للمزيد ينظر : احمد محمد عبد الامير ، المصدر السابق نفسه ، ص٥ ، على الرغم من تحفظ الباحث على هذه الجملة . وتكون جملة (اللصوص منتشرون في كل مكان) بديلا عنها .

نتيجة تصوراته هو بازاء الوجود وما يجري فيه ، وما الغريب والحالة هذه ، الا تعبير عن ذات المصلح نفسها ، والتي لا يمكن ان يظهرها هذا المصلح لعدم امتلاكه الجرأة ، ولاانهزامه من ردود الفعل التي ستتصدى له من الكون باسره . ولانه عاجز عن اصلاح الاخطاء التي وجدها تحيط بعالمه هذا ، فانعكس هذا العجز عليه سلبيا ، ليستحضر هذا الغريب بديلا عنه ، ليفرّغ شحناته عوضا عنه ، عبر تصريحات وحركات مغايرة للواقع يصحبها الكثير من الهذيان المصاحب للحالة الهستيرية التي يتعرض لها الشخص المريض نفسيا ، نتيجة لحالة الاحباط المستمرة عنده والتي من الممكن ان تتحول الى حالة مرضية نفسية هي (الهستيريا) .

زيادة على شعوره بالزمن النفسي ، وعبر تصوراته جميعها في استحضاره للغريب ولاحداث المسرحية كلها ، في دقيقتين فقط ، فكل شيء احسه هو بدقيقتين بمعياره الخاص ، اما المشاهدون فقد انشغلوا بهذه الاحداث كلها لاكثر من ثلاثين دقيقة مرت على وضعهم النفسي بحسابات مختلفة طبعا عن المصلح بصفته يمثل الشخصية ويعيش زمنه التمثيلي الشعوري الخاص ، والذي يمكن ان يجمع (الدقيقتين) مع الثلاثين دقيقة ، اذا ما قيض له الفرز بين الحالتين .

كان للزمن النفسي حضوره الفاعل في ذات المصلح ، فهو قد عاش الزمنين معا ، زمنه النفسي ، وزمن عرض احداث المسرحية .

وتستمر الهجمات التي يعلنها الغريب على مصلح الاجهزة ، على وفق اتهامات كثيرة تتعلق بالمفاخرة والعلاقات بين الناس وحب الذات واستغلال الاخرين ، وغيرها من الاخطاء التي آن لها ان تمّحي من الوجود ، لكنه يفشل في النهاية في تحقيق هدفه الاساس في تأكيد ان هذه الاخطاء كلها متمثلة بهذا المصلح ، ولان القتل قد حرمه الاله لانه خطيئة كبرى ، حينها يستنجد الغريب بالاله نفسه قائلا : " ...حان للاله ان يريحنا من كل عذاباتنا والامنا (يلتفت وكانه يخاطب شخصا في مكان عال امامه) الهي .. الهي ، لا تحملنا ما لا طاقة لنا به .. الهي حان لنا ان نرتاح .. (ينهار) فشلت ، في تطهير نفسي وما عاد في الوقت بقية .. لابد وانه في الطريق الينا .. (يلتفت الى الامام ويترقب باهتمام) . " [1]

في جملته الاخيرة هذه ، يكشف عن انه بانتظار شخص قادم اليهم ... هذا الشخص الذي تعلن عنه الاشارات جميعها في هذه المسرحية هو (المهدي المنتظر) .. فنجد اولا ان العرض هيأ له جوا رهبانيا مقدسا من مؤثرات موسيقية واضاءة خاصة و " اصوات تنبع من داخل النفس البشرية تنطلق في الفضاء ، تترقب الشخصيان ذاك الفضاء كانما قدوم ذاك الشخص منه " [2] ثم يطلب الغريب من المصلح ان يصعد على كتفه ليرى الاشياء بوضوح مع استمرار هذه الحوارية بينهما :

" الغريب : .. انظر جيدا يا رجل ، هل ترى شيئا ؟
المعلم : اين ؟
الغريب : هناك امامك (يشير الى جهة الفضاء)

---

(١) – احمد محمد عبد الامير ، المصدر السابق نفسه ، ص٩ .
(٢) – احمد محمد عبد الامير ، المصدر نفسه ، ص١٠ .

المعلم : (ينظر ، يصيح) هيه .. هيه .. هناك .. هناك
الغريب : (بفرح) لوح له بيدك ، لوح له بيدك ..
المعلم : (مستمرا في صراخه ويلوح) هيه .. هيه .. اليابسة
الغريب : (مستغربا) اية يابسة يا احمق ، هل نحن في بحر ، (يتجه الى جهة اخرى) انظر جيدا .. هل اتى ؟
المعلم : لا ادري
الغريب : هل معه احد ؟
المعلم : قد ياتي لوحده
الغريب : الا تشم شيئا .. ها ؟
المعلم : (يسخر منه) نعم ، اشم رائحة طعام (ينهره) وهل انا كلب ؟ ... (يسال) قل لي .. على خيول ام في مركبة ياتي ؟
الغريب : قد ياتي محلقا كالنسور
المعلم : وهل استطيع ان اطلب من صاحبك طلب ؟
الغريب : لا تُرد له طلبات ولا تُرفض شفاعة . " [1]

ثم يذكر الغريب ان بقاءهم قد طال في الظلام كثيرا ، لان الشمس قد غربت منذ الف عام ۞ ولهذا عليهم اشعال راس كوزان ويرقصوا احتفالا بقدومه او (باحتمال قدومه) يقول الغريب : " ولترفع الرايات ۞۞ لانه لابد في الطريق الينا .. " وفي نهاية الامر .. لا احد ياتي .. لتبدا مرحلة جديدة من التساؤلات بين المعلم والغريب :

" الغريب : كان عليه ان ياتي
المعلم : مَن ؟
الغريب : (بالم) من عاش في عزلته الف عام ..
المعلم : (يفهم مَن هو المقصود) مَن .. تاج الرؤوس ؟ ليس الان .
الغريب : وما الداعي للتاخير ؟
المعلم : وما الفائدة في ان ياتي ؟
الغريب : ليُصلِحَ ما قد جرى . " [2]

بعد ذلك تبدا مرحلة انتظار جديدة الى جانب حوارية جدلية بين الشخصيتين واسقاطات نفسية يوجهان من خلالها اللوم والعتب لغائبهم المنتظر الذي لا ياتي على الرغم من سماعه هذه الصرخات كلها وعلمه بهذه الاخطاء كلها التي ضج العالم بها ، الا ان حضوره مرهون بمشيئة الهية ، وهذا ما نسيته الشخصيتان هنا او تناسته بسبب تاوهاتها واحلامها في ان ياتي مبكرا لينقذ العالم من عفنه وفساده ، من جوره وظلمه ، ليحقق الخير والعدل والمساواة بين الجميع .

---

(١) – احمد محمد عبد الامير ، المصدر السابق نفسه ، ص١٠ .
۞ - لقد قارب على غياب المهدي منذ غيبته الكبرى مدة الف ومائة عام تقريبا .
۞۞ - اشارة الى الرايات السود التي تظهر وهي واحدة من علامات الظهور للمهدي الى جانب غيرها من العلامات المروية والمتداولة في الاحاديث النبوية والروايات المنقولة (٥٠٠ حديثاً نبوياً ، ٦٠٠٠ الاف رواية منقولة ...) ينظر المصادر المثبته في ص ،من هذا البحث – الباحث .
(٢) – احمد محمد عبد الامير ، المصدر السابق نفسه ، ص١٢ .

بعد ذلك يختفي الغريب ، بعد ان يوقن ان زمن الظهور لم يحن بعد ، وعليهم الانتظار سنوات اخرى ، لنسمع فجاة صوت الصبي يعلن عن عودته ومجيئه بالشاي للمصلح ، عندما تنتهي هاتان الدقيقتان التي هي نهاية العرض المسرحي باكمله ، ويظهر المعلم فيها يدور عكس عقرب الساعة . في محاولة منه ان يعود بالزمن الى الوراء ، اعترافا بفشله في تغيير الحاضر ، وتيقنا من ان المستقبل لم يزل بعيدا ، ولهذا ربما يجد ضالته في الماضي لوضع بشري كان اقل اخطاء ـ برايه ـ وبحسب توقعاته .

لقد عاشت الشخصيتان ، او بالاحرى هي شخصية واحد اندمجت بين المعلم واستحضاره للغريب . ولقد كان الصراع قائما في ذات المعلم عن انتظاره للقادم المنتظر الذي تاخر قدومه .

لقد حمل المصلّح تصورات خاصة عن عالم جديد يكون بديلا برايه عن هذا العالم ، وهو يقترب في تصوراته هذه من التصورات الفلسفية لتاسيس مدينة مثالية (نموذجية) ، طالما وضعت لها محدداتها الارتكازية وصفات من يقودها وطبيعة علاقات الناس بداخلها ، ومن نفر تفسير غير قليل من الفلاسفة ، كل بحسب زمنه واتجاهاته الفكرية التي يحاول تسييدها داخل تصوراته الفلسفية الخاصة .

لعل تمسك المصلح باصلاح اجهزته التي لا يمكن ان تكون صالحة في يوم من الايام وحيث انه لم يتوصل في لحظة ما ، الى اصلاح أي منها ، دلالة رمزية واضحة على يأس المصلح وفشله في اصلاح الخراب الذي يهيمن على عالمه الانساني ، ولهذا لجا لمثل تلك التصورات الفلسفية ، لعلها توصله لعالم اخر لا يحتاج الى اصلاح ، عالم متكامل في ثوابته الانسانية العادلة .

على الرغم من ان العرض المسرحي جاء مُحمّلا بصبغة فنتازية واضحة على صعيد فكرة النص ودلالات العرض واستخداماته اللامالوفة في الكثير من توظيفاتها ، الا ان ذلك قاد الى تفعيل الانتظار بصورة مباشرة ، زيادة على الاعلان عن توجهات العرض الدينية وترميزاته الحوارية الى المهدي المنتظر على وفق المرجعية الدينية لدى الاثني عشرية وبصورة مباشرة .

٦ـ مسرحية (الجنة تفتح ابوبها متأخرة) ۞

ما الذي يمكن ان يفعله الاسير ، العائد تواً من أسره ، حين لا يجد الاستقبال الذي يليق به ؟ بل لا يجد سوى الخراب في بيته ، ولايجد سوى الخذلان والخيبة ، وفوق هذا وذاك ، ويصطدم بانكار زوجته له ، بانه ليس زوجها .

بهذه العودة اللامنتظره تبدأ المسرحية احداثها على شكل لوحات حوارية في النص ، عمل المخرج ، الى احداث التداخل بينها دون فرز لوحة عن اخرى الا بانتقال الممثل شعورياً من مشهد لآخر او من حالة لأخرى .

تحيلنا هذه العودة المفاجئة على صعيد فكرة الغائب الى عودة (أوذيس) في ملحمة الاوذيسة الى زوجته (بنلوب) الى مملكته البيئية حيث لا يوجد سوى الخراب

۞ ـ المسرحية من انتاج الفرقة القومية للتمثيل ، عرضت في اول عرض لها عام ٢٠٠٠ على مسرح الرشيد في بغداد ، وهي من تأليف فلاح شاكر ، واخراج محسن العلي ، وتمثيل : جواد الشكرجي ، وشذى سالم ، ورائد محسن .

ايضاً ، حينما رأى احتلال الخُطّاب (امراء الجزر) لبيته وهم يعيثون فيه فساداً فلا يجد امامه سوى ان يتخفى ليكشف الحقائق بنفسه .

الا ان الاسير في هذه المسرحية لم يعمد الى لعبة التخفي بل راح يجهر بعودته صارخاً بوجه هذا الخراب وواصفاً اياه بالخيانة ، ومتألماً بازاء هذا الاستقبال ، ومعبراً عن احساسه بالخذلان والخيبة ، باحثاً عن الحقائق الكامنة خلف هذا الخراب غير المتوقع ، وفوق هذا انكار زوجته له على انه ليس زوجها المنتظر .

لا يشير المؤلف في النص الى كلمة (الزوجة) بل يكتب(المرأة) ، هذه الاشارة جاءت موازية لانكار (المرأة) للأسير العائد بانه زوجها فبازاء اشارة المؤلف وانكار الزوجة ، يعتقد الاسير بان ما يجري امامه ليس سوى مزحة ..

" المرأة : بل انت لست زوجي

الاسير : الى هذا الحد غيرني الاسر . (مع نفسه)

المرأة : تسألني الى هذا الحد غيرني الاسر أنى لي ان اعرف وانا لم اشاهدك من قبل .

الاسير : (يصفق لها) يالها من قدرة اول ما تريننـي بعد الاسر تمزحين معي وتحاولين ان ... "[1]

التساؤل هنا : لماذا ترفضه المرأة ؟ ألأنه ليس زوجها فعلاً ؟ ام تختبر فيه ان يكون زوجها حقاً ؟ مثلما فعلت (بنلوب) في ملحمة الاوذيسة مع زوجها اوذيس العائد ، ام ان المرأة في هذه المسرحية ، فوجئت بالعودة لان اليأس والخيبة قد هيمنا عليها طويلاً ؟ محذّرة اياه بان لا يستغل انتظار ارملة ، شهيدة من اجل زوجها الغائب . وعلى الرغم من هذا الاحتدام النفسي لكلا الطرفين ، كان ينتظر ان يسمع منها كلمة (حبيبي) ، في الوقت الذي تنتظر هي ايضاً ان تسمع منها كلمة (حبيبة)... انتظار متبادل . الا ان الانتظار كان مسيطراً على الاسير الذي كان يحلم بان كل شيء الآن بانتظاره ، زوجته والاشياء الاخرى كالتمثال والمزهرية والاقلام والاوراق وكل شيء في مملكته البيتية .

كان لظهور الاسير من عمق المسرح له دلالته الواضحة في انه جاء من زمن ماض ، مملوء بذكريات الاسر والانتظار ، ليدخل الزمن الحاضر الذي هو زمن لقائه بزوجته ودخوله الى بيته ، وما بين الزمنين تتداخل عند الاسير حساباته الزمنية بين زمن ماض كانت له معاييره الذاتية والنفسية ، الى زمن حاضر بمعاييره الفيزيائية القياسية الى جانب المعايير النفسية نفسها ، وما حركته تجاه المرأة بشكل دائري عبر منحنيات مستمره الا تعبير منه للالتفاف حولها وهو مندهش لهذا الخراب ولهذا النكران له ولكل ماضيه الذي جاء منه على التو .

يتكرر نكران المرأة للاسير ، معلنة عن تمسكها بانتظارها لزوجها الغائب الذي لم يحضر بعد ، ولا يجد الاسير امامه الا ان يستذكر معها مواقف حياتية كانا قد عاشاها معاً . تتذكرها المرأة جيداً ، وتعيش حلاوة استذكارها هذا ، لكنها فجأة تنتبه ،

---

(١) - فلاح شاكر ، الجنة تفتح ابوابها متأخرة ، نص مطبوع – تصميم وطباعة : احمد حسن ، المؤلف يشير الى انه بدأ في كتابة هذه المسرحية عام ١٩٩٥ ، وانتهى منها في ١٩٩٨/٣/١٤ .

كمن افاق من غيبوبته لتصرخ "انت لست زوجي"[١] وتتكرر هذه الجملة في المسرحية كثيراً ، وبقصدية تامة ... لماذا ؟

يرى الباحث ، ان المرأة هنا ، وعلى الرغم من تيقنها ان هذا الاسير هو زوجها ولا احد سواه ، الا ان سنوات الانتظار الطويلة التي عاشتها ولّدت عندها متعة جديدة ، وهي متعة انتظار لا مألوفة ، فهي ـ على الرغم ايضاً من رغبتها في احساسها بمتع وملذات روحية وجسدية وحاجتها اليها ، من تلك التي استرجعتها ذاكرتها مع زوجها الاسير : متعة القبلة ، ومتعة السرير ، ومتعة ارتدائها ثوبها نفسه منذ لحظات الغياب وحتى لحظة قدومه - وجدت في متعة انتظارها التي تريده ان لا ينتهي ، متعة اسمى درجة وأرفع مقاماً عندها من المتع المتداولة ، الروحية منها والجسدية ، فهي والحالة هذه متمسكة بانتظارها الميتافيزيقي الذي وجدت فيه خلاصها الدائم والى الابد . وهذا هو ما دعاها الى النكران المفتعل لزوجها مع تحملها عذاباً مؤقتاً بازاء دهشة زوجها وانفعالاته النفسية والجسدية التي تقودها الى الحنو والعطف عليه لحظات ، لكن متعتها في انتظارها الميتافيزيقي فوق كل اعتبار ، لانها وجدت فيه خلاصها الدائم الذي لا تريد ان تفقده مهما كانت الخسائر والتضحيات .

ولكي تحافظ على انتظارها هذا وتتمسك به اكثر ، راحت تضع مسوغات لانكارها لزوجها ، ، فهي تقول مثلاً :

" المرأة : ساقول لك لماذا انت لست زوجي ، لست زوجي لانك تشبهه في كل شيء كان يجب ان يتغير فيك شيء ما ، اعني يتغير فيه ، اعددت نفسي على ان اجد فيه شيئاً مغايراً ، عدتَ كما كنت ... اريدك ليس كما كنت بل كما الاسر منهوكاً ممزقاً ، انفاسه لا تكاد تجمعه حتى امنح روحي فخر الانتظار ... فخر ان اعود بك للحياة كما كنت ... انك تؤذيني لانك عدت كما انت ... "[٢]

امام هذه المسوغات كلها ذات الاثر السلبي في الاسير ، لم يجد امامه سوى الكشف لها عن ادق اسرار العلاقة الزوجية لدرجة ان تقول له : " انت تعرف اكثر مما يعرفه زوجي ... "[٣] الا انها على الرغم من هذا تتكتم باصرار على حبها وتمسكها بانتظارها الميتافيزيقي من جراء اصرارها المستمر على طول خط المسرحية على اعلان نكرانها له ولكل ماضيهما السابق .

ادائياً كانت الممثلة لدور المرأة تحاول الفرز بين الحالتين : ان ترفضه وهي متأكدة انه زوجها ، وان تحافظ على انتظارها ذاك ، انها حالة نفسية مركبة تتطلب جهداً ادائياً مضاعفاً لتقمصها والفرز بين هذه وتلك في لحظات المواجهة مع الممثل ومع الجمهور ولكل مواجهة لها استجاباتها الخاصة والملائمة لها . مقابل هذا كان الممثل لدور الاسير يلاحق المرأة بالحركة المستمرة باحثاً عن لحظات مواجهة قدر ما يستطيع لعله يعثر على جواب لما يجري امامه من تصدي زوجته ونكرانها له .

---

(١) - فلاح شاكر : المصدر السابق نفسه ، ص٨.
(٢) - فلاح شاكر ، المصدر السابق نفسه ، ص ١١ .
(٣) - فلاح شاكر ، المصدر نفسه ، ص ١٠ .

الى جانب هذا ، نلحظ ان المخرج قد حافظ والحالة هذه على ايقاع متجانس جمع توتر الشخصيتين ، لكي لا يقع في فخ الملل والتكرار محاولاً التمسك بفاعلية الجمهور مع ما يجري من تصادم العواطف المركبة امامه شعورياً وعقلياً .

لقد ذهبت المرأة اكثر في تمسكها بانتظارها الميتافيزيقي حين راحت تبحث في العلامات المؤكِّدة لها ان هذا الاسير ليس زوجها مثل (ندبة فوق حاجبه) هي غير موجودة الان ، فتطلب منه مترجية ان يغادرها ... الا انه وبسبب هذا العنت والشرود كله الذي يلقاه من زوجته ، ظل محافظاً على شعوره كأسير تنتظره زوجته ، وينتظر هو ان يعود اليها ، هذا الشعور كان قد ولّد عنده محفزاً نفسياً وجسدياً على تحمل الصبر الى جانب اصراره على ثقته واطمئنانه المستكين على انه سيعود حتماً ليلتقي بها . اصراره كان في حركته الداخلية وفاعليته النفسية مع ايمان راسخ لما كان يطمئن اليه ، وفعلاً تحقق له ما اراد ، الا انه فوجئ بما لقي من اصرار لدى زوجته في رفضها له ولاستقباله فلم يجد امامه مهرباً سوى ان يسترجع الماضي بذاكرته ، ليستذكر عمه (المدرس يوسف) لانه شعر ، نتيجة لهذا التنكر ، انه لما يزل في حالة انتظار مستمرة ، فلكي يخفف من وطأة شعوره بألم الانتظار ويُبعد غياب زوجته عنه الذي ما زال قائماً ، لجأ الى استرجاع ذاكرته المتمثلة بمدرسه (الاستاذ يوسف) ليستذكر معه اياماً فيها الكثير من مواقف المحبة والالفة عبر حوارية شبيهة بالحلم ، وفجأة يفيق من حلمه باحثاً عن استاذه يوسف فتجيبه المرأة : " الاستاذ يوسف اختفى منذ زمن طويل " ، فتزيده هماً ومعاناة وصبراً وانتظاراً ، لدرجة ان يتصور نفسه وهماً كما الاخرون ، لذا يرجو العودة الى الاسر ثانية ، ولرجائه هذا عدة مسوغات منها :

ان الاسير كان ينتظر ان يعود من الاسر والحرب والجبهات الى بيته وزوجته ، لا الى حرب وجبهة اخرى واسر اخر يتمثل هذا الاسر والحرب في انكار زوجته له ، فضلاً عن ذلك اطلاعه على معاناة وجوع وتحول (استاذه العم يوسف) من حال لآخر ، من معلم الى حارس للمدرسة وغيرها من الآلام التي اعتقد الاسير بسبب كثرتها ، ان كل شيء حوله وهم حتى هو "وهم ايضاً ..."، ولهذا السبب يطلب العودة الى الاسر ثانية .

وبينما كانت تحاول المرأة ان تفصح عن مسوغات جديدة لتنكرها ، يدخل مجموعة من الاسرى كل واحد منهم يرى فيها زوجته ، لتصرخ المرأة في النهاية: "يا الهي ... من منكم زوجي "[1] وبهذا عمد المؤلف الى ترميز ثيمة المسرحية الانتظارية هذه حين جعل من المرأة هي الوطن الذي عاد الاسرى جميعهم اليه يطالبون باسترداده .

لان ثيمة الانتظار موجودة اصلاً في ثنايا المتن الحكائي للنص ، بل هي المهيمنة على احداث هذه المسرحية ، لذا لم يجد المخرج الا ان يتعامل معها كما هي ، على الرغم من محاولاته الواضحة كلها في العرض بابتعاده عن الواقعية في المنظر المسرحي وفي الانتقال من مشهد الى آخر وفي توزيعه لبقع الضوء وسط فضاء المسرح ، فلا نجد سوى عربة متحركة يستخدمها الممثلان استخدامات متعددة

(١) - فلاح شاكر ، المصدر السابق نفسه : ص٣١ .

على وفق دلالات متعددة هي الاخرى ، الى جانب اطار الباب الذي يدخل منه العم يوسف من خلال الماضي الى الحاضر وبالعكس . اما ازياء الممثلين جميعهم فقد حافظت على واقعيتها المحلية العراقية : (عباءة المرأة وثوبها ، وبدلة الخاكي لدى الاسير وبسطاله العسكري ، ودشداشة العم يوسف ويشماغه..) كما حافظ العرض على الاداء الواقعي في تقمص الممثلين لادوارهم وتجسيدهم لمجمل الحالات النفسية التي تمر بها الشخصية ، وصار العرض اكثر واقعية حين عمد الى اللهجة العامية في اكثر من مشهد لدغدغة المشاعر بروحية ذات نكهة محلية.

لقد اعلنت المسرحية بشكل واضح عن مرجعيتها الدينية ، وعن ايمان شخصياتها بكل ما هو غيبي ايماناً قاطعاً ، وما الاستغفارات المتكررة الا الدليل على ذلك فضلاً عن ، الدور الذي قامت به الزوجة في الحفاظ على صيانة عفتها وشرفها وسمعتها وصيانتها لمجمل السياقات الاجتماعية والاخلاقية والوطنية ، يؤكد انصياع الزوجة لاوامر الدين الالهية وبالتالي فهي تعكس بالتزامها هذا اثر الغياب فيها بشكل ايجابي .

اما الاحساس بالزمن فقد اختلف لدى كل شخصية في المسرحية فالمرأة قطعت اتصالها تماماً بالزمن الفيزيائي التقليدي لتتعلق بزمنها النفسي الخاص بها لتزيد من تلذذها بانتظارها الميتافيزيقي ، اما الاسير فكان يصارع الزمنين في آن واحد ، فهو من جانب يتعامل مع الزمن التقليدي الخارجي في حساباته لطول مدة اسره ومتى سيعود بعد كم يوم وكم شهر وكم سنة ... في الوقت الذي يعيش زمنه النفسي الداخلي في جملة يقولها لها صفة الشاعرية الا انها تعبر عن شعوره بازاء زمنه النفسي ، يقول فيها : "... وما ذنبي ان كانت الحرب تهدي الاطفال شوارب بيضاء ... كلنا عميان ، بلهاث القلب نهتدي الى بعضنا " [1] في حين ان حسابات الزمن والاحساس به عند (العم يوسف) قد تلاشت تماماً فهو الآن لا ينتظر أحداً ، سوى موته ، ففي ذلك خلاصه ، فبعد فقدانه لوليديه ، الأول أخذته الحرب ، والثاني سرقه المرض ، الى جانب شدة الفاقة والعوز وغياب القيم والاخلاق وتفشي استغلال الناس بعضهم لبعض ، وهذه المسوغات كلها وغيرها ، جعلت العم يوسف لا ينتظر سوى مغادرة هذا العالم المملوء بالاثم والعدوان .

لجأت الشخصيات كثيراً الى استرجاع ذاكرتها لتخفيف وطأة الانتظار والشعور به ، عليها ، متأملة خلال هذا الاسترجاع العودة الى ما تأمل به كل شخصية في تحقق مرادها ، ولكن لا مناص ، فالذي يتحقق كان لابد منه دائماً .

مارس الانتظار قسوته على شخصيات المسرحية جميعها الا ان هذه القسوة برزت أكثر لدى الأسير في قسوة الانتظار عليه ، لدرجة ان هذا الانتظار قد ضيعه في النهاية ، فلا هو قابض على بيته وزوجته ، ولا هو بإمكانه العودة أسيراً ، ولا وجود لأعز ناسه وأصدقائه ، كل ما يراه خذلان وخيبة ، فظل حيث لا انتظار ولا عودة ، سوى الضياع والتعامل بحيرة مع كل شيء حوله .

---

(١) فلاح شاكر ، المصدر نفسه ، ص٦ .

كان لغياب الاسير عن زوجته طيلة هذه السنوات اثره المباشر في الزوجة ، فبعد ان كان هذا الاثر ضرراً عليها ، تحول الى فائدة حين حصلت على متعة انتظار جديدة .

لقد هيمنت ثيمة الانتظار في هذه المسرحية بوصفها الثيمة الفلسفية على النص والعرض على حد سواء ، وعلى الرغم من محاولات المخرج كلها في اعطاء تفسيرات ودلالات اخرى خلال بنية العرض الا ان بنية النص ظلت في ثيمتها الانتظارية هي المتسيدة على هذا الخطاب .

النتائـــج :-

استناداً الى ما تقدم من تحليل العينات ، توصل الباحث الى جملة من النتائج ، علاوة على ما جاء به الاطار النظري وهي معروضة على الوجه الاتي :

فيما يتعلق بالهدف الاول (كيفية تعامل الكاتب والمخرج المسرحي العراقي مع دلالات ظاهرة الانتظار) فقد اسفر البحث عما ياتي :

نظراً للجذر التاريخي الممتد لظاهرة الانتظار فقد اقترب منها الكاتب والمخرج المسرحي العراقي مستنداً في اقترابه هذا ، الى مرجعية معرفية كامنة في معتقداته الدينية (المسيحية او الاسلامية خاصة) ، عبر موروثات جمعية متأصلة ومنقولة من المكتسبات البيئية والتربوية المحلية ذاتها ، ومتأثراً بها . زيادة على ذلك ، تصاعد الرغبة الانسانية في التعرف والاكتشاف لكل ما هو قادم ومنتظر ، بهدف الامساك بتلابيبه والسعي نحوه ، من منطلق ان القادم الجديد يكون هو الافضل دائماً .

ولان ردة الفعل الانسانية هي واحدة تجاه تعرض الانسان للظلم ، او في حالة شعوره بغياب هذا القادم الجديد ، فان الملل والاحباط حينها يحل وتصبح الحياة لا معنى لها .

الى جانب ان تغلغل الايمان وهيمنته على العقل والوجدان ، يؤدي بالضرورة الى التعامل مع الغيبيات ، التي يعد المنقذ المنتظر واحداً منها ، بوصفها - أي الغيبيات – وعداً الهياً لا مناص من تحقيه ايفاء للوعد لان الله لا يخلف الميعاد .

في عرض مسرحية (في انتظار غودو) عينة رقم (١) ، عمد المخرج الى الكشف عن صورة حياتية معاصرة اسقط من خلالها توجهاته السياسية وموقفه الفكري تجاه ما يعانيه الانسان من قهر واستلاب لحريته وشعوره الدائم بالظلم وعدم توفر الامان والطمأنينة ، فهو حين استخدم الانسان الآلي ، ولعبة الجودو ، زيادة على دخول مجموعة افراد من المنتظرين المشردين في المشهد الاخير ، ممن طالبوا باسترداد حقوقهم التي همشها الاستبداد وعدم المساواة الاجتماعية ، لتتحول الظاهرة الى طابع جماعي ، انما اراد المخرج من خلال ذلك كله الافصاح عن كيفية تعامله مع ظاهرة الانتظار الفلسفية المتجذرة والتشديد على رسوخها الديني والفلسفي النفسي لكل زمان ومكان .

كما تجدر الاشارة وفي العينة نفسها ، الى وجود الصبي وحضوره المتكرر في المسرحية لينبه الجميع على وجود عالمين مختلفين في كل شيء ، عالم سيده غودو ، وعالم الشخصيات التي تنتظر غودو ، وما الاشارات التناصية التي اشار لها الباحث ، بينما ذكره صموئيل بيكت عن مواصفات منقذه المسيح المنتظر ، وتقاربها المباشر مع المواصفات التي تذكرها المصادر الاسلامية عن المهدي المنتظر ، الا دليل على اتفاق الاديان على ظروف ومواصفات واحدة ولشخص واحد هو منقذ البشرية ولكن الاختلاف في اسمه وظروف حياتية جزئية اخرى .

اما في عرض مسرحية (ترنيمة الكرسي الهزاز) عينة رقم (٢) ، فقد تم الاستناد الى الموروث الجمعي الديني لدى المُشاهد ، علاوة على اطلاق فكرة العرض الرئيسة ليترك تأويلها للمُشاهد على وفق الرموز والاشارات الدالة عليه ،

ويمكن تلمس الامر نفسه مع عرض مسرحية (في انتظار كوزان) عينة رقم (٥) ايضاً .

لقد حرص العرض على التعامل مع الزمن تعاملاً فلسفياً ، وخاصة حينما عمد الى الغاء الزمن الفيزيائي ، مبقياً على الزمن النفسي ، بوصفه المقياس الاساس التي تتحرك الشخصيات بموجبه ، زيادة على ملاءمته وفكرة العرض الانتظارية ، والحال نفسه مع مسرحية (في انتظار كوزان) ايضاً .

وفي المجال ذاته ، عملت المسرحية الى تشظية الانتظار ما بين انتظار ماضٍ ومحاولة استعادته ، وانتظار مستقبل لا جذور له اصلاً لانه قائم على الوهم.

ومن الناحية النفسية كان للشعور بالوحدة والعزلة الدائمتين اثره الفاعل في توسيع مديات الانتظار النفسية والميتافيزيقية ، الامر الذي حدا بالشخصيات الى اللجوء الى الوهم ، لعله يخفف ذلك الاثر النفسي ولو لمدة مؤقتة .

هذا الى جانب افادة العرض من مفهوم الزمن الدائري والحرص على توظيفه في تنقلات المواقف الدرامية من حال الى آخر معاكس ومن ثم العودة الى الحالة الاولى .

وتميز عرض مسرحية (مرحباً ايتها الطمأنينة) عينة رقم (٣) ، بكونه من العروض المسرحية (المونو دراما) والمعروفة بطبيعة بطلها الرئيس وشعوره الدائم بالوحدة والعزلة اللتين تمنحان الانتظار خصوصية درامية فاعلة حين تكشف عن خطوط صراعها الداخلي والخارجي .

ارتبط الانتظار هنا بالطمأنينة الفردية ، التي بحثت عنها شخصية العرض الرئيسة ، طيلة احداث المسرحية . وكان لعملية استرجاع الذاكرة في هذا العرض خصوصية واضحة حينما منحت حرية الذاكرة لتستحضر الماضي دون محاذير من شأنها تحديد ذلك الاستحضار ، مفيدة في ذلك من تحولات احساس الشخصية بالزمن على طول خط احداث المسرحية ، مثلما الحال نفسه مع تحولات الانتظار في هذه المسرحية ، حينما استعان المؤلف بالصدفة وتوظيفها بحسب مقتظيات الموقف الدرامي لها ، وتحولاتها من صدفة منتظَرة الى اخرى غير منتظَرة .

اما التصورات الفلسفية في تأسيس العالم المثالي الاصلح ، فقد برزت في عرض مسرحية (في انتظار كوزان) عينة رقم (٥) ، وتحديداً لدى شخصية (المُصلّح) بابعادها وتأويلاتها كلها ، وما لجوء العرض الى (الحلم والاسطورة والخيال) الا مثال دال على ما ذهب اليه الباحث .

ويمكن عد الانتظار موضوعة رئيسة متغلغلة بين ثنايا الصراع في المسرحيات التي تدرج في قائمة (مسرح الحرب) ، كما هو واضح هنا في عرض مسرحية (في انتظار عودة الابناء الذين لن يعودوا الى الوطن ثانية) عينة رقم (٤) ، وفي عرض مسرحية (الجنة تفتح ابوابها متأخراً) عينة رقم (٦) . وفي هذه الاخيرة كان (الانتظار الميتافيزيقي) هو المهيمن على شخصية (المرأة) الى نهاية احداث المسرحية وهذه ميزة تفردت بها هذه العينة عن سائر العينات الاخر .

اما المفردات الدالة على الانتظار والمستخدمة في عينات البحث ، فمنها ما تكرر في اكثر من عينة لثبوت دلالته الواحدة ، ومنها ما اخذ صفة الخصوصية باستخدام تلك المفردة ودلالتها .

فكانت المفردات مثل : الساعة / الباب / الشباك / الهاتف / الرسالة / الصورة .. هي مفردات ثابتة في دلالاتها ولم تكن بحاجة الى تأويلات اخرى . ولكن ما يجب الاشارة اليه في هذا الصدد ان كل عينة من عينات هذا البحث ، توحدت مع مفردة رئيسة في العرض اتخذت مساحة تأويلية ملائمة واحداث المسرحية .. والمفردات مرتبة في الجدول الاتي :

عينة رقم (١)	جذوع اشجار ميتة + سلالم
عينة رقم (٢)	الكرسي الهزاز
عينة رقم (٣)	مرآة كبيرة
عينة رقم (٤)	اشلاء طائرة محطمة
عينة رقم (٥)	اجهزة قديمة خربة
عينة رقم (٦)	سرير متحرك

اما فيما يخص النتائج التي توصل اليها الباحث والمتعلقة بالهدف الثاني (اسباب تناول الانتظار في المسرحيات العراقية) فقد اسفر البحث عما يأتي :

- توظيف المرجعية الدينية واستثمارها مسرحياً بوصفها – وفي واحدة من موراثاتها – معتقداً خلاصياً معبراً عن حاجة انسانية دائمة تحاول الارتقاء الى محطات حياتية آمنة وعادلة .
- تأثر الكاتب والمخرج المسرحي العراقي بالاثر الابداعي والشهرة الحائز عليها ذلك الاثر ، ومحاولة تفعيله محلياً على وفق الاهداف والتوجهات الفكرية المراد الوصول اليها .
- كان للاحباط النفسي والفكري الذي يمر به الكاتب والمخرج المسرحي العرقي ، اثره المباشر في اللجوء الى استثمار الانتظار بوصفه وسيلة مباشرة لمقترح خلاصي من ذلك الاحباط – فنياً في الحد الادنى – ولو بصورة مؤقتة .
- التعامل مع المستقبل بغيبياته ومجاهيله كلها ، يعد فضولاً معرفياً يحفز الانسان لسبر غور المجهول ومحاولة الكشف عن مغاليقه .

- محاولة المؤلف والمخرج المسرحي العراقي في ايجاد بيئة مفترضة تكون بديلاً عن بيئة الواقع بوصف ذلك خلاصاً مستنداً الى طروحات دينية وفلسفية .
- تنشيط الوعي وتحفيزه باستمرار على انتظار دائم لمنقذ منتظر يكون هو المثال والنموذج الاعلى التي تطمح اليه البشرية .

الاستنتاجات :-

١- يعد الانتظار سمة مشتركة بين البشر جميعهم .
٢- تتفاوت درجات ايمان كل مجتمع بشري بالانتظار ، بحسب المكونات الفكرية لدى افراده وموقفهم الديني .
٣- تكتسب ظاهرة الانتظار درجة من الخصوصية تكمن بانفتاحها الجدلي والتحليلي على الاطراف كافة .
٤- يشكل الانتظار ضرورة كونية وحتمية تاريخية مرتبطة بوعد الهي ، من شأنه النهوض بالحياة نحو التكامل الاعلى في الوجود .
٥- يؤدي الانتظار اثره الايجابي في التمسك بالمطلق بوصفه الهدف الامثل .
٦- ايمان جل للتصورات الفلسفية بعالم مثالي ، ماهو الا نتاج ايمان الفلاسفة بوجود افراد في غاية الصلاح .
٧- الانتظار حاجة انسانية دائمة تحت أي ظرف يمر به الانسان .
٨- يتكرر تعامل الكاتب او المخرج المسرحي مع ظاهرة الانتظار اكثر من مرة ، مثلما حصل مع الكاتب (فاروق محمد) والكاتب (جليل القيسي) .
٩- على الرغم من ان الانتظار يشكل الثيمة الفلسفية الموجودة في النص الاصل) الا ان المخرج بتعامله مع هذه الثيمة انما يعمل على توسيع مدياتها الفكرية والتأويلية .

التوصيات :-

١- يوصي الباحث باستحداث مادة قريبة من تاريخ الاديان في مناهج الاقسام الفنية عامة والمسرحية خاصة في كلية الفنون الجميلة والتربية الفنية ، من شأن هذه المادة توعية الطالب دينياً والاطلاع على الفروقات الجوهرية بين الاديان بغية الافادة منها في منجزه الابداعي . وان اقرب مادة تدرس هي مادة تاريخ المسرح ، بالامكان الافادة منها في هذا المجال .
٢- تضمين مادة (علم الجمال) المعمول بها حالياً ، جل التصورات الفلسفية لعدد مختار من الفلاسفة ومدنهم المثالية . وذلك للتحليق بتصوراتهم الابداعية في ضوء مرجعية فلسفية قائمة تطمح الى المجتمع البشري الاسمى دائماً .
٣- ضرورة اصدار مطبوعات ثقافية مستمرة ، من شأنها دراسة كيفية توضيف المفاهيم الدينية والفلسفية والنفسية في المنجز الفني الابداعي ، وذلك لدعم الحركة الفنية في القطر .

٤- ضرورة تعامل المؤسسات الفنية المسرحية خاصة مع المؤسسات الدينية او الفلسفية او النفسية ، بهدف انجاز مشاريع فنية (مسرحية) مشتركة تعمل على ترصين المعرفة والثقافة خدمة للعلم والفن بصورة عامة .

المقترحات :-

بهدف تحقيق الفائدة العلمية ، يقترح الباحث اجراء البحوث الاتية :-

١- الانتظار في المعتقدات الدينية العراقية القديمة .
٢- الانتظار في المسرح العربي .
٣- مفهوم المخلص المنقذ في مسرحيات الاطفال .
٤- الانتظار في الملاحم اليونانية والبابلية – دراسة مقارنة .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

العهد القديم – التوراة

العهد الجديد – الأناجيل

أولاً – المعاجم والقواميس :-

١. **(لسان العرب)** – ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم الانصاري ، طبعة مصورة عن طبعة بولاق ، المؤسسة المصرية العامة ، الدار المصرية للتأليف ، ب ت .

٢. **(موسوعة لالاند الفلسفية)** – اندريه لالاند ، م٣ ، تعريب : خليل احمد خليل ، منشورات عويدات ، بيروت ، باريس ، ط١ ، ١٩٩٦م.

٣. **(المعجم الفلسفي)** – ابراهيم مدكور ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية ، القاهرة ، ١٩٧٤م .

٤. **(موسوعة علم الاجتماع)** – احسان محمد الحسن ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٩٩٩م .

٥. **(الموسوعة الفلسفية)** – م. روزنتال ، ي يودين ، تر : سمير كرم ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٧٤م .

٦. **(القاموس المحيط)** - ، ج٤ ، ، ،

٧. **(معجم مصطلحات التحليل النفسي)**– جان لابلانش وبونتاليس ، تر : مصطفى حجازي ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٧م .

٨. **(معجم احاديث المهدى)** – علي الكوراني ، مؤسسة المعارف الاسلامية ، قم ، مطبعة بهمن ، ط١ ، ١٤١١هـ .

٩. **(الموسوعة المسرحية)** – جون رسل تيلر ، ج١ ، دائرة الاعلام ، المأمون ، بغداد ، ١٩٩٠م .

ثانياً – الكتب :-

١٠. **ابراهيم ، ريكان ،** ، علم النفس والتاريخ ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٨م .

١١. **ابراهيم ، زكريا ،** ، برجسون ، سلسلة نوابغ الفكر الغربي ، دائرة المعارف ، القاهرة ، ب ت .

١٢. **ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد** ، مقدمة ابن خلدون ، دار القلم ، بيروت – لبنان ، ط٤ ، ١٩٨١م .

١٣. **ابن رشد ، ابو الوليد ابن احمد** ، السماع الطبيعي ، مطبعة دار المعارف العثمانية ، حيدر اباد ، ط١ ، ١٩٤٧م .

١٤. **ابن سينا ، الحسين بن علي** ، الاشارات والتنبيهات ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٧م .

١٥. **احمد ، فوزي فهمي** ، عودة الغائب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٧م .

١٦. **الاحمدي ، غازي** ، الوجودية ، مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦٠م .

١٧. **ارسطو طاليس** ، علم الطبيعة ، تعليق : بارتلي سانتهلير ، تر : احمد لطفي السيد ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٣٥م .

١٨. **افلاطون** ، طيماوس واكريتس ، تحقيق وتقديم : البيرايقو ، تر : فؤاد جرجي بربارة ، وزارة الثقافة والسياحة ، ب ت.

١٩. **اقلاديوس ، انيس فهمي** ، السينما والمسرح وامراض النفس ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٨٢م .

٢٠. **امين ، بديعة** ، في المعنى والرؤيا ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٩م .

٢١. **الاهواني ، احمد فؤاد** ، الفلسفة الاسلامية ، دار القلم ، القاهرة ، ١٩٦٢ .

٢٢. **اوديتس ، كليفورد** ، في انتظار اليسار ، تر : محمد انعم غالب ، الدار القومية للطباعة ، سلسلة مسرحيات عالمية ، العدد ٣١ ، ١٩٦٦م .

٢٣. **الاوسي ، سلام كاظم** ، الزمن في شعر الرواد ، دار الحرية ، بغداد ، ١٩م

٢٤. **ايكو ، امبرتو** ، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية ، ترجمة وتقديم : سعيد بنكراد ، المركز الثقافي العربي ،ط١ ، ٢٠٠٢ م

٢٥. **ايسخولوس** ، مسرحيات ايخولوس ، تر : امين سلامة ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٩م .

٢٦. **باومان ،باربارا وبريجيتا اوبرله** ، عصور الادب الالماني ، تر : هبة شريف ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، العدد ٢٧٨ ، ٢٠٠٢م .

٢٧. **بحراوي ، حسن** ، بنية الشكل الروائي ، الفضاء – الزمن – الشخصية ، المركز الثقافي العربي ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٩٩٠م .

٢٨. **برتشارد ، ايفنز** ، الاناسة والمجتمعية ، تر : حسن قبيسي ، دار الحداثة ، لبنان – بيروت ، ط١ ، ١٩٨٦م .

٢٩. **برجسون ، هنري** ، منبعا الاخلاق والدين ، تر : سامي الدروبي وعبد الله الدايم ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧١م .

٣٠. **برديائيف ، نيقولاي** ، العزلة والمجتمع ، تر : فؤاد كامل ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٨٥م .

٣١. **بركات ، حليم** ، المجتمع العربي في القرن العشرين ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٠م .

٣٢. **برناردشو ، جورج** ، الانسان والسوبرمان ، تر : محمد فكري انور ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٤م .

٣٣. **بن عربي ، محي الدين** ، الفتوحات المكية ، ج٢ ، ،

٣٤. **برهييه ، اميل** ، تاريخ الفلسفة ، الفلسفة اليونانية ، تر : جورج طرابيشي ، دار الطليعة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٢م .

٣٥. **ـ ، ـ** ، الفلسفة الهلنستية والرومانية ، ج٢ ، تر : جورج طرابيشي ، دار الطليعة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٢ م.

٣٦. **ـ ، ـ** ، القرن الثامن عشر ، ج٥ ، تر : جورج طرابيشي ، دار الطليعة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٢م .

٣٧. **ـ ، ـ** ، العصر الوسيط والنهضة ، ج٣ ، تر : جورج طرابيشي ، دار الطليعة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٢م .

٣٨. **بهيّ ، عصام** ، الشخصية الشريرة في الادب المسرحي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سلسلة دراسات ادبية ، ١٩٨٦م .

٣٩. **بروب ، فلاديمير** ، مورفولوجية الخرافة ، تر : ابراهيم الخطيب ، الشركة المغربية للناشرين المتحدين ، ط١ ، ١٩٨٦م .

٤٠. **بريستلي ، ج.ب** ، كنت هنا من قبل ، تر : زينب شيرازي ، سلسلة المسرح العالمي ، الكويت ، العدد ٢٤٣ ، ١٩٨٩م .

٤١. **بريل ، ليفي** ، العقلية البدائية ، تر : محمد القصاص ، مراجعة : حسن الساعاتي ، مكتبة مصر ، ب ت .

٤٢. **التبريزي** ، مشكاة المصابيح ، تحقيق محمد ناصر الالباني ، ج٣ ، ،

٤٣. **التبريزي ، ابو طالب التجليل** ، من هو المهدي ؟ ، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ، ط٣ ، ١٤١٧هـ .

٤٤. **توفيق ، سعيد محمد** ، ميتافيزيقيا الفن عند شوبنهاور ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٩٨٣م .

٤٥. **ثامر ، فاضل** ، الصوت الاخر – الجوهر الحواري للخطاب الادبي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٩٢ .

٤٦. **ثروت ، يوسف عبد المسيح** ، الطريق والحدود ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٧م .

٤٧. **الجابري ، محمد عايد** ، بنية العقل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٩٨٧م .

٤٨. **الجوهري ، محمد الجوهري حمد** ، العولمة والثقافة الاسلامية ، دار الامين للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٢ م.

٤٩. **حاوي ، ايليا** ، الفن والحياة والمسرح ، نظريات واراء ، دار الثقافة ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٩٨٥م .

٥٠. **حسين ، محمد عبد الله** ، ظاهرة الانتظار في المسرح النثري في مصر حتى عام ١٩٧٣ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٨م.

٥١. **الحسيني ، السيد هاشم** ، حياة الخضر عرض ودراسة ، منشورات مؤسسة الايمان للمطبوعات ، ط١ ، ٢٠٠١م .

٥٢. **حوامده ، موسى** ، تزدادين سماء وبساتين ، عمان ، دار الفارس ، ط١ ، ١٩٩٩م .

٥٣. **الخميني ، روح الله** ، الحكومة الاسلامية – ولاية الفقيه ، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الامام الخميني ، ط٢ ، ٢٠٠٢م .

٥٤. **خورشيد ، فاروق** ، اديب الاسطورة عند العرب ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، العدد ٢٨٤ ، ٢٠٠٢م .

٥٥. **دافيدوف ، لندا . ل** ، مدخل الى علم النفس ، تر : سيد الطواب ، ومحمود عمر ، وبخيت خزام ، دار ماكجروهيل للنشر ، ط٤ ، ١٩٨٣م .

٥٦. **الدراجي ، محمد عباس** ، القصائد الخالدات في حب اهل البيت ، نشر وتوزيع مكتبة الامير ، بغداد ، ١٩٨٩م.

٥٧. **الدباغ ، تقي** ، الفكر الديني القديم ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط١ ، ١٩٩٤م .

٥٨. **دراز ، محمد عبد الله** ، الدين – بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الاديان ، دار القلم ، الكويت ، ط٢ ، ١٩٧٠م .

٥٩. **درويش ، محمود** ، سرير الغريبة ،عمان – الاردن ، ٢٠٠٠م.

٦٠. **الدميري ، الشيخ كمال الدين** ، حياة الحيوان الكبرى ، ج٢ ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة ، ١٣٧٨هـ – ١٩٥٨م .

٦١. **ديورانت ، ول** ، قصة الحضارة ، تر : محمد بدران ، مج٢ ، ج١ ، ط٢ ، القاهرة ، ب ت .

٦٢. **راجح ، احمد عزت** ، اصول علم النفس ، المكتب المعدي الحديث ، ط١٠ ، ١٩٧٦م .

٦٣. **راسين ، جان** ، مسرحيات راسين ، دار المعارف بمصر ، مج١ ، ١٩٦٨ .

٦٤. **روسين ، كارول** ، المسرح في طريق مسدود ، الدراما المعاصرة ومؤسسات تقييد الحرية ، تر : محمد لطفي نوفل ، وزارة الثقافة ، مهرجان القاهرة الدولي للمسرح التجريبي ١٢ .

٦٥. **زيعور ، علي** ، الفلسفات الهندية – قطاعاتها الهندوكية والاسلامية والاصلاحية ، دار الاندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٩٨٠م .

٦٦. **سعيد ، علي احمد** ، الثابت والمتحول ، ج١ ، الاصول ، دار العودة ، بيروت ، ط٤ ، ١٩٨٣م .

٦٧. **سكوت ، ناثان** ، بيكت ، تر : مجاهد عبد المنعم ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط٢ ، ١٩٨٥م .

٦٨. **السواح ، فراس** ، دين الانسان – بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني ، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة ، ط٣ ، ١٩٩٨م .

٦٩. **ـــ ، ـــ** ، لغز عشتار – الالوهة المؤنثة واصل الدين والاسطورة ، سومر للدراسات والنشر والتوزيع ، قبرص ، نيقوسيا ، ط٢ ، ١٩٨٦م .

٧٠. **ـــ ، ـــ** ، الرحمن والشيطان – الثنوية الكونية ولاهوت التاريخ في الديانات المشرقية ، منشورات دار علاء الدين ، دمشق ، ط١ ، ٢٠٠٠م .

٧١. **ـــ ، ـــ** ، مغامرة العقل الاولى ، دراسة في الاسطورة سوريا وبلاد الرافدين ، دار الكلمة ، بيروت – لبنان ، ط٤ ، ١٩٨٥م .

٧٢. **سوسة ، احمد** ، ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط٢ ، ٢٠٠١م .

٧٣. **سويرتي ، محمد** ، النقد البنيوي والنص الروائي ، مطبعة افريقيا الشرق ، ١٩٩١م .

٧٤. **شتراوس ، كلودليفي** ، مقالات في الاناسة ، تر : حسن قبيسي ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٩٨٣م .

٧٥. **ـــ ، ـــ** ، الفكر البري ، نقلة الى العربية وعلق عليه : نظير جاهل ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، ١٩٨٤م .

٧٦. **الشيخ الصدوق** ، علل الشرائع ، ط النجف ، ١٣٨٣هـ .

٧٧. **الصدر ، محمد** ، تاريخ الغيبة الكبرى – الكتاب الثاني من موسوعة الامام المهدي ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت – لبنان ، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م .

٧٨. **ـــ ، ـــ** ، اليوم الموعود بين الفكر المادي والديني ، الكتاب الرابع من الموسوعة ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت – لبنان ، ١٩٩٢ .

٧٩. **الصدر ، محمد باقر** ، المهدي المنتظر في الفكر الاسلامي ، مركز الرسالة ، ١٤١٧هـ .

٨٠. **صدقي ، عبد الرحمن** ، المسرح في العصور الوسطى ، الهيئة العامة للتأليف والنشر ، دار الكاتب العربي ، ١٩٦٩م .

٨١. **الصديقي ، عبد اللطيف** ، الزمان ابعاده وبنيته ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٥م .

٨٢. **الطعمة ، صالح جواد** ، بيلوغرافيا الادب العربي المسرحي الحديث – ١٩٤٥-١٩٦٥م ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٦٩م .

٨٣. **عبد الخالق ، احمد محمد** ، قلق الموت ، سلسلة عالم المعرفة الكويت ، العدد ١١١ ، ١٩٨٧ م.

٨٤. **عتمان ، احمد** ، الشعر الاغريقي تراثاً انسانياً وعالمياً ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، العدد ٧٧ ، ١٩٨٤ م

٨٥. **العراقي ، محمد عاطف** ، ثورة العقل في الفلسفة العربية ، دار المعارف بمصر ، ط٣ ، ١٩٧٦ م

٨٦. **عصمت ، رياض** ، هل كان العشاء دسماً ايتها الاخت الطيبة ، دار المسيرة ، لبنان ، ط٢ ، ١٩٧٩ م

٨٧. **ـــ ، ـــ** ، البطل التراجيدي في المسرح العالمي ، دار الطليعة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٠ م

٨٨. **العظم ، صادق جلال** ، نقد الفكر الديني ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٧٠م

٨٩. **علي ، جواد** ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج٦ ، دار العلم للملايين ، ط١ ، ١٩٧٠ م

٩٠. **عوض ، رمسيس** ، الالحاد في الغرب ، سينا للنشر ، القاهرة ، الانتشار العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧م

٩١. **عوض ، ريتا** ، اسطورة الموت والانبعاث في الشعر العربي الحديث ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٨ م

٩٢. **الغزالي ، ابو حامد محمد** ، احياء علوم الدين ، ج١ ، طبعة دار الشعب ، ب ت

٩٣. **الفارابي ، ابو نصر** ، آراء اهل المدينة الفاضلة ، مكتبة الحسين التجارية ، القاهرة ، ١٩٤٨م .

٩٤. **الفقير ، حمزة** ، ثلاثة ينتظرهم العالم – المهدي المنتظر – المسيح الدجال – المسيح (ع) ، دار الاسراء للنشر والتوزيع ، عمان ، ط١ ، ١٩٩٥م .

٩٥. **فهيم ، حسين** ، قصة الانثرو بولوجيا ، فصول في تاريخ علم الانسان ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، العدد ٩٨ ، ١٩٨٦م

٩٦. **فوكو ، ميشيل**

٩٧. **القيسي ، جليل** ، وداعاً ايها الشعراء – سبع مسرحيات من فصل واحد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٨م .

٩٨. **ـــ ، ـــ** ، مسرحيات ، وزارة الثقافة والاعلام ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ،١٩٧٩م.

٩٩. **الكاظمي ، السيد مصطفى آل السيد حيدر** ، بشارة الاسلام في ظهور صاحب الزمان ، منشورات المطبعة الحيدرية ، النجف الاشرف ، ط٥ ، ١٩٦٣م

١٠٠. **كانت ، عمانوئيل** ، نقد العقل المحض ، تر : موسى وهبة ، مركز الانماء القومي ، بيروت ، ب ت

١٠١. **كرم ، يوسف** ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ط٥ ، ١٩٦٦ م

١٠٢. **كريسون ، أندريه** ، برغسون حياته فلسفته ، تر : بنيه صقر ، منشورات عويدات ، بيروت ، ط١ ، ١٩٦٢ م

١٠٣. **الكوراني ، علي** ، عصر الظهور ، مكتبة الالفين ، الكويت ط٢ ، ١٩٨٩م .

١٠٤. **كوربان ، هنري** ، تاريخ الفلسفة الاسلامية منذ الينابيع حتى وفاة ابن رشد ١١٩٨ م ، منشورات عويدات ، بيروت – لبنان ، ب ت .

١٠٥. **لورانس ، اوليفر** ، مثلث برمودا بين الحقيقة والخيال ، تر : تركي ابراهيم ، دار اسامة للنشر ، عمان – الاردن ، ط١ ، ١٩٩٨م .

١٠٦. **لينغ ، ديترتسمر** ، النهايات – الهوس القيامي الالفي ، تر : ميشيل كيلو ، قدمس للنشر والتوزيع ، سوريا – دمشق ، ط١ ، ١٩٩٩م .

١٠٧. **مبروك ، مراد عبد الرحمن** ، بناء الزمن في الرواية المعاصرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٨ م.

١٠٨. **المجلسي ، محمد باقر بن محمد تقي** ، بحار الانوار ، م ١٣ ، ج ٥١ ، المكتبة الاسلامية ، طهران ، ١٣٦٦هـ .

١٠٩. **محمد ، علي عبد المعطي** ، قضايا الفلسفة العامة ومباحثها ، دار المعرفة الجامعية في الاسكندرية ، ١٩٨٣م .

١١٠. **محمد قاسم ، محمد** ، مدخل الى الفلسفة ، دار النهضة العربية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠٠١م .

١١١. **المرزوقي ، سمير ، وجميل شاكر** ، مدخل الى نظرية القصة تحليلاً وتطبيقاً ، دار الشؤون الثقافية ، آفاق عربية ، بغداد ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٦ م .

١١٢. **مظهر ، سليمان** قصة الديانات ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٩٨م .

١١٣. **المعري ، ابو العلاء** ، لزوم ما يلزم – اللزوميات ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٩م .

١١٤. **مغنية ، محمد جواد** ، المهدي المنتظر والعقل ، دار العلم للملايين ، ب ت

١١٥. **مقار ، شفيق** ، دراسات في الادب الاوربي المعاصر ، مطبعة الاديب البغدادية ، ١٩٧٢ م .

١١٦. **مونتاغيو ، أشلي** ، البدائية ، تر : محمد عصفور ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، العدد ٥٣ ، ١٩٨٢م .

١١٧. **مندلاو ، أ . أ** ، الزمن والرواية ، تر : بكر عباس ، دار صادر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧م .

١١٨. **مهدي ، فالح** ، البحث عن مُنقذ ، دار ابن رشد للطباعة والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨١ م

١١٩. **الموسوي ، موسى** ، فلاسفة اوربيون من ديكارت الى برجسون ، دار المسيرة ، ط١ ، ١٩٨٠م .

١٢٠. **ميرهوف ، هانز** ، الزمن في الادب ، تر : اسعد مرزوق ، مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ، ١٩٧٢ م .

١٢١. **النجار ، ناجي** ، الجزيرة الخضراء وقضية مثلث برمودا ، دار البلاغة ، بيروت – لبنان ، ط٣ ، ١٩٩٩م .

١٢٢. **نجار ، وليد** ، قضايا السرد عند نجيب محفوظ ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٨٥ م .

١٢٣. **الهاشمي ، محمد جمال** ، مشكلة الامام الغائب وحلها ، مطبعة النجف ، النجف ، ١٩٥٨ م .

١٢٤. **هوميروس** ، الاوذيسة ، تر ، عنبرة سلامة الخالدي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٠ م .

١٢٥. **هيدجر ، مارتن** ، الوجود والزمان ،

١٢٦. **هيرلاندز ، ليليان ، وآخرون** ، دليل القارئ الى الادب العالمي ، تر : محمد الجورا ، دار الحقائق ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٩٨٦م .

١٢٧. **الوردي ، علي** ، خوارق اللا شعور ، مكتب الوراق للنشر ، لندن ، ب ت

١٢٨. **ولسون ، كولن** ، موسوعة الالغاز المستعصية ، تر : مالك فاضل البديري ، الاهلية للنشر والتوزيع ، عمان – الاردن ، ط١ ، ١٩٩٤ م .

١٢٩. **ولورث ، جورج** ، مسرح الاحتجاج والتناقض ، المركز العربي للثقافة والعلوم ، بيروت – لنبان ، ١٩٧٩م .

١٣٠. **اليازجي ، كمال** ، النصوص الفلسفية الميسرة من تراث العرب الفكري ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٦٣ م .

ثالثاً – الدوريات :-

١٣١. ابراهيم ، حمادة ، (اتصال الموضوعات وتواصل الشخوص)، مجلة الاقلام العراقية ، العدد ٨ ، ١٩٩٠م

١٣٢. ابراهيم ، عبد الله ، (لقاء مع بيكت) تر : عبد الله ابراهيم ، مجلة الاقلام العراقية ، العدد ١٢ ، ١٩٨٠م

١٣٣. أرابال ، فرناندو ، (الجلادان) ، تر : خالد جابر اليوسف ، مجلة الثقافة الاجنبية العراقية ، العدد ٢ ، ١٩٩٧ م

١٣٤. الاصفي ، محمد مهدي ، (الانتظار الموجه) ، مجلة المنهاج ، مركز الغدير للدراسات الاسلامية ، بيروت ، العدد ٥ ، ١٩٩٧ م

١٣٥. الالوسي ، حسام الدين ، (الزمن في الفكر الديني والفلسفي القديم) ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، العدد ٢ ، ١٩٧٧ م

١٣٦. بدوي ، عبد الرحمن ، (الزمن في المذهب الوجودي عند مارتن هيدجر) ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، العدد٢ ، ١٩٧٧ م

١٣٧. البستاني ، بشرى ، (البنية الحكائية في شعر نازك الملائكة) ، مجلة الرواد ، العراق ، العدد الاول ، ٢٠٠٢م

١٣٨. تودوروف ، (في تعريف اللا معقول) مجلة علامات في النقد ، جدة ، ج٣ ، مج ٨ ، ١٩٩٨ م

١٣٩. حجازي ، محمود فهمي ، (اصول الفكر العربي الحديث) ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، العدد الاول ، ١٩٧٣ م

١٤٠. حسين ، فاطمة بدر ، (الزمن وسط الحياة) ، مجلة الرافد ، الشارقة ، العدد ٥٥ ، ٢٠٠٢م

١٤١. درايفر ، ت . ف ، (الادب الروائي عند صموئيل بيكت) تر : محمد درويش ، مجلة الاقلام العراقية ، العدد ٣ ، ١٩٧٢م

١٤٢. زيعور ، علي ، (محاولة تحليلنفسية للبطل العربي في التصوف والانثروبولوجيا) ، مجلة الباحث ، باريس ، العدد ٣ ، ١٩٧٨ م

١٤٣. ـــ ، ـــ ، (الانا الاعلى في الذات العربية) ، مجلة آفاق عربية ، العدد ٥ ، ١٩٨٨ م

١٤٤. الشويلي ، داود سلمان ، (رسالة الولادة المرفوضة – دراسة تناص بين الميلاد موسى (ع) وسجون الاكدي) ، مجلة الموقف الثقافي ، العدد ١٩ ، ١٩٩٩م

١٤٥. صالح ، هاشم ، (الفكر التنويري والعقلاني الحديث بين ديكارت وباشلار) ، مجلة نزوى ، العدد ٣٢ ، ٢٠٠٢م

١٤٦. ظاظا ، حسن ، (الشخصية الاسرائيلية) ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، العدد ٤ ، ١٩٨٠م

١٤٧. ع . ر ، (مسرحية الحياة حلوة او في انتظار عمي اللي جاي من امريكا) مجلة المسرح المصرية ، العدد ١٤٣ ، ٢٠٠٠م

١٤٨. العشري ، فتحي ، (واخيراً وصل غودو) ، مجلة المسرح المصرية ، العدد ٣٨ ، ١٩٦٧ م

١٤٩. العشماوي ، محمد زكي ، (الحاضر ضمير المستقبل) ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، العدد الاول ، ١٩٧٣ م

١٥٠. غنيم ، سيد محمد ، (مفهوم الزمن عند الطفل) ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، العدد ٢ ، ١٩٧٧م

١٥١. فرايدمان ، جون ، (بيكت والانسان المعاصر) ، تر : محمد درويش ، مجلة السينما والمسرح العراقية ، العدد ٣ ، ١٩٧١ م

١٥٢. كابلان ، روبرت . ب ، (الارض اليباب) ، تر : يوسف اليوسف ، مجلة الاداب الاجنبية ، العدد ٤ ، ١٩٧٥ م

١٥٣. كحيل ، محمود ، (المثال او النوذج بين الانساني والالهي في الفكر الحضاري القديم) ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، العدد ١ ، ٢٠٠٢م

١٥٤. كرومي ، عوني ، (اشكالية التجريب مع الفضاء المسرحي) ، مجلة البحرين الثقافية ، العدد ١٩ ، ١٩٩٩م

١٥٥. كمال ، صفوت ، (مفهوم الزمن بين الاساطير والمورثات الشعبية) ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، العدد ٢ ، ١٩٧٧م

١٥٦. ماهر ، زيد نعمان ، (بندول المعاناة والضجر- صموئيل بيكت روائياً ومسرحياً) مجلة الاقلام العراقية ، العدد٥ ، ٢٠٠٢م

١٥٧. مكويني ، تيرنس ، (بيكت وشانفور والترجمة الذاتية) ، تر : جودت سالي ، مجلة الثقافة الاجنبية العراقية ، العدد ٣ ، ١٩٩٢م

١٥٨. ملك ، عزة اغا ، (القراءة والكتابة القصصية في الرواية الحديثة) ، مجلة الفكر العربي المعاصر ، العدد ٤٤ – ٤٥ ، بيروت – باريس ، ١٩٨٧م

١٥٩. نفادي ، السيد ، (السيموطيقا وعلاقتها بالفلسفة والعلم عند كارب) مجلة عالم الفكر ، الكويت ، العدد ١ ، ٢٠٠٢ م

١٦٠. نولسن ، جيمس ، (الايام السعيدة غودو والجستابو) تر : سعد الحسني ، مجلة الثقافة الاجنبية العراقية ، العدد١ ، ١٩٩٧ م

١٦١. نون ، وليم . ت ، (الادب الحديث والاحساس بالزمن) مجلة الثقافة الاجنبية العراقية ، العدد ٢ ، ١٩٨٨م

١٦٢. وطفة ، علي ، (المقدس وممتهنوه) ، مجلة كتابات معاصرة ، العدد ٤٧ ، بيروت – لبنان ، ٢٠٠٢ م

١٦٣. يونس ، مهند ، (صور الغائب في الزمن الحاضر) مجلة الموقف الثقافي ، بغداد ، العدد ١٩ ، ١٩٩٩م

رابعاً – الصحف :-

١٦٤. حبيب ، محمد حسين ، (موضوعة الانتظار في المسرح – موجز اطرها المفاهيمية) ، ص ثقافة ، جريدة الثورة العراقية ، العدد ١٠١٨٢ في ٢٠٠٠/١٢/٣١م

١٦٥. ـــ ، ـــــ ، (متعة الانتظار في ما لم يقله الرواة) ، ص ثقافة ، جريدة الثورة العراقية في ١٩٩٩/١٠/٢٠م

١٦٦. ـــ ، ـــــ ، (في تناص القص – موضوعة انتظار الغائب بين ماركيز والصقر) ، ص ثقافة ، جريدة الثورة العراقية ، العدد ١٠٠١١ في ٢٠٠٠/٥/٤م

١٦٧. عبد الحميد ، سامي ، (في انتظار غودو في عرضين) ، ص مسرح ، جريدة الجمهورية العراقية في ٢٠٠٢/٢/١٤م

١٦٨. لطيف ، عباس ، (مسرحية في انتظار كوزان قراءة في مهيمنات العرض) ، ص ثقافة ، جريدة الثورة العراقية في ١٩٩٩/١١/٢٤م

خامساً – المخطوطات :-

١٦٩. نص مسرحية (ترنيمة الكرسي الهزاز) ، تأليف فاروق محمد ، نسخة فرقة المسرح الشعبي ، بغداد ، ١٩٨٧ م
١٧٠. نص مسرحية (في انتظار كوزان) تأليف احمد محمد عبد الامير ، بابل ، ١٩٩٨ م
١٧١. نص مسرحية (الجنة تفتح ابوابها متأخرة) ، تأليف فلاح شاكر ، في ١٩٩٨/٣/١٤م

سادساً - مصادر اخرى :-

١٧٢. مسرح العبث ، مسرحيات عالمية ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر (مجموعة مترجمين لخمسة مسرحيات) ، ١٩٧٠ م
١٧٣. تمهيد لمحور الغد ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، العدد الاول ، ١٩٧٣ م

المصادر الاجنبية

Durkheim , Emile	Forme Elementaires de la vie Religieuse , Paris , Alcon , ١٩٣٧.
Frank, Erich	Philosophical Understanding and Religiouse Truth: London, O.U.P. ١٩٦٢.
Hastings , James (ed.)	Encyclopedia of Religion and Ethics N.Y., ١٩١٩.
Kant, Immanual	Religion within the Limits of Reason Alone ,tr. by T.M. Greene and H.H Hudson : N.Y. ,١٩٦٠.
Maller, Max	Origine et Developpement de la Religion .Paris, ١٨٧٣ .
Saurt, Denis	Histaire des Religions. Paris: Denoel , ١٩٣٣.
Tylor	Civilisation Prmitive . Paris , ١٨٧١.

.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

جامعة بابل
قسم التربية المسرحية
الدراسات العليا

ملحق رقم (١)

م / استبيان لجنة الخبراء

الأستاذ الفاضل : المحترم

يود الباحث استبيان رأيكم ـ بوضع علامة (✓) - امام العروض المسرحية العراقية التي يكون فيها (الانتظار) الركيزة المحورية لها في تسلسل احداثها وفي فكرتها الرئيسية ، وذلك لغرض الحصول على مجتمع البحث الموسوم (ظاهرة الانتظار في العرض المسرحي العراقي ـ نماذج مختارة) كأطروحة دكتوراه في الفنون المسرحية . علماً ان هدفي البحث هما :

١- تعرف كيفية تعامل الكاتب والمخرج المسرحي العراقي مع دلالات الانتظار وابعادها الفكرية على خشبة المسرح .
٢- تعرف اسباب تناول الانتظار في النصوص والعروض المسرحية العراقية.

... هذا وتقبلوا فائق شكري واحترامي.

الباحث
طالب الدكتوراه
محمد حسين حبيب

استمارة (١)

المجال الاول : ملاحظات تتعلق بالمسرحية المختارة

ت	الملاحظات	يصلح	لا يصلح	غيرها
١.	عنوان المسرحية هو الاساس على احتوائها للانتظار			
٢.	وضوح الانتظار في خط الصراع الرئيسي للمسرحية			
٣.	يسهم الانتظار في توضيح معالم الشخصية			
٤.	يشكل الانتظار ومن خلال تغلغله داخل المسرحية ، العمود الفقري لبناء خط الصراع القائم			
٥.	للانتظار أثره في تغير احداث المسرحية وتبدل المواقف وتطور الشخصيات			
٦.	يتنوع الانتظار مابين : الفردي والجماعي ، والميتافيزيقي والفوري وغيرها			

٧.	بيئة العرض توحي وعبر مفرداتها المنظرية الى فكرة الانتظار المخبوءة بين ثنايا العرض			
٨.	من المفردات الدالة على الانتظار في العرض : ساعة / باب شباك / هاتف / رسالة / صوت قطار / صوت طائرة ... وغيرها			
٩.	وجود الانتظار في المسرحية ، في اعتراف الشخصية الصريح بذلك			

استمارة رقم (٢)

مجتمع البحث

من العروض المسرحية التي قدمت على مسارح بغداد ١٩٨٠-٢٠٠٠

ت	المسرحية	المؤلف	المخرج	جهة الانتاج	والسنة
١.	الجلادان	ارابال	اسامة السلطان	اكادمية	٢٠٠٠
٢.	الوهم-مشنقة الانتظار-	ابراهيم بدران	محسن العزاوي	الفرقة القومية	١٩٨١
٣.	الغائب	فاروق محمد	عوني كرومي	=	١٩٨٢
٤.	ام المقاتلين	فتحي زين العابدين	فتحي زين العابدين	=	١٩٨٢
٥.	المحطة	صباح عطوان	فتحي زين العابدين	=	١٩٨٦
٦.	رسالة الطير	قاسم محمد	قاسم محمد	=	١٩٨٨
٧.	اسف الرقم غلط	لوسيل فيتشر	فخري العقيدي	=	١٩٨٦
٨.	العودة	يوسف الصائغ	قاسم محمد	=	١٩٨٦
٩.	مرحباً ايتها الطمأنينة	جليل القيسي	عزيز خيون	=	١٩٨٨
١٠.	في اعالي البحر	سلافيمير مورجيك	علي نجم	معهد الفنون	١٩٨١
١١.	الظلمة	ج.ل.جالوي	فاهم عبد علوان	=	١٩٨١
١٢.	رحلة العودة الطويلة	يوجين اونيل	اكرم جمعة	=	١٩٨١
١٣.	اغنية التم	تشيخوف	صالح حسين الشمري	=	١٩٨٢
١٤.	طائر البحر	تشيخوف	صلاح القصب	اكادمية	١٩٨٤
١٥.	جزيرة الماعز	ايغوبتي	سامي عبد الحميد	=	١٩٨٥
١٦.	جيفارا عاد افتحوا الابواب	جليل القيسي	سامي عبد الحميد	الفني الحديث	
١٧.	في انتظار رغودو	صموئيل بيكت	سامي عبد الحميد	=	١٩٧٠
١٨.	سموفونية الانتظار		احمد حسن موسى	منتدى المسرح	١٩٩٢
١٩.	ترنيمة الكرسي الهزاز	فاروق محمد	عوني كرومي	المسرح الشعبي	١٩٨٨
٢٠.	الجنة تفتح ابوابها متأخرة	فلاح شاكر	محسن العلي	القومية	
٢١.	في انتظار رغودو	بيكت	باسم عبد القهار	اكاديمية	١٩٩٠
٢٢.	اهمس في اذني السليمة	وليم هانلي	محمد حسين حبيب	منتدى المسرح	١٩٨٦
٢٣.	الحريم	علي حسين	ناجي عبد الامير	القومية	١٩٩٤
٢٤.	صابرون	حيدر منعثر	حيدر منعثر	المحترف	١٩٩٤
٢٥.	بيت وخمس بيبان	فاروق محمد	محسن العلي	العسكري	١٩٨٨
٢٦.	انتيغونا تنتظر	مجدي عباس	عبد العزيز المنصور	الكويتي	١٩٩٤

٢٧.	أب للبيع او للايجار	قاسم محمد	قاسم محمد	القومية	١٩٩٨
٢٨.	قسوة	ع.محمد حسين	محمد حسين حبيب	مسرح الرشيد	١٩٩٦

مجتمع البحث

من العروض المسرحية التي قدمت على مسارح بغداد ١٩٨٠-٢٠٠٠

ت	المسرحية	المؤلف	المخرج	جهة الانتاج	والسنة
٢٩.	مهجر بريسبان	جورج شحادة	سامي عبد الحميد	كلية الفنون	١٩٧٥
٣٠.	الخادمات	جان جينيه	ناجي عبد الامير	القومية	١٩٩٣
٣١.	السيد هو الذي يعرف كل شيء	مثال غازي	جمال العميدي	اكاديمية	٢٠٠٠
٣٢.	في انتظار كوزان	احمد محمد عبد الامير	احمد محمد وعلي رض	منتدى المسرح	١٩٩٩
٣٣.	في انتظار عودة الابناء الذين لن يعودوا الى الوطن ثانية	جليل القيسي	عماد محمد حسين	منتدى المسرح	١٩٩٢
٣٤.	الاكمة والكسيح	داريوفو	محمد حسين حبيب	اكاديمية	٢٠٠٠

الملاحظات :-

ملاحظة :-

- يمكن للخبير اضافة اية مسرحية يعتقد انها غائبة عن مجتمع البحث محورها الانتظار.
- او كتابة اية ملاحظات اخرى رجاءً ... الباحث